الإمارات
THE EMIRATES

# مراود

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

العددان 30، 31 – مايو، يونيو 2021، السنة الخامسة

ملف الشهر

## رحلة المقيظ في التراث الإماراتي

الشارقة للتراث

تقليد تراثي أصيل

«الشارقة للتراث» يحتفي بـ:
«يوم زايد للعمل الإنساني»

«الشارقة للتراث» يشارك في
«أبوظبي للكتاب» بأكثر من 300 عنوان

الشارقة في كتابات الرحالة
وليم بلجريف.. توثيق تاريخي
للشارقة القديمة

MARAWED Issue, 30,31, (MAY, June 2021), The Fifth Year

العددان 30، 31 – مايو، يونيو 2021، السنة الخامسة

Issue, 30,31, (MAY, June 2021), The Fifth Year

# MARAWED

Magazine Concerned With The Cultural Heritage

## أحدث الإصدارات

معهد الشارقة للتراث
Sharjah Institute for Heritage
إدارة المحتوى والنشر
Content and Publishing Department
عام الخمسين
YEAR OF THE FIFTIETH
50
UAE

# سياسة النشر

تعنى مجلة «مراود» بالتراث الثقافي الإماراتي بالدرجة الأولى، ثم العربي والعالمي، وتسعى من خلال أبوابها إلى الاضطلاع بتلك الغاية، والتركيز على موضوعات تراثية تتّسم بالجدة والموضوعية والتنوّع والشمول، ومقاربة التراث، بحثاً وتوثيقاً ودراسةً وتدقيقاً، كما تعمل المجلة على تتبّع تجليات التراث الثقافي في الأعمال الإبداعية الإماراتية والعربية من خلال الاحتفاء والتوظيف والاستحضار لمختلف عناصره ورموزه.

وتركّز المجلة على الموضوعات الثقافية والتراثية والإعلامية التي تلامس مختلف جوانب التراث الثقافي من مهن وحرف وألعاب وحكايات وأزياء وزينة وحلي وفنون وموسيقى.. وكل ما يتّصل بفروع التراث الثقافي وعناصره، محلياً وعربياً وعالمياً.

**ويشترط في المواد المقدّمة للنشر:**

- الجِدّة والأصالة، وألا يكون سبق نشرها أو مقدّمة للنشر لدى مجلات أخرى.
- الموضوعية في الطرح والمصداقية في التناول.
- سلامة اللغة، وسلاسة الأسلوب.
- التوثيق العلمي وعزوُ كل قول إلى قائله.
- ألا تتضمن المواد ما ينافي المبادئ الأخلاقية والمقدسات الدينية أو يخدش الحياء، أو ينافي الذوق العام.
- ترفق مع المواد صور عالية الدقة والجودة.
- يراعى في ترتيب المواد المقدّمة للنشر الجانب الفني والموضوعي وفق رؤية هيئة تحرير المجلة.
- يحق لهيئة التحرير التصرف في صياغة المواد، متى كان ذلك ضرورياً، لتتماشى مع سياسة النشر، ومع الطرح الإعلامي المناسب للقارئ.
- إدارة التحرير غير ملزمة بشرح أسباب رفض نشر المواد ولا إرجاعها.
- المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما عن رأي كتّابها.
- تستقبل المواد والمشاركات على بريد المجلة الإلكتروني: marawed@sih.gov.ae


**للتواصل مع إدارة التحرير:**

**0097165014898 - 00971567927270**

**m.bounama@sih.gov.ae**


مراود

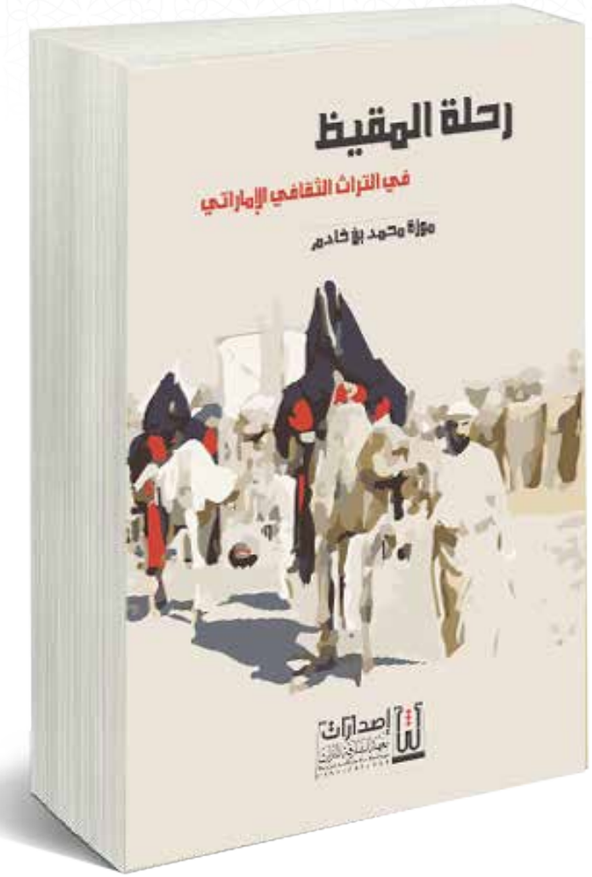






# بشارة القيظ

**د. عبدالعزيز المسلّم**
رئيس معهد الشارقة للتراث
رئيس التحرير
az.almusallam@gmail.com

لماذا البشارة؟ سؤال نجيب عنه هنا؛ لتبيان أهمية هذه الفعالية، وتأثيرها الإيجابي في الأجيال الجديدة، من حيث تعريفهم بالمفردات البيئية المحليّة، وتوثيق علاقتهم بتراثهم الثقافي الذي لاغنى عنه في بناء شخصياتهم وانتمائهم.

البشارة: هي الخبر السارُّ الذي لا يعلمه المُخْبَرُ به، والبشارة ما يُعطاهُ المُبَشِّرُ، والجمع بَشَائرُ، والبشائر الدُّفُوفُ ونحوُها، وقد استخدم الإماراتيون هذا المعنى في كثير من أدبياتهم، كما ورد في أشعارهم وحكاياتهم.

لقد عرف أهل الإمارات العربية المتحدة «التِّبِشْرَةْ»، وهي بشارة أول الطلع من الرطب، فإذا طرحت النخلة أول ثمرها من الرطب على هيئة «قارين أو جارين»، قالوا عنها «تِبِشْرَةْ»، وهم يتباشرون بها، ويفرحون فرحاً كبيراً، ويظل ذلك الفرح إلى أن تطرح النخيل آخر محصولها، ويعملون طوال ذلك الموسم الحارّ والقائظ على الكنز المتبقي من الرطب الذي تحوّل إلى تمر، من خلال عمليات تقليدية كثيرة، بدءاً من نثره ونشره على المسطاح، ثم خزنه في مخازن التمر المسماة «مدابس»؛ للحصول على الدبس (العسل الأسود)، وكذلك الحصول على أجود أنواع التمر.

لكن ذلك الموسم الحار لا يمر بثمرة فاكهة واحدة، ألا وهي الرطب، بل البشائر كثيرة، فهناك نجد اللومي والهمبا والفيفاي والترني والشخاخ، وغير ذلك من الفواكه الصيفية، كما أن هناك حشرات وطيوراً تزيّن المشهد البيئي، مثل الصرناخ، وهو زيز الحصاد الذي يصدح بصوته الموسيقي، ثم حمام الراعبي والصفاصيف وبو بشير اليعسوب الجميل، كذلك الكرّة، وهي ضفدع الوديان والغدران والغلايل (أي المياه المتجمّعة)، وغيرها مما يرتسم في الذاكرة، ولا يغيب عنها أبداً.

في هذا العدد نحتفي بموسم القيظ وبشائره الجميلة، بدءً من فعاليات الدورة الرابعة عشرة من بشارة القيظ التي احتفلت هذا العام بطائر الكرّوان، ثم انتهاء بملف العدد الذي يركّز على موسم القيظ في الموروث الشعبي الإماراتي.

# محتويات العدد

ملف العدد

رحلة المقيظ في التراث الإماراتي
موسم البحث عن البرودة

16

الافتتاحية
د. عبدالعزيز المسلّم

5

أشياء من الماضي
علي العبدان

60

فنون شعبية
علي العشر

64

حكاية
علي أحمد المغني

66

دراسة
محمد عبدالله نور الدين

72

عوالم ملهمة
حسين الراوي

78

أمثال تراثية
طلال سعد الرميضي

82

أبجديات تراثية
فهد علي المعمري

86

زاوية
د. فهد حسين

88



الأمثال الشعبية
ومفردات المقيظ في
حياة أهل الإمارات

92

الزراعة والرعي
أسلوبا حياة في
الإمارات قديماً

110

الجائحة المانحة
ثورة كورونا في
الفكر الإنساني

118

أخبار ومتابعات

10


تكريم الرعاة والشركاء في «الأيام التراثية»
96

الاحتفاء باليوم العالمي للمتاحف
98

الاحتفال بيوم التراث العالمي
102

«الشارقة للتراث» يصدر كتاب «الشارقة في كتابات الرحالة البريطاني وليم بلجريف»
105

ولادة البطل
بين الأسطورة والخرافة الشعبيّة
122

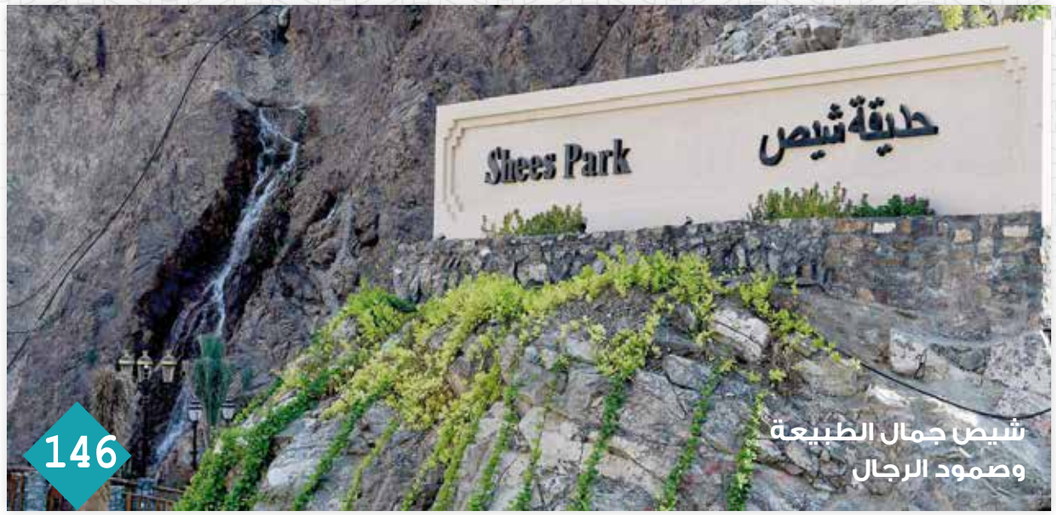


شيص جمال الطبيعة وصمود الرجال — 146

المنزل التونسي العتيق.. «بيت الحجام» نموذجاً — 124

التراث الثقافي الرقمي النظرية والممارسة (1) — 142

المسواط — 130

المنتجات الإماراتية.. تراث وحِرف متجدّدة — 149

القهوة والشاي عنوان الرفقة والصحبة — 132

قرض البراقع مهنة تحافظ على الإرث الثقافي — 152

المدن التاريخية في العالم العربي: الماضي المشرق والتحديات المعاصرة — 136

لؤلؤة الصباح.. و«مومي» — 154

خيال الظل
عمل كلاسيكي للمسرحية — 158

مهرجان يوم الفتاة
(مهرجان الخوخ) — 162

شرفة
د. منّي بونعامة — 166

معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

800TURATH
هاتف: 5092666 6 971+
انستغرام: marawed_sih
الموقع الالكتروني: www.sih.gov.ae

ISBN 978-9948-37-768-9

# مراود

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

رئيس التحرير
**د. عبد العزيز المسلم**
رئيس معهد الشارقة للتراث

مستشار التحرير
**د. ماجد بوشليبي**
رئيس جمعية المكتبات والمعلومات

مدير التحرير
**د. منّي بونعامة**
مدير إدارة المحتوى والنشر

هيئة التحرير
**أ. علي العبدان**
**أ. عتيج القبيسي**
**أ. عائشة الشامسي**
**أ. سارة إبراهيم**

سكرتير التحرير
**أحمد الشناوي**

التصميم والإخراج الفني
**منير حمود**

التدقيق اللغوي
**بسام الفحل**

التصوير
**قسم الإعلام**

# «الشارقة للتراث» يشارك بأكثر من 300 عنوان في «أبوظبي للكتاب»

شارك معهد الشارقة للتراث في معرض أبوظبي الدولي للكتاب، في دورته الـ30، التي عقدت خلال الفترة 23 -29 مايو 2021، بأكثر من 300 عنوان في شتى مجالات التراث الثقافي والتاريخ والثقافة والأنثربولوجيا، ومن بينها أحدث الإصدارات، وهي: الموسوعة الإماراتية للحرف والمهن والصناعات التقليدية، للباحث حسن الغردقة، ومعاني الكلمات العامية في اللهجة الإماراتية، وليم بلجريف، للدكتور منّي بونعامة، واليازرة، للدكتور حمد بن صراي، والباحث عبدالله الهامور، وحصن الذيد، للباحث خليفة الطنيجي، وعلم الأوبئة في التراث العربي، للدكتور خالد حربي، والنخلة النوبية، للدكتورة ناهد بابا، والحضارة الإسلامية في جنوب شرق أوروبا، للدكتور مسعود إدريس، والدكتور محمد علي، الثقافة العربية والإسلامية في مقدونيا وكوسوفا، للدكتور إسماعيل أحمدي، وسيرة الراوي محمد خلفان الزعابي، للدكتور عبدالله جمعة المغني، ومقاربات نقدية حول موسوعة الكائنات الخرافية لمجموعة مؤلفين، وفنون أصيلة، للفنان علي العشر، وغيرها كثير .

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث: يندرج إصدار هذا الكمّ النوعي من الكتب والمنشورات، ضمن رؤية المعهد الثقافية الشاملة والمتكاملة، والرامية إلى رفد الساحة الثقافية بنتاجات علمية قيّمة، تراعي المعايير العلمية والضوابط الأكاديمية المتعارف عليها في مجال النشر، والتي تتّسق مع مشروع الشارقة الثقافي، وتتماشى مع توجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، حفظه الله ورعاه، السامية والرامية إلى بناء جسور المعرفة عبر الكتاب، من خلال انتخاب عناوين شائقة ذات مضامين ثرية تسهم في بلورة الوعي الثقافي وإثراء المكتبة الإماراتية والعربية بالجديد والمفيد في الثقافة والتراث والتاريخ والآداب والعلوم والأنثروبولوجيا والموضوعات ذات الصلة .

وأضاف: يعمل المعهد على إثراء المشهد الثقافي والمكتبة الإماراتية والعربية بعناوين غنية ومتنوعة في مجالات الثقافة والفكر والتاريخ والأنثربولوجيا، وغيرها من المعارف في كل مناسبة، مشيراً إلى أن هذه المشاركة تعتبر الأولى من نوعها في معرض أبوظبي الدولي للكتاب، نأمل أن تحقق إضافة نوعية بما نقدّمه من عناوين متنوّعة، على غرار مشاركتنا في معرض الشارقة الدولي للكتاب، الذي حقق نجاحاً باهراً في دورته الاستثنائية المنعقدة العام الماضي.

وأشار الدكتور منّي بونعامة، مدير إدارة المحتوى والنشر بالمعهد، إلى أن المعهد خطا خطوات متسارعة

في مجال النشر، أكدت مستوى عالياً في صناعة الكتاب، ونشر المعرفة ضمن الرؤية المتكاملة التي يعمل المعهد على تحقيقها، لافتاً إلى أن هذه المشاركة تعتبر واحدة من المشاركات المهمة التي تسهم في إطلاع الباحثين والكتاب والمتابعين على جهود المعهد في النشرِ، نشراً يُحقّق الرؤية، وينهض بالفكرة، ويعمل وفق المعايير العلمية المتعارف عليها في البحث والدراسة أكاديمياً.

وأضاف: انتخبنا مجموعة من العناوين المهمة التي تعمل على توثيق التراث الإماراتي وتأصيله وتحقيقه، بما يتماشى مع رؤية المعهد ورسالته الرامية إلى تعزيز المعارف التراثية، وتوفير مكتبة علمية ينهل منها كل مرتاد، لذلك جاءت هذه المشاركة حاوية موضوعات خصبة وغنية، ويجد الكاتب والقارئ فيها ضالته، وتشبع نهمه المعرفي والثقافي.

وأوضح أن الدورة الجديدة، وعلى الرغم من انتظامها ضمن انتشار جائحة كوفيد19، إلا أن ذلك لم يحل دون المضي قدماً في الإسهام بقسط وافر من الإصدارات النوعية التي تلامس مختلف القضايا الثقافية والمعرفية .

## «الشارقة للتراث»
## يحتفي بـ «يوم زايد للعمل الإنساني»

نظم معهد الشارقة للتراث محاضرة افتراضية عبر منصة «زوم»، بمناسبة «يوم زايد للعمل الإنساني»، الذي يصادف التاسع عشر من شهر رمضان المبارك، من كل عام، وجاءت المحاضرة بعنوان» :زايد القائد والإنسان، جهود رائدة في خدمة الإنسانية والعمل الخيري» ، شارك فيها سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، والإعلامي الدكتور محمد القدسي، والمؤرخ الدكتور سيف البدواوي، وأدار المحاضرة الدكتور مني بونعامة، مدير إدارة المحتوى والنشر في معهد الشارقة للتراث.

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث: «إن المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، مؤسس وباني دولة الإمارات، أحيا التراث الثقافي شعراً ورياضة وبيئة، وأحيا رياضة وسباقات الهجن التي كانت مندثرة لحد

كبيـر، كمـا أحيـا الكثيـر مـن الألعـاب الشـعبية، وأحيـا الشـعر، إذ أصبحت الإمارات وجهة الشـعر العربي الفصيح والنبطي أو الشـعبي، وأعاد للشعر النبطـي مكانته».

ولفـت إلى أن الشـيخ زايـد، طيّب الله ثـراه، اهتم بضـرورة الالتزام بالزي الشـعبي لطلبة المدارس في نهايات السـبعينيات مـن القرن الماضي، واسـتذكر كيـف كنـا في اليـوم الوطني، ويـوم جلوس الشـيخ زايـد، نذهـب إلـى أماكـن تحددهـا وزارة الثقافة لنلقـي قصائد للوطـن، حيث الاحتفالات والمواسـم التـي أحيت هذا الجزء مـن الثقافة الشـعبية التي تأخذنا إلى الثقافة العربية بشـكل عام. وأوضح أن المغفور له، بإذن الله، هو الذي أحيا شـجرة الغاف، ووضع لهـا مكانتها، بكل بسـاطة ووضوح، حيث إن للشـيخ زايـد يداً بكل مـا يمس التـراث الثقافي في الإمـارات، فقد شـجع الباحثين بلا حـدود، واليوم فـإن الـدارس لتراث الإمارات، يمكـن أن يتأكد بأن ذلـك الغـرس الذي نـراه اليـوم هو نتيجـة طبيعية لمـا تم غرسـه في أيـام زايد، فقد أرسـى الكثير من الأسـس التـي لا يمكـن أن تتغيـر أو تتبـدل؛ لأنها ثابتـة في الأرض والوجـدان والثقافة.

لفـت الدكتـور المسـلم إلـى أن من بين الإسـهامات





القيّمـة لزايـد في الشـعر والاهتمـام بالتـراث الثقـافي، كانت المجالس الشـعرية، فهي أساسـاً لها أهميـة كبـرة في توثيق الذاكرة الشـعبية الإماراتية، فالمحتوى الشـعري الذي أضيـف للثقافة الإماراتية منـذ تولـي الشـيخ زايـد إلـى الآن يحتـاج في دول أخـرى إلى قـرن من الزمـان، وهو محتـوى ضخم جـداً، وقـد كان المغفور لـه رجلاً معطـاءً، فالدعم والعطـاء الواسـع كان يشـمل الجميع، كل الشـعراء كان لهـم مكافـآت ومرتبـات، لذلـك أقبـل النـاس علـى الشـعر، وتوجهوا إلى مجالس الشـعراء، فزاد المحتـوى الشـعري بشـكل كبيـر جـداً، والإمـارات أصبحـت قبلـة لمن يريـد أن يكتب الشـعر.

قـال الإعلامـي الدكتـور محمـد القدسـي، الـذي صاحـب الشـيخ زايـد وشـهد العديد مـن مواقفه الإنسـانية والخيرية: «لقد حصل المغفور له الشـيخ زايـد على 16 جائزة بيئية، فجهـوده في عالم البيئة والزراعة عديدة، وحققت نقلات نوعية في المشـهد البيئي والزراعي، بدءاً من العين على مدار عشـرين سـنة، وصولاً إلى إمارة أبوظبي عمومـاً والعاصمة والصحـراء، وكل مكان». لافتاً إلى أن أكثر من 280 مليون شـجرة من الغاف والسـمر والكينا، جملة ما زرعه الشـيخ زايـد . وعندما علم بأن شـجر الكينا يمتـص الميـاه بكثـرة، أمر بنـزع كل أشـجار الكينا عـن كل الطـرق وفي الدولـة .وبـين أنـه كان ينطلق في أعمالـه الإنسـانية من 3 محاور، هي :الإنسـان، والحـس الدينـي والأخلاقـي، والحـس الوطنـي، لافتـاً إلى أن العمل الإنسـاني متأصـل ومتجذر في الإمـارات. وأشـار إلى أن مجموع مـا قدمه المغفور لـه طـوال حياته من مسـاعدات وأعمال ومشـاريع تجـاوز الـ 26 مليار درهم، وصلـت إلى 59 دولة في العالم. وبلغت قيمة المسـاعدات والمشـاريع الخيرية والإنسـانية التـي قدمتهـا الإمـارات منـذ ميـلاد الدولـة حتى نهاية العـام الماضـي 90 مليار درهم.

14 طالباً من ذوي الاحتياجات الخاصة

وأشار إلى أنه في العام 1976 عمل المغفور له الشيخ زايـد على تعيـين 14 طالبـاً مـن ذوي الاحتياجات يعملـون في الزراعة، وكانت مـدة العمل اليومي لكل واحـد منهـم 4 سـاعات في النهـار، في حـين بلغت أجـرة كل واحد منهم ضعف أجـرة الآخرين.

وتابـع: مـن المواقف المهمة أيضاً على سـبيل المثال لا للحصـر، أنـه في العـام 1976 تم العمل على بناء 4500 وحـدة سـكنية في 84 عمـارة هدية لشـعب الإسـماعيلية في مصـر، الذيـن دمـرت بيوتهـم في الحـروب. إن الإمـارات تعنـي زايـد، وزايـد يعنـي الإمـارات، وقـال المـؤرخ الدكتور سـيف البدواوي: «إن الـكلام كثيـر عـن زايـد الخيـر والعطـاء، واسـتعراض دوره وجهـوده منـذ مـا قبـل الاتحاد، وأثنـاء الاجتماعات الأولـى، وكيف كان يتدخل لحل أي مشـكلة قد تكون عائقاً أمام الوحدة.» وأضاف: «إن الإمـارات تعنـي زايـد، وزايد يعنـي الإمارات، فأينمـا ذكـرت الإمـارات يحضر زايـد، وأينما ذكر زايـد تحضر الإمـارات بكل قوة ووضـوح». وتطرق البـدواوي إلـى الذين كتبوا عن زايـد عن قرب، من الكتـاب والمؤلفـين الأجانب.

## ملف العـدد

# رحلة المقيظ في التراث الإماراتي

## موسم البحث عن البرودة


17 طائر الكرّوان
شعار الدورة الـ 14 من بشارة القيظ

18 الكرّوان .. الطائر المراوغ

20 بشارة القيظ ... تقليد تراثي أصيل

29 رحلة المقيظ
في التراث الثقافي الإماراتي

36 الحياة اليومية في القيظ

42 القيظ رحلة استجمام وراحة
محفوفة بالمخاطر

46 القيظ رحلة من أفواه الحضّار

52 موسم القيظ في تراث الإمارات

56 الأرشيف الوطني يوثّق ذكريات «المقيظ»

58 أماكن المقيظ قديماً في الإمارات

# طائر الكرّوان

## شعار الدورة الـ 14 من بشارة القيظ

احتفى معهد الشارقة للتراث بطائر الكروان في الدورة الرابعة عشرة من «بشارة القيظ» من خلال برنامج ثقافي وتراثي متنوع تضمن معرض صور للدورات السابقة من بشارة القيظ (2008 ـ 2020)، ومعرض صور لطائر الكرّوان، وفيديو صوتي للطائر، بالإضافة إلى ورش رسم للأطفال، ومحاضرة بعنوان: طائر الكرّوان ألقاها الأستاذ عبدالعزيز سلطان آل علي، وأدارها الدكتور منّي بونعامه، مدير إدارة المحتوى والنشر بالمعهد، وحضرها جمع من الباحثين والكتّاب والمهتمين.

# الكرّوان.. الطائر المراوغ[1]

الكرّوان بتشديد الراء، هو غير طائر الكروان المغرّد، فالأول هو طائر من طيور البراري غير المستأنسة، أما الآخر فهو طائر من الطيور المغرّدة القابلة للاستئناس والعيش في المدن. والكرّوان المشهور في الإمارات والخليج، اسم مفرد، والجمع كراوين، هو طائر مهاجر يأتي في هجرة طويلة عبر أراضي الإمارات متجهاً إلى الجنوب، لكن الطبيعة في الإمارات تغري ذلك الطائر للبقاء، وذلك لأسباب عدة، أهمها التضاريس الطبيعية المناسبة له، والمرعى الطيب الذي يكفيه غذاؤه، فالأكل المناسب للكرّوان يكون متوافراً بكثرة، والشاهد أن فترة الهجرة تلك هي التي ينطلق فيها موسم القنص في الإمارات، وفيها تتم ملاحقة عدد من الفرائس، ومنها الكروان.

يعد الكروان من أوائل الطيور المهاجرة قدوماً لأراضي الدولة، ويسمى «لفو»، وهو طير ذو حركة كثيرة جداً، ما يجعل صيده عملية شاقة بالنسبة إلى الصقر القناص، فهو كثير المناورات والمراوغة، كما أن له وسائل كثيرة للتخفّي، وهو يقبع في النهار، وتسكن حركته، لكنه ينشط في

**د. عبدالعزيز المسلّم**
رئيس معهد الشارقة للتراث
رئيس التحرير

الليل ليقتات على نبات الأرض، والقناصة يسمون ذلك الحدث بمسمى «يتعشى»، كما أنه يقتصد في مشيته ليلاً، فتكون خطواته متقاربة، حتى إنها تشبّه بالسلسلة، لما يراه القناص من أثر على الأرض يشبه أثر السلسلة.

وبسؤال صديقي بوسعود عبدالعزيز بن سلطان، القناص المحترف، الذي شاركنا في فعالية بشارة القيظ بمعهد الشارقة للتراث، لنحتفل بالكروان، وهو أحد المهتمين بالقنص، وبمواسم هجرة الطيور، سألناه عن أعداد طيور الكروان الحالية، وأسباب انعدام رؤيتها كما كانت تُرى قبل بدء الألفية، فروى أن الصيد الجائر لذلك الطير، وكذلك استخدام أجهزة تقليد صوت الكروان، تؤثر في عملية هجرته وعودته، فمع عودته عبر أراضي الإمارات، يصطدم الكروان بسماع أصوات الحنين (من أجهزة الصوت)، فيظن أنها جزء من السرب نزل إلى الأرض ليقتات، فيلغي عودته، وينزل إلى الأرض للحاق بالسرب، فيقع فريسة للصيادين، سواء قناصة الصقور أو قناصة البنادق، وبهذه العملية تتغير بوصلة الهجرة والتزاوج والتكاثر وتنحسر، إضافة إلى أن كثرة القتل في الأسراب العائدة تؤثر سلباً في تكاثره، وبذلك تتسارع عمليات اختفاء ذلك الطائر من مشهد الطبيعة الإماراتية.

1. نُشِر هذا المقال في جريدة الرؤية الإماراتية بتاريخ 6 يونيو 2021.



ملف العدد

# بشارة القيظ ... تقليد تراثي أصيل

درج معهد الشارقة للتراث على تنظيم فعالية بشارة القيظ منذ أربعة عشر عاماً، احتفالاً من أول فصل الصيف، يوحي بجماليات موسم الصيف، وبشاراته الجميلة، إدراكاً منه بأهمية التعريف بالمفردات البيئية الإماراتية، ونشر الوعي بالتراث الثقافي في الإمارات، ومن منطلق توعية الأطفال والناشئة بتراثهم، وإيجاد تفاعل جاد ومثمر مع هذا الإرث الثقافي. وبشارة القيظ هي فعالية سنوية للأطفال والناشئة، تذكر بمفردات الطبيعة الإماراتية، هدفها التوعية بالتراث الإماراتي.

ويطلق القيظ في الإمارات على فصل الصيف وحرارته، وبشارة القيظ تطلق كإشارة للبشارة التي ترافق الموسم وهي في الغالب كانت تشير إلى نضوج الثمر بخاصة أنواع من التمور فيقولون: «قاظت نخلكم؟»؛ أي هل بانت تباشير نضوجها؟. كما يعد موسماً لأهل الساحل، فينقسمون إلى قسمين، من يمتهن مهن البحر يتوجه إليه في رحلات الغوص للبحث عن اللؤلؤ، وغيرهم ممن يتوجهون للواحات في أقصى شرق الإمارات في رحلات تسمى المقيظ، فلا يمنع أهل الإمارات حرارة هذا الفصل أن يحتفوا به كغيره من فصول السنة، فيوظفون هذا الفصل للاحتفاء بكل عناصره والتمتع بخيره.

والقيظ حمّارة الصيف عند العرب، وقاظ بالمكان و(تقيّظ) به: أقام به في الصيف، والموضع مقيظ، وقاظ يومنا: اشتد حره، كما في قاموس الصحاح.

وكان سكان الساحل في الإمارات، ينقسمون في موسم القيظ إلى قسمين: قسم يتوجه إلى البحر في رحلة الغوص والبحث عن اللؤلؤ، ويضم الشباب والعارفين بعالم البحر وعلومه، والآخر يشمل النساء والأطفال وكبار السن من الرجال والشباب ممّن منعتهم ظروف قاهرة الالتحاق برحلة الغوص، ويتوجه هؤلاء عبر قوافل منظمة إلى الواحات في مناطق معروفة في أقصى الشرق من الإمارات الحالية، إلى مناطق مثل مساي في وكلباء ودبا، وفي الشمال شعم والرمس ونواح من ساحل الباطنة في عُمان، وهذه تسمى رحلات المقيظ أو الحَضارة.

وعلى الرغم ممّا يصادف فصل الصيف عند الإماراتيين من حر ورطوبة وغبار، فإنه يعدّ فصلاً جميلاً كغيره من الفصول الأخرى، التي تشكلت فيها ثقافة وعادات حفظتها ذاكرة الأجداد والآباء، ونقلوها إلى الأبناء، بشأن المظاهر والصور والممارسات، التي كان يعمد إليها إنسان الإمارات في هذا الموسم، وكيف كان ينتظره بشغف وحماس كبيرين، مقبلاً على ما فيه من خير وفير، ومتغاضياً عمّا يصاحبه من حرارة، وموظفاً المثل الشعبي للتعبير عن تلك الحالة من التصالح مع الذات والواقع والبيئة المتغيرة؛ إذ يقول: «خذ وخل»؛ فكانوا يأخذون منه ما يحبون ويتركون منغصاته.

وكان سكان الساحل يقومون بهذه الرحلة صوب المزارع عبر الصحاري، والمشي بين قمم الجبال العالية ووسط الأودية السحيقة؛ بحثاً عن نسمات هواء باردة وحبات رطب يأكلونها في ظلال النخيل الوارفة؛ لذلك كانت رحلة المقيظ انتصاراً على الحر والشمس اللافحة الحارقة ورطوبة الجو العالية، وكان معظم سكان الساحل ينتقلون إلى المقايظ على ظهور الإبل؛ حيث يحملون أمتعتهم من ملابس وحاجات خاصة بهم ومواد غذائية يحتاجونها... وكان الاتفاق مع الكري يتم - في العادة - قبل موعد السفر بأسبوع؛ حتى يكون هناك متسع من الوقت يسمح بالتجهيز للرحلة، في جو مفعم بالفرح والسعادة؛ فتنطلق في هذه الأثناء من داخل المنازل بعض الأغاني والشلات، مرددين: «قرب الموسم والمواعيد، والقيظ توه غاية مناه».

# الدورات السابقة 2008 - 2020

## الدورة الأولى 2008

## «الصرناخ»

احتفت أولى دورات بشارة القيظ بحشرة تحمل أسماء عدة، فهي محلياً تسمى «السراح»، وتسمى «الزرنيخ»، بالإضافة إلى «الصرناخ»، وهي كثيرة الانتشار في موسم الصيف، غذاؤها الحشرات الصغيرة وأوراق الأشجار التي تعيش عليها، من نخيل وسدر وغاف وغيرها من الأشجار المعمّرة. وقد صاحب هذه الفعالية مسيرة للسيارات، ومرسم حر، ورسم على الوجه، ومعرض لحشرة الصرناخ المحنطة، ومجسمات، إضافة إلى فيلم تسجيلي. كما تم صنع حلويات على شكل الصرناخ، وأجريت مسابقات للأطفال، مثل أفضل فيديو عن الصرناخ، واختيار أجمل زيّ مستوحى من شكل الصرناخ، ومسابقة تصوير الصرناخ.







## الدورة الثانية 2009

## «بوبشير» اليعسوب

اتخذت الدورة الثانية من فعالية بشارة القيظ حشرة «بوبشير» (اليعسوب) شعاراً لها، وقد حظيت الفعالية بتفاعل كبير من لدن الفئة المستهدفة، التي تفاعلت مع الأشكال والرسوم التوضيحية والصور المعروضة، والمسابقات المنظمة حول هذه الموضوعات، وهي:

- أفضل زيّ مستوحى من شكل «بوبشير» (اليعسوب).
- مسابقة تصوير «بوبشير».
- مسابقة رسم وتشكيل «بوبشير».
- مسابقة أفضل فيديو كليب عن «بوبشير».

## الدورة الثالثة 2010

## «القرقعانة»

انت فراشة «القرقعانة»، التي يستبشر الناس بها، شعاراً للدورة الثالثة من بشارة القيظ، والتي استمرت على مدى يومين متتابعين. وقد أقيم ضمن الفعالية معرض للفراشات بأنواعها المختلفة، وورشة لمجسمات تراثية مصنوعة من الجبس، ومرسم للأطفال، ومقهى ثقافي عرض فيلماً وثائقياً عن الفراشات، وندوة ثقافية حضرها العديد من الشعراء والجمهور. اشتمل حفل الافتتاح على تقديم لعبة إلكترونية اسمها «هروب الفراشات»، صممت في إدارة التراث التي كانت تابعة لدائرة الثقافة والإعلام في الشارقة.

## الدورة الرابعة 2011

## «البدحة»

نُظّمت الدورة الرابعة من «بشارة القيظ»، تحت شعار: «البدحة»، وشهدت الفعالية نشاطات عدة، تعرّف بسمك البدح، وتقارب التراث بصيغ يستطيع الأطفال والكبار، على حد السواء، التفاعل معها، في جو ثقافي وترفيهي، وقد لاقت الفعالية إقبالاً شعبياً واسعاً، ضم كل الشرائح والفئات العمرية في سوق العرصة، وقد التفوا جميعاً حول سمكة البدح، وتجولوا في معرض لها، وشارك الأطفال في ورش الرسم والمجسمات الجبسية.

تضمنت الفعاليات ورشة لصناعة الدمى الشعبية، وأخرى لمجسمات جبسية لسمكة البدحة، وعرض فيلم وثائقي عن الأسماك البحرية، وارتباطها بالناس، وإلقاء الضوء على السمكة المحتفى بها، وسرد للحكايات الشعبية «بديحة تحقق الأحلام»، وعروض «التومينة»، والفنون الشعبية.

## الدورة الخامسة 2012

## «الكرّه»

طلقت الدورة الخامسة من فعالية بشارة القيظ تحت شعار: «الكرّة»، وهو اسم الضفدع في التراث الإماراتي، كما يطلق عليه كذلك الشفدغة. وتُشكل الضفادع والعلاجيم المجموعة البرمائية الأكبر والأكثر تنوعاً، حيث يوجد منها 3900 نوع، يعيش كثير منها في الغابات المطيرة الاستوائية.

تعيش الضفادع والعلاجيم على البر، تماماً كما في الماء، أما بالنسبة للأنواع المائية، فإن أجسامها تميل إلى الطول والنحول، بينما تلك التي تمضي الوقت الأكبر من حياتها على البر، فيكون جسمها أكثر استدارة، وأرجلها قصيرة، وأغلب الضفادع والعلاجيم هي من اللواحم التي تملك فماً كبيراً لابتلاع الفريسة بأكملها.

## الدورة السادسة 2013

## «الصفصوف»

حملت الدورة السادسة من فعالية بشارة القيظ شعارا: «الصفصوف»، وهو عصفور صغير وضئيل، من الطيور المهاجرة. وشملت أنشطة تراثية متنوعة، منها: رسم جدارية، مرسم حر، ورشة جبسية، إعادة تدوير الورق للأطفال، عربانات (عربات) أول فال، فرقة الألعاب الشعبية (أطفال).

## الدورة السابعة 2014

## الحَبْلن

نبات الدفلى، تلك الشجيرة المعروفة التي تعدّ من شجيرات الزينة الواسعة الانتشار في منطقتنا، وهي دائمة الخضرة، كثيرة الفروع، يصل ارتفاعها إلى ثلاثة أمتار تقريباً، أوراقها متطاولة جلدية، تغطيها قشرة سميكة، تتميز بكبر حجم أزهارها، وتعدد ألوانها التي تراوح بين الأبيض الفاقع والزهري الفاتح والقرمزي الغامق، تتجمع تلك الأزهار بصورة عنقودية، تتموضع في نهايات الأفرع، وتستمر بكامل خضرتها على مدار السنة، والأزهار عديمة الرائحة تقريباً، وقد تجذب الأطفال للاقتراب منها، فيتعرضون للخطر إذا هم عبثوا بأوراقها الملوثة، أو وضعوا شيئاً منها في أفواههم قصداً أو عن طريق الخطأ، حيث تحتوي على مواد سامة كفيلة بالتأثير في سلامة الإنسان والحيوان.

## الدورة الثامنة 2015

انطلقت فعاليات الدورة الثامنة لبشارة القيظ تحت شعار «النملة ـ اليعروف»، بمشاركة واسعة من طلبة المدارس الحكومية في الإمارة.

## النملة

يسعى الحدث الذي يستهدف بشكل أساسي الأطفال والناشئة إلى تنمية المعرفة الثقافية لدى الطفل، وتوعيته بأهمية الحفاظ على التراث، حيث تضمن برنامج حفل الانطلاق باقة من النشاطات والمسابقات المنوعة، منها رواية قصة عن النملة، بالتزامن مع عرض مجسم لها، تطرقت القصة إلى توضيح شرح مبسط عن حياة النملة وفائدتها في الطبيعة وأجزائها، إضافة إلى عروض فلكلورية، ومسرح للدمى، وفقرة تلوين الرسومات والجبسيات التي تمثل النملة، كذلك تم تخصيص لوحة جدارية ليدون فيها الأطفال ما تعلموه من تلك العروض.

## الدورة التاسعة 2016

يقترن موسم القيظ في الإمارات بموسم الرطب الذي يحييه الإماراتيون من كل الفئات العمرية، من خلال جمع التمور بأنواعها، وتجفيفها على أسطح خاصة مصنوعة من سعف النخيل، وتخزينها بأفضل الطرق للحفاظ عليها لأطول مدة ممكنة، خاصة الطرق القديمة المعروفة لدى الأجداد والآباء، لبيعها؛ لذلك كانت النخلة شجرة مباركة ذات خير وفير وعميم، بطلعها وسعفها، وثمارها وعطائها وزينتها، وهي عروس الرمل والصحراء ورمز العطاء؛ لذلك فقد خصّص معهد الشارقة للتراث الدورة التاسعة من «بشارة القيظ» عام 2016، للتعريف بأهمية شجرة النخيل، وصفاتها، ومميزاتها، ووقت جني الرطب والتمور، وفوائدها الغذائية، وأنواعها، ووقت حصادها.

## الرطب

## الدورة العاشرة 2017

احتفت فعالية بشارة القيظ في دورتها العاشرة بطير حمام «الراعبي»، وهو من نوع الحمام البري الذي ينتشر في مختلف بيئات الدولة، وذكر الراعبي في العديد من المواطن الأدبية للاحتفاء بها كأحد عناصر

## الراعبيه

البيئة الإماراتية، حيث ذكرت في الحكايات الشعبية والشعر الشعبي من بينها إحدى قصائد الشاعر الماجدي بن ظاهر، كما ذكرها الشاعر راشد الخضر.

وشملت الفعالية العديد من العروض التراثية الحية والمسابقات والجوائز والمعارض الفنية ورزفات وموسيقى الفرق الشعبية، وتهدف إلى خلق وترسيخ المفردات التراثية الإماراتية والحياة قديماً لدى الجيل الجديد.

وتضمنت الفعاليات معرضاً لصور حمام «الراعبي» وأنشطة للرسم للأطفال، والعديد من الأسئلة التراثية الموجهة للجمهور، وركزت على الأمثلة الشعبية والمهن المتوارثة.

## الدورة الحادية عشرة 2018

انطلقت فعاليات الدورة الحادية عشرة من فعالية بشارة القيظ تحت شعار: شجرة اللوز «البيذام»، واللوز شجرة ذات انتشار واسع بالمنطقة الاستوائية وشبه الاستوائية، وتستخدم كشجرة زينة، وهي ذات انتشار كبير في دولة الإمارات، حيث تزرع في المزارع والحدائق العامة والخاصة، وهي تعتبر من أهم الأشجار المحببة محلياً، فقد كانت تزرع منذ عصور طويلة، كما أن الإماراتيين يفضلون تناول ثمارها، وتسمى في الكثير من المناطق «بيذام»، وهي من أصناف اللوزيات التي تبدأ بطرح أزهار اللوز خلال شهر مارس، لتتحول الأزهار إلى ثمار خضراء صغيرة «البرما» تكبر وتنضج مع بداية شهر يونيو ويوليو وحتى أواخر الصيف لتكون «اللوز»، وهي فاكهة تأتي على لونين أحمر وأصفر، نواتها كبيرة.

## اللوز

## الدورة الثانية عشرة 2019

انطلقت فعالية «بشارة القيظ» في دورتها الثانية عشرة تحت شعار: شجرة اللومي «الليمون» في البيئة الزراعية، التي تم اختيارها في هذه الدورة كونها

## اللومي

من مفردات الطبيعة المُبشرة بالقيظ، كما تم تنظيم العديد من الورش مثل «إعداد خل الليمون»، و«إعداد عصير الليمون»، و«مخلل الليمون»، و«الجبسيات»، بالإضافة إلى تقديم شروحات عن ثمرة اللومي، واستخداماتها في العلاج قديماً، وكيفية زرع الليمون وأشكاله وأنواعه وفوائده وأضراره، وأماكن زراعته وأوقات ثماره.

اللومي شجرة معمّرة، ثمارها من أهم النباتات المستخدمة في حياة الإنسان، وتزرع شجرة الليمون في مناطق كثيرة من دولة الإمارات، وتحتوي ثمارها على زيت طيار وفيتاميني (ج) و(أ)، ومجموعة فيتامين (ب)، بالإضافة إلى مواد هلامية وسكاكر.

## الدورة الثالثة عشرة 2020

انطلقت فعاليات بشارة القيظ في دورتها الثالثة عشرة، افتراضياً، تحت شعار: «شجرة الهمبا» (المانجا)، عبر مواقع التواصل الاجتماعي، تزامناً مع بداية فصل الصيف، وبشارته الجميلة، مستهدفاً شريحة الأطفال وطلاب المدارس.

الهمبا، وهي فاكهة المانجو، لها أنواع، منها: همبو (بو الروّان): همبو تصغير لكلمة همبا، وهي فاكهة صيفية مستديرة بقدر حبة العنب الكبيرة، لونها أصفر، وفيها نواة كبيرة، وسائل لزج حلو المذاق، استخدم في الماضي كصمغ عند أهل الإمارات. همبو (بو الحصا): هو بحجم همبو بو الروان، لكنه من

## الهمبا

حيث الشكل يختلف قليلاً، أما السائل الذي بداخله فهو ليس لزجاً، وطعمه حامض.

# رحلة المقيظ

## في التراث الثقافي الإماراتي



موزة محمد سعيد بن خادم المنصوري
باحثة – الإمارات

التراث الشعبي محصول اجتماعي، تركه السلف للخلف، يرتبط بحياة الأفراد، وتكمن الأهمية التاريخية للتراث في أنه يزيل حواجز الزمن، ويشكل كياناً اجتماعياً. وكان لزاماً علينا أن نبعث الروح في التراث الذي أخذ يندثر، وأن نوضح صورة تلك الحياة التي عاشها أجدادنا، لنأخذ منها المعرفة والفخر والعبرة[1]. وأماكن المقيظ في دولة الإمارات، وأسباب رحلة المقيظ، وكيفية الاستعداد لها، ووسائل التنقل التي كانت تستخدم في رحلة المقيظ، مع الحديث عن مسؤول الرحلة، وهو من يعرف بـ«الكري»[2]، وصف الرحلة ومراحلها مع مساكن المقيظ، التي تعرف بـ«العرشان»[3]، مع عرض جانب من مظاهر الحياة الاجتماعية في المقيظ، ورحلة العودة من المقيظ، ونتائجها اقتصادياً واجتماعياً، مع عرض الصعوبات التي كانت تعترض رحلة المقيظ.

إن لرحلة المقيظ سحراً خاصاً لايزال يسكن في الذاكرة الإماراتية، حيث يحتفظ كبار السن بذكريات وتجارب حية اختزلتها ذاكرتهم، يحدثون عنها أحفادهم. كما ارتبط القيظ بعادات وتقاليد مختلفة، حتى أصبح يحمل أبعاداً ثقافية وتراثية. ولاتزال حكايات «المقيظ»[4] تكشف عن جوانب

مدهشة من حياة أهل الإمارات قديماً، وتبرهن على حسن تصرفهم في اتخاذ التدابير اللازمة للتعامل مع درجات الحرارة والرطوبة العاليتين.

لقد كان المقيظ من الأحداث السنوية التي تتولى المرأة أمرها، وتشرف عليها، نظراً لغياب معظم الرجال وانشغالهم في التحضير للغوص. وتعد هذه الرحلة تجسيداً لظواهر كانت تتجلى على السواحل، وفي مدن وقرى وبراري الإمارات، في موسم الصيف من كل عام، حيث تبدأ بعد مرور نحو 15 يوماً من رحيل سفن الغوص، لتستقر العوائل في العرشان الصيفية، لمدة ثلاثة أشهر،

حتى يعود الرجال سالمين غانمين من أعماق البحر. سنرحل برفقة عائلات سواحل الإمارات إلى بعض تلك الواحات والمناطق الزراعية؛ لنعيش ظروفاً وفعاليات رحلات الصيف الاستجمامية الداخلية في الماضي، في المصايف[5]، ولنرتشف فناجين القهوة مع حبات الرطب تحت ظلال عريش صيفي من سعف النخيل، وبين واحاته؛ لنعيش تفاصيل موسم وجود «الحضار»[6]، منذ الوصول حتى يوم الرحيل، حيث كانت (للعريش) قصص وحكايات، تمثلت في العلاقة بين الحضّار والمزارعين. رحلة المقيظ تعبر عن قدرة الإنسان الإماراتي على مواجهة الصعاب، وضرورة تغيير المكان خلال فصل الصيف، مع بيان كثرة الأماكن السياحية الجميلة في بلادنا، التي كانت تستخدم مصايف في الماضي، مع إمكانية تطويرها والإفادة منها اقتصادياً وسياحياً في المستقبل.

المناطق الجبلية في حتا دبي

المقالات في الصحف والإشارات العديدة في كتب التراث التي تحدثت عن ذكريات المقيظ على لسان مؤلفيها الذين عاصروا تلك الفترة، ومع حديثي مع كبار السن في بعض الإمارات. وجدت مخزوناً كبيراً من ذكريات المقيظ مازالت تحتفظ بها ذاكرتهم. ومما دفعني إلى التطرق إلى هذا الموضوع أيضاً، ما نلمسه اليوم من رغبة أهل الإمارات في السفر خارج الدولة خلال فترة الصيف، من أجل الاصطياف وقضاء أوقات جميلة في كثير من الدول التي تتميز بالجو الجميل، ورؤية المناظر، وكثرة الأشجار خلال فصل الصيف. لذا تساءلت إذا كنا اليوم ومع وجود وسائل التكييف في كل مكان. مازلنا نبحث عن رحلة صيفية ممتعة، نهرب فيها من حرارة الصيف إلى مناطق ذات أجواء معتدلة، فكيف كان الحال مع أجدادنا في الماضي، وهم لا يملكون وسائل تكييف حديثة؟ من هنا بدأت في البحث والتقصي، والسؤال عن رحلة المقيظ، كيف كانت؟ وما أسبابها؟ وما أشهر مناطق المقيظ؟ ووسائل المواصلات، وأخيراً، ما نتائجها في تقوية أواصر القربى والتعاون بين أهل الإمارات من أهل الساحل إلى المناطق الزراعية والواحات؟ مع الصعاب التي كانت تعترض هذه الرحلات، من أجل البحث عن نسائم تلطف شدة القيظ والرطوبة الخانقة، مع الاستمتاع بالثمار والأشجار والفواكه الصيفية، ومجاري المياه العذبة الباردة. كما ظهر لي من خلال هذه الدراسة، الدور الكبير الذي لعبته المرأة الإماراتية، حيث أثبتت تميزاً وقدرة على القيادة، فهي صاحبة رحلة المقيظ، ومهندسته، من بدايته حتى نهايته، فكل أم وجدة شاركت بدور كبير في رحلة المقيظ و«التراث

الإماراتي يزخر بالعديد من المعطيات الجميلة، التي تجعله نمط حياة متكاملة، وفصول السنة ومواسمها فصول للإبداع والأدب والفكر، لاسيما فصل الصيف المسمى بالقيظ، فهو موعد للتغيير الشامل لطريقة المعيشة، وفصل متميز لانقلاب تام لنمط الحياة»[7]. وعلى الرغم من اختلاف الطبيعة الجغرافية لدولة الإمارات[8]، إلا أن هذا التوزيع لم تنتج عنه انقسامات نفسية في بيئة المجتمع، بل على العكس جاءت الجغرافيا لتوحّده، وليكمل بعضه بعضاً، وهذا ما جعل مجتمع دولة الإمارات يحظى بمجموعة لا يستهان بها من الخبرات؛ لتشمل بيئات مختلفة، بدءاً من الساحل، ومروراً بالبر، ووصولاً للجبال[9]. ولقد اكتسبت فصول السنة أسماء من وحي البيئة والطقس في كل فصل منها؛ فكان الربيع يسمى بالصيف، والخريف بالأصفري؛ لاصفرار أوراق الأشجار، في حين سمي الصيف بالقيظ، لشدة الحر.

فمع موسم القيظ يلجأ الإماراتي قديماً إلى رحلات ابتدعها ليواجه حرارة الصحراء، عبر التنقل من المناطق الساحلية، التي تشتد حرارتها ورطوبتها صيفاً، إلى المناطق المعروفة بالمقايظ، ومنها «البراحات»[10]، و«الواحات»[11]، و«المحاضر»[12]، التي غالباً ما تمتاز ببرودة الطقس، بعد أن تنطلق السفن المتجهة إلى مغاصات اللؤلؤ في رحلة الغوص، وعلى ظهورها آلاف الرجال، تكون هناك رحلة من نوع آخر.

وفي القرى والوديان الزراعية، كانت هناك صورة جميلة لظاهرة مهمة من مظاهر موسم الصيف من كل عام، امتدت على مدى مئات السنين، ولم تتوقف إلا قبل أقل من ربع قرن من الزمان فقط. ويبدأ القيظ، بموسم الرطب، حيث تنضج التمور في تلك الفترة بفضل حرارة الجو، وينتهي في شهر سبتمبر، وتحديداً وقت دخول «الأصفري»، أي فصل الخريف. والصيف فصل جميل كبقية فصول السنة، على الرغم من الحر والرطوبة والغبار، ولمعاناتهم ذلك يكررون المثل الشعبي «خذ وخل»[13]. وتبدأ رحلة المقيظ مع بداية فصل الصيف، والمعروفة عند سكان الإمارات بـ«القيظ»، وهو الموسم الذي ترتفع فيه درجة الحرارة، وقد تتجاوز الـ40 درجة، كما ترتفع نسبة الرطوبة، خصوصاً على السواحل. وقد حملت الأيام الماضية ذكريات وبصمات جميلة، لا يستطيع الإنسان نسيانها مهما مر من زمن، فما أجمل تلك الأيام





التي عاشها أهالي الإمارات قديماً، حيث وجدوا الحل لحرارة الصيف برحلاتهم السنوية إلى المزارع الخضراء، وتجمعات المياه، التي كانت تحتوي على أماكن معدة للسباحة في المياه العذبة. والمقيظ هو أماكن سكن الأهالي في تلك الفترة، إذ كانوا ينتقلون من مناطق السكن من البيوت الشتوية إلى بيوت العريش المصنوعة من سعف وجريد النخل، بالقرب من المزارع؛ كي يكونوا بالقرب من مراكز جني المحاصيل، وتوافر الغذاء بأنواعه خلال تلك الفترة، ويتولى أهل الواحات والمناطق الزراعية تجهيز بيوت العريش وإعدادها لاستقبال الضيوف القادمين للمقيظ، وتوفير احتياجات القادمين من أغذية مختلفة، حتى يقضوا أشهر الصيف بقدر من الراحة. وكانت قوافل الجمال تنطلق لتشق رمال الصحراء، وتقطع السهول والوديان قادمة باتجاه الساحل، يقودها أصحابها الكريان[14] في التنقل من المناطق الساحلية إلى أماكن الواحات المنتشرة في الإمارات، في رحلات تستغرق أكثر من أسبوع كامل أحياناً، حيث تشد أغلب العائلات من النساء والأطفال و«الشياب»[15] والعجائز الرجال، حاملين معهم ما يحتاجونه من معدات ومؤن ضرورية، على ظهور الجمال استعداداً لرحلة الاستجمام الصيفية السنوية المعتادة إلى الواحات الزراعية، هرباً من الطقس الحار والرطوبة الخانقة في بيوت المدينة، وبحثاً عن الطقس اللطيف، والهواء المنعش بين أحضان واحات النخيل، وخلاء الطبيعة الخلابة.

إن رحلات العوائل الصيفية، إلى جانب ما تمتاز به من ترفيه واستجمام وانتعاش، كانت اضطرارية للعائلات، حيث لم تكن تتوافر في المنطقة أجهزة كفيلة بحمايتها من لهيب حرارة أشهر الصيف، ورطوبة طقسه بين جدران بيوت المدينة وسكيكها[16]، ولم يكن من بد إلا اللجوء إلى الخلاء. حتى «البراجيل»[17] كانت تعجز عن تكييف الطقس بمستوى نفحات الهواء المنعشة نفسه التي توفرها العرشان المنصوبة بين واحات النخيل، ولوجود عوائل المصطافين بين المزارع في الصيف مزايا ممتعة لا حصر لها. وتبدأ رحلة المقيظ، عندما تقرر العائلة الساحلية الارتحال، حيث ترسل إلى عميلها المزارع ( بروة)[18]، وتبلغه بموعد الوصول، فيتولى إعداد العريش الصيفي، حسب المواصفات المطلوبة، ويعد قوافل الجمال اللازمة لنقلهم من الشواطئ إلى العريش ساعة وصولهم، وتبقى هذه العائلات المصطافة تستمتع بجمال الطبيعة في المقيظ، تستيقظ صباح كل يوم على زقزقة

العصافير، وخرير المياه المتصاعدة من آبار مزارع النخيل بوساطة «اليوازر»[19] التي تجرها الثيران، واليوازر ذاتها تصدر الأصوات لتشكّل سيمفونية موسيقية رائعة.

وخلال المقيظ تنشأ علاقة اجتماعية جميلة بين العوائل المصطافة والمزارعين، حيث تتبادل العوائل المصطافة مع المزارعين، ما جلبته من أكياس الأرز والقهوة والبهارات والملبوسات ومثيلاتها من البضائع، وعند الرحيل في نهاية الموسم، يقوم المزارعون بإهدائهم «قلات»[20] عدة من التمر حصاد الموسم، وتنتقل العائلات من الحضار والمزارعين بين العرشان لتبادل الزيارات، وتناول حبات من الرطب الطازج والقهوة.

وتتجه رحلة المقيظ إلى الواحات الزراعية بالعين ورأس الخيمة والذيد والمنطقة الشرقية وغيرها من المناطق والقرى والحيور[21]، وحتى الباطنة وخصب وغمضة العمانيات، حيث تنتشر أشجار النخيل، والليمون والهمبا[22] واللوز والسفرجل[23] والتين والامبو»[24]، وأنواع أخرى من أشجار الفواكه المحلية، ومن أطراف الجبال كانت قوافل الجمال تنطلق لتشق رمال الصحراء، وتقطع السهول والوديان قادمة باتجاه الساحل، يقودها أصحابها «الجمالون» في رحلات تستغرق أكثر من أسبوع أحياناً. وفي مناطق القرى والواحات الزراعية أعداد من الرجال المعروفين بإتقانهم لفنون بناء «العريش»؛ أي «العشة» الصيفية من سعف النخيل حول مزارع النخيل، استعداداً لاستقبال أصحابها من العوائل القادمة من المدن الساحلية للإمارات في مثل هذه الأيام، حيث تستقر العوائل في «العرشان» نحو ثلاثة أشهر حتى يعود الرجال سالمين غانمين من رحلة الغوص.

وكانت منطقة «شمل» برأس الخيمة، إحدى مناطق الجذب السياحية الصيفية المشهورة في الماضي، حيث كانت مئات من العرشان تنتشر بين واحات النخيل في شمل، في موسم رحلات أهل الساحل السنوية.

وأغلب أبناء السواحل، كانوا يختارون لأنفسهم قرية محددة يرحلون إليها بانتظام كل عام.





وتشير كلمة القيظ إلى أن موسم الحر شديد هذه السنة؛ لذلك كانت الناس تهرب من القيظ إلى المناطق الجافة التي تشتهر بمياه العيون أو الأفلاج. والقيظ[25] والمقيظ[26] أما الحضارة[27] والقيّاظة فيسمون في الماضي بالحضّار[28]. كانت رحلة ملحة، ارتبطت بأبعاد اجتماعية واقتصادية وثقافية ودينية، مازالت مخزونة في ذاكرة أهل الإمارات، حيث كان الحضار ومستقبلوهم من أهل الواحات والمزارع على موعد لقاء سنوي مع بداية صيف كل عام. لقاء مفعم بالود والبشارة والهدايا، ثم فراق مملوء بالدموع والحزن مع وعد باللقاء في العام القادم. كانت أياماً جميلة مملوءة بالمتعة والاستجمام والتواصل والحكايات والذكريات، حول صيف الإمارات في الماضي.

1- نجيب محمد الشامسي الإمارات في سفينة الماضي، مؤسسة دار الفكر، أبوظبي، 1987م، لجنة التراث والتاريخ، دولة الإمارات العربية المتحدة، ص3.
2- هو قائد قافلة الإبل التي تنقل الحضار من المدن إلى أماكن المقيظ مقابل مبلغ من المال.
3- المنازل الصيفية التي تبنى من سعف النخيل.
4- مشتق من كلمة القيظ؛ أي شدة الحر، وهو المكان الذي يصيّف فيه الناس.
5- هي الأماكن التي يقيظ فيها الناس لتوافر النخل والرطب والماء العذب البارد.
6- هم المصطافون الذين يرحلون من المدن إلى الواحات والوديان خلال فصل الصيف.
7- عبدالعزيز المسلم، الثقافة الشعبية، مصدر سابق، ص55.
8- تتكوّن أراضي الدولة في معظمها من صحارى تتخللها واحات عدة.
9- عبدالله بن دلموك، المتوصف، ط1، مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2014م، ص284.
10- اشتهرت كمقائظ في بعض المدن الساحلية، منها أبوظبي ودبي والشارقة وعجمان وأم القيوين، وتمتاز بمساحات واسعة من أشجار النخيل وآبار المياه العذبة ورمالها البيضاء، ويقصدها الأهالي لقضاء فترة الصيف، ويطلق على هذه المناطق أسماء عدة، مثل البراحة أو النخل، واشتهرت قديماً كلمة «البراحة» وجمعها «براحات» كاسم يتداوله الأهالي، وتتسم البراحات بالهواء المعتدل؛ نتيجة بعدها عن الساحل الذي ترتفع فيه درجة الحرارة والرطوبة.
11- الواحات الصحراوية تتميز بكثرة أشجار النخيل والفواكه والمحاصيل الموسمية، كما تضم آبار المياه والأفلاج والعيون، وتتسم بالهواء المعتدل، وتنحسر فيها الرطوبة.
12- أرض شديدة الخصوبة، معروفة حتى الآن بخصوبة مزارعها وشهرة نخيلها.
13- عبدالعزيز المسلم، الثقافة الشعبية، مصدر سابق، ص56 يأخذون من خير الصيف، ويدعون منغصاته.
14- جمع كري وهو قائد قافلة المقيظ.
15- هم كبار السن من الرجال.
16- جمع سكة، وهي الطريق الترابي الضيق بين المنازل.
17- جمع بارجيل: هو مسرب هواء أو برج هواء، والبراجيل تبنى فوق المنازل المبنية من السعف أو الظب الرملي لتلطيف الجو الداخلي، وللبراجيل أربع فتحات لكل جانب من جوانبه لتسريب الهواء.
18- خطاب أو رسالة.
19- جمع اليازرة، وهي إحدى الوسائل لاستثمار الطاقة الحيوانية في استخراج المياه من بئر قليلة العمق نسبياً بمساعدة الحيوان، الذي غالباً ما يكون الثور، «اليازرة» هو محرك الطاقة الأساسي في غالبية المزارع، إذ ترتكز العملية على جهد الثور الذي لا يقل عمره عن سنتين، ويتمتع بقوة وقدرة على التحمل، كما أنه يخضع إلى تدريب لنحو شهرين، حتى يتمكن من جر المياه بوساطة الدلو من البئر في مسار منحدر يتحرك فيه ذهاباً وإياباً، بإشراف أحد رجال القرية.
20- جمع قلة، وهي أكياس تصنع من سعف النخيل توزع فيها التمور.
21- جمع الحير، وهي المناطق الجبلية القريبة من الوديان والسهول الجبلية.
22- المانجا.
23- ثمرة طعمها حمضي تشبه التفاحة الكبيرة لونها أصفر.
24- لمبو: يسمى البرقوق الآشوري، ويعرف في منطقة الخليج بهذا الاسم.
25- تعني عند سكان الإمارات المصيف.
26- المكان الذي يقضي فيه السكان فصل الصيف، وجمعها مقايظ.
27- رحلة يقوم بها (الحضار) للانتقال من المدن الى المقائظ في فترة الصيف.
28- علي أحمد المغني، الإمارات اليوم، 25 يونيو2012.

# الحياة اليومية في القيظ

لرحلة المقيظ سحر خاص لايزال يسكن في الذاكرة الإماراتية، حيث يحتفظ كبار السن بذكريات وتجارب حيّة، اختزلتها ذاكرتهم، يحدثون عنها أحفادهم، كما ارتبط المقيظ بعادات وتقاليد مختلفة، حتى أصبح يحمل أبعاداً ثقافية وتراثية.

علي أحمد المغني
باحث في التراث الثقافي

في البراحات تكون الحياة اليومية مشابهة تقريباً لنمط الحياة في بقية أيام السنة، حيث ينتقل الرجال في الصباح لقضاء أعمالهم في المدينة، بينما تقضي النساء أوقاتهنّ في أعمال البيت، وتبادل الزيارات، أما الأطفال فيقومون بقضاء أوقاتهم في تعلّم القرآن وحفظه عند المطوع، وفي أوقات فراغهم يقومون بممارسة بعض الألعاب الشعبية، مثل «الصبة والكركعان وخوصة بوصة»... وغيرها من الألعاب الخاصة بالبنات والأولاد، بالإضافة إلى مساعدة أهاليهم بالقيام ببعض الأعمال الخفيفة، وفي ليل البراحة يجلس الأطفال لسماع الخراريف والحكايات من جداتهم، أو بمراقبة





النجوم في السماء، بينما يتسامر الكبار تحت ضوء القمر، ثم يخلدون للراحة؛ للذهاب إلى أعمالهم في الصباح الباكر.

أما في المناطق الزراعية، حيث يعانق اللون الأخضر الجبل والصحراء، فيقضي الحضار طيلة فترة الصيف أياماً جميلة، مملوءة بالراحة والمتعة، فيبدؤون يومهم بالاستيقاظ صباحاً، على سماع الألحان الجميلة التي تصدر عن خرير المياه الصاعدة من الآبار والأفلاج، وصوت المناوير، جمع «منيور»، بوساطة اليوازر جمع «يازرة» (50)، وهي الساقية التي تجرها الثيران؛ لتقوم برفع الماء من البئر؛ لسقي المزروعات، متناغمة مع غناء البيادير الذين يقومون بأعمال الزراعة، وأصوات العصافير، والأشجار عندما تحركها نسمات الهواء العليلة.

يتجمع معظم الحضار والمزارعين من الرجال عادة في المساء، عند مجلس إحدى العائلات الميسورة؛ لتبادل الأحاديث، وشرب القهوة، وتناول الفوالة؛ وهي المائدة التي تضم العديد من الأكلات الشعبية الخفيفة، والفواكه الصيفية، مثل المانجو والموز والرطب وغيرها من الفواكه التي تشتهر بها هذه المناطق، ثم يعودون إلى عرشانهم لتناول طعام العشاء، والاطمئنان على أسرهم، قبل أن يكملوا ليلتهم مع الأصدقاء.

في الليل يسهر الحضار والأهالي في إحدى المقاهي الشعبية المعدة خصيصاً لهذا الموسم، ويقضون الوقت في التسامر طوال الليل، إلى أن يحين موعد النوم؛ ليستلقوا على الأرض، أو فوق «السيم»، ملتحفين بالسماء الصافية، وأضواء القمر والنجوم، في انتظار شروق الشمس، إيذاناً ببدء يوم جديد من أيام المقيظ.

أما النساء فيبدأن يومهن منذ الصباح الباكر، حيث يقمن بإعداد الريوق (الفطور) الذي يحتوي على اللبن والچامي وخبز «الخمير أو الجباب أو المحلى أو الرقاق»، ويوضع عليه السمن البلدي.

وفي فترة الضحى، تقوم النساء بتبادل الزيارات فيما بينهن، حيث تقوم النساء من أهالي المقايظ بزيارة النساء من الحضار، ويقدمن الهدايا لهن، من خيرات المزارع، مثل الرطب والهمبا والزيتون والسمن واليقط وغيرها من المنتجات الحيوانية، كما تقوم النساء من الحضار بتوزيع الهدايا التي أحضرنها معهن، مثل الأقمشة والعطور وغيرها، وبعد الانتهاء من الفوالة وتبادل الأحاديث، تعود النساء إلى بيوتهن، ليقمن بإعداد طعام الغداء.

وتقوم نساء الحضّار بالذهاب يومياً مع نساء المزارعين؛ لجلب المياه من الآبار أو الأفلاج، بوساطة القرب أو اليحلة، ويطلق عليهن «المرويات»، وذلك لاستخدام الماء للشرب وطهي الطعام. وتجتمع النساء بعد صلاة العصر أمام منزل إحداهن؛ لتبادل الأحاديث والتسامر، حيث يقمن بممارسة بعض الأعمال اليدوية، مثل صنع البراقع والتلي، وخياطة الملابس، وصنع البخور.

أما الأطفال فيستيقظون في الصباح الباكر لتناول الريوق، والذهاب بعد ذلك إلى المطوع، الذي يقوم

بعمل حلقات دراسية؛ لتعليمهم أصول الدين، وتحفيظهم القرآن وأبجد هوز، ويأتي المطوع عادة مع الحضار كذلك، ويوجد في بعض المناطق مطاوعة من الأهالي، يقومون بتعليم الأطفال، وبعد الانتهاء من دروس المطوع، يذهب الأطفال إلى أحواض الماء أو الأفلاج؛ للسباحة أو الجري وسط مزارع النخيل، والاختباء بينها، وليمارسوا بعض ألعابهم الخاصة، التي تشتهر في المقايظ خلال موسم الصيف، والتي لها علاقة بالزراعة والمياه والسباحة في الأحواض، مثل «ديك ودياية والصقلة وخيل يريد وقرقعانة والمسطاع والمريحانة والكحيف». كما يتسلى الأطفال باللعب ببعض الحشرات، مثل «الصرناخ»، ويسمى عند بعضهم «سرّاح»، وهو من أهم حشرات الصيف، وله صوت مميز، ويقوم الأطفال بجمع الصرناخ ووضعه في علب فارغة. كذلك تعدّ حشرة بوبشير «اليعسوب» من الحشرات المعروفة بارتباط وجودها بموسم الصيف، ويكثر وجودها قرب المياه، ولها ألوان مختلفة.

### الحياة الاقتصادية في المقيظ

يعدّ القيظ موسماً اقتصادياً ينتظره أهل الإمارات، وتعيش المناطق خلال هذه الفترة منظومة اقتصادية متكاملة، تنشط على إثرها الحركة التجارية في الأسواق، حيث يزداد طلب الحضار على شراء المواد الغذائية، مثل الأرز والطحين والقهوة والسكر والمالح والمواشي وغيرها، كما يقومون بشراء الأمتعة والملابس والأدوات التي سيستخدمونها في رحلة المقيظ، والتي ستستغرق من ثلاثة إلى أربعة

أشهر، بالإضافة إلى شرائهم الهدايا؛ ليقدموها إلى عملائهم من أهالي المقائظ، مثل الملابس وأدوات الزينة، وبعض المواد الغذائية، وتنشط الحياة الاقتصادية بصفة عامة، فتخلق موسماً تجارياً ينتظره الجميع؛ لأنه يؤمّن الرزق لفئات عديدة من المجتمع.

كذلك يسهم موسم الصيف في انتعاش عدد كبير من المهن المرتبطة به، والتي من أهمها مهنة الكريان، الذين يتولون أمر نقل الأهالي من الساحل إلى المصايف، كذلك تزدهر مهنة أصحاب السفن الخشبية، مثل العبرات، التي تتولى نقل الحضار إلى البراحات القريبة من المدن، وكذلك السفن الكبيرة، التي تقوم برحلات منتظمة بين الموانئ لنقل الحضار إلى الأماكن القريبة من مقائظهم على الساحل، وبعضها تقوم بنقل الحضار وأمتعتهم عبر مضيق هرمز إلى مقايظ الساحل الشرقي وساحل الباطنة في عمان.

ويزداد الطلب على المهن الحرفية والزراعية في الواحات الزراعية والمناطق الجبلية، مما يخلق مجالاً أوسع للعمل، مثل البيادير الذين يقومون بالإشراف على المزارع ورعاية النخيل والأشجار، وسقيها والاعتناء بها، ويقوم بعض البيادير بعرض خدماتهم على الحضار، مثل تسلق أشجار النخيل لخرف الرطب؛ أي قطفها، بالإضافة إلى قيامهم بقص الحشائش والأعشاب لأغنامهم، ويقوم بعضهم بحفر «الطويان» جمع طوي، وهي آبار المياه العذبة، على نفقة الحضار الخاصة، ومازال بعضها موجوداً حتى الآن.

كما تنشط مهنة «الأساتيد» الذين يتولون بناء أماكن السكن الخاصة بالحضار، مثل العرشان، الذين يمتلكون خبرة ودراية كبيرة فيها، ويتقاضون أجوراً بسيطة عنها.

ويقوم بعض الصيادين في المناطق القريبة من الساحل بالتجول في أماكن تجمع الحضار، وبين العرشان، لبيع حصيلتهم من صيد الأسماك الطازجة، كذلك تزدهر مهنة «المطاوعة» الذين يقومون بتعليم

الأطفال أصول الدين والقراءة والكتابة وحفظ القرآن، مقابل أجرة معينة.

ويستفيد «الودعي» من هذا الموسم، وهو شخص يؤتمن على بيوت الحضار، عندما يهجرونها مؤقتاً للذهاب إلى المقيظ، كما تطلق التسمية على من يقوم بالإشراف على منازل الحضار في المقيظ حتى الموسم القادم، ليقوم بمراقبة عدد من البيوت ورعاية الأغنام، والإشراف على نخيلهم وسقايتها، وتكون أجرته حسب عدد رؤوس الأغنام، وتتنوع بين خمس روبيات أو جراب (51) تمر.

وتبرز صناعات معينة في موسم الصيف، مثل صناعة الفخار، التي يتضاعف الطلب على منتجاتها، مثل اليحلة والحب، وهي أوانٍ تستخدم في حفظ الماء وتبريده؛ لأن علاقة الأهالي بها تصبح دائمة في الصيف؛ لما توفره من برودة للماء عندما يوضع فيها، ويحرص الأهالي على شرائها قبل سفرهم للمقيظ.

وتزدهر الصناعات السعفية المرتبطة بالنخيل، مثل السرود والمكب والحصر واليراب والمهفة وغيرها من منتجات النخلة، بالإضافة إلى صناعة التمور التي تشتهر في هذا الموسم، والصناعات النسوية، مثل البراقع والتلي وخياطة الملابس وغيرها. والمنتجات الحيوانية لها أهمية خاصة في المنظومة الاقتصادية في موسم الصيف، حيث تقوم النساء بالاعتماد على حليب البقر في صنع اللبن الحامض والسمن البلدي واليقط والچامي، وتشتهر صناعة المالح في هذه الفترة، والعومة والكسيف وغيرها من المنتجات البحرية.

ويعدّ وجود الحضار خلال هذه الفترة مفيداً من الناحية الاقتصادية لهذه المناطق، ويشكل مصدر دخل مهم لها، حيث يقوم بعض الأهالي بافتتاح محال صغيرة قرب وجود إقامة الحضار؛ لبيع المواد الغذائية والاستهلاكية، كذلك يقوم بعض الحضار بافتتاح هذه المحال بالتعاون مع بعض الأهالي، وبعضهم يقوم بافتتاح مقاه شعبية؛ ليتسنى للرجال الترفيه عن أنفسهم في الليل.

### رحلة العودة

يقضي الحضار في المقائظ فترة تراوح بين ثلاثة وأربعة أشهر تقريباً، تمتد حتى أواخر فصل الصيف، وقت دخول الأصفري (الخريف)، وهي الفترة التي يعلن فيها انتهاء موسم الغوص الكبير (القفال)، وعودة البحارة والغاصة لديارهم.

لتبدأ بعدها رحلة عودة الحضار من المقيظ إلى الساحل. حيث يقوم الحضار بتجهيز أمتعتهم انتظاراً لموعد وصول الكريان الذين تم الاتفاق معهم مسبقاً على موعد العودة، وذلك قبل عودة البحارة من رحلة الغوص بأسبوعين تقريباً، ويقوم المزارعون بتقديم الهدايا إلى الحضار، وتسمى عندهم «الشفية»، مثل قلات التمر (52)، وكذلك يقومون بإهدائهم الليمون المجفف والهمبا الذي تصنع منه المخللات، والخل والسمن البلدي، بالإضافة إلى حملهم للمنتجات المصنوعة من سعف النخيل مثل الحصر والمهفات، ويأخذون معهم «الكيسة» (53)، ويحضر الحضار معهم «الصوغة»، وهي الهدايا التي سيقدمونها لأهلهم ومعارفهم في الساحل.

وتضطر بعض العائلات إلى العودة بوساطة السفن

الشراعية بدلاً من قوافل الجمال، وذلك لكثرة المواد والمؤن والهدايا التي تحملها معها من المقيظ، ويفضل بعضهم القيام بشحن المواد والمؤن عن طريق البحر بوساطة السفن، على أن يعودوا إلى مدنهم عن طريق البر، ليجدوا مؤنهم ومشترياتهم قد وصلت.

وتعدّ رحلة العودة صعبة ومؤثرة في نفوس الحضار وأهالي المقايظ، كونهم عاشوا أياماً جميلة وممتعة، تعرفوا فيها إلى أصدقاء جدد، تقابلوا معهم في المقيظ، وتشكلت في ذاكرتهم كثير من الحكايات والمغامرات التي عاشوها خلال هذه الفترة.

# القيظ رحلة استجمام وراحة محفوفة بالمخاطر



فاطمة سلطان المزروعي
رئيس قسم الأرشيف الوطني

تبدأ رحلة المقيظ مع بداية فصل الصيف قديماً، فتنشط حركة السفر والترحال من أجل المقيظ، وهو الموسم الذي ترتفع فيه درجة الحرارة، ونسبة الرطوبة، وغالباً ما تتجاوز درجة الحرارة الـ40 درجة، وخصوصاً على السواحل، ويبدأ موسم القيظ في الإمارات تحديداً مع دخول شهر مايو، وظهور نجم الثريا، أول نجوم الصيف «القيظ»، وما يلحق ذلك من ظواهر أخرى، مثل نضج الرطب، وينتهي موسم «القيظ» في شهر سبتمبر؛ أي فصل الخريف، عند طلوع نجم سهيل.

«القيظ» هو المصطلح المحلي المتداول والمتعارف فيما بيننا، ويتم تعريفه بأنه موسم الصيف المعروف بارتفاع درجات الحرارة والرطوبة العالية، أو شدة الحر، والمقيظ يقصد به المصيف، عكس المشتى، كما أن هذه الفترة تسمى بمرحلة الاستنفار، التي تتجلى في جميع بيوت أبوظبي وأجوائها وأحيائها السكنية الساحلية والموانئ والبراري، فالرجال من سن العاشرة حتى سن الخمسين، يشدون الرحال استعداداً للذهاب في رحلة الغوص، أو ما يسمى الغوص العود، التي قد تتجاوز الأربعة أشهر، للبحث





عن مغاصات اللؤلؤ التي يطلق عليها «الهيرات»، أو «النيوات»، ولكن النساء والأطفال، ومجموعة من الرجال الذي لا يستطيعون الذهاب لكبر سنهم أو مرضهم، يتزودون بالحاجات والأغراض، ويستعدون لحملها على ظهور الإبل للذهاب إلى أماكن الاستجمام والراحة، هرباً من حرارة الشمس، وللبحث عن المياه العذبة، والأجواء الجميلة تحت الظلال الوارفة، سواء بالذهاب إلى مدينة العين، أو محاضر ليوا، أو خصب في منطقة رؤوس الجبال.

تبدأ الخشب (السفن) بالاصطفاف بالقرب من برج المقطع؛ أي جسر المقطع، وقد امتلأ الشاطئ بالرجال والنساء والأطفال، والإبل المحملة، والدموع التي تملأ أعين النساء، لتوديع أزواجهن وأبنائهن؛ خوفاً من المجهول، ومن عدم عودة رجالهن بصحة وعافية، تقول شاعرة من شاعرات أبوظبي:

محلاك يا برج المقاطع اللي عليك القلب شفقان
الزين تحتك مر وقاطع على الذلايل يبغى عمان

تبدأ الرحلة، ويتم نقل النساء وأطفالهن على ظهور الإبل إلى مدينة العين، وإلى واحاتها العامرة بالخير الوفير، وللأرشيف الوطني دور في عملية التوثيق، فتقول الوالدة رفيعة محمد الخميري: «كنا في فصل الشتاء نبقى في مدينة أبوظبي، موطننا وفيها نسكن، ولكن عندما يحل الصيف، وترتفع درجات الحرارة، كنت أذهب مع أهلي إلى رؤوس الجبال في رأس الخيمة، بحثاً عن البرودة، والنسيم اللطيف». وفي كتاب «ذاكرتهم تاريخنا – الأرشيف الوطني»، يقول خميس بن زعل الرميثي: «كانت عائلتي وقبائل أخرى من جزيرة أبوظبي تقضي

فصل الصيف في البحر والغوص على اللؤلؤ، وقد يذهب بعضهم لجني الرطب، وتعبئة التمور في واحات ليوا والعين».

وهناك العديد من الحوافز التي تجعل الحضّار (الضيوف) يسعون للذهاب إلى الواحات العامرة؛ لما تحتويه من رطب طازجة ومياه عذبة، فهذه تعتبر من أهم الحوافز الجذابة التي تدفعهم للرحيل من مكانهم إلى مكان آخر، متحملين صعوبة الطريق، والدروب، على الرغم من المشقات التي تمر عليهم، ويقول حاضر المحيربي: «كانت الغالبية منا ترحل إلى مدينة العين، بينما قليلون يذهبون إلى محاضر ليوا، بعضهم يمتلك مزارع نخيل خاصة به، وغيرهم يستأجر النخيل لحاجته الشديدة، وللاستفادة من بلحها، خلال فترة إقامتهم، وأثناء عودتهم يجلبون معهم بعض التمور».

وللنساء نصيب، فقد كن يبنين بيوت العريش التي تُبنى من سعف النخيل، ويستقبلن النساء القادمين إليهم بالأغاني والأناشيد، كما يعددن القهوة والأكل، ويعتنين بأطفالهن الصغار دون كلل أو ملل، تذكر أم محمد: «نقضي فترة الصيف وموسم القيظ في واحات النخيل المعطاءة ومياه الأفلاج العذبة، ونهرب من سموم القيظ، بحثاً عن «البّراد»، ولم نكن نشعر بالغربة بينهم، نستمتع بعذوق النخيل، وسعفها الأخضر المتدلي، وبأشجار المانجو والليمون، وعندما تغيب الشمس، يتجمع الرجال في مجلس، والنساء في آخر، ونتجاذب أطراف الحديث، ونردد الأشعار والقصائد، وكل واحدة تخبر زميلتها بما مرت به طوال اليوم».

وتعد واحات مدينة العين الخضراء من أشهر مقايظ الإمارات قديماً؛ ما جعل القوافل تيمم

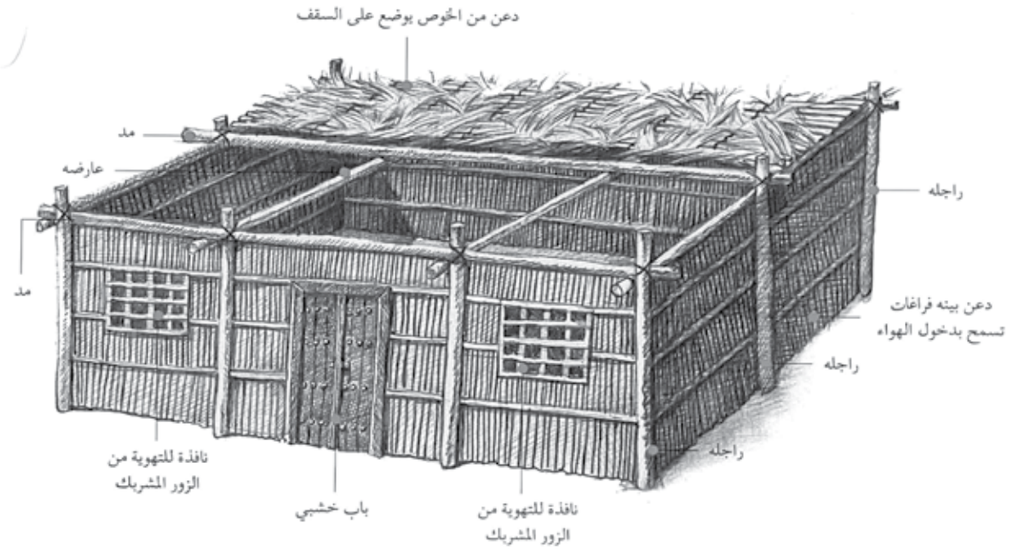


رسم توضيحي للعريش الصيفي

شطرها، وتحمل ذكريات الراوي راشد سيف بالحايمة الظاهري، من بدع بنت سعود في مدينة العين، أن مدينة العين كانت شبه مأهولة؛ إذ إن الناس يفضلون العيش قرب المزارع والنخيل، وكان نصف البدو يقضون الصيف في المدينة، والنصف الآخر يقضونه في البر، ويتبادلون الأدوار، فمن كان يقضي الصيف في البر، وكان بحاجة لمن يعتني بحلاله، فإنه يتركه في عهدة الآخرين لرعايته مدة ثلاثة أشهر في فترة الصيف، ويتقاضون مقابل تلك البهانس (مبلغ نقدي زهيد)، ولما يكون الأصفري (الخريف)، وينتهي موسم جني الرطب، يستخدم ذلك المبلغ لسد حاجاتهم الضرورية، وتوفير المؤونة.

ومع النعم التي حبا الله بها دولة الإمارات انحسرت رحلات المقيظ مبشرة بتطور الحياة ورفاهيتها؛ إذ ظهرت وسائل التبريد والمكيفات التي خففت حرارة الصيف، ولم تعد رحلات المقيظ كالسابق، لقد خفت وكادت أن تنحسر، ولم يعد لها أي ذكر.

ومن الملاحظ بأن مواسم القيظ أظهرت معادن الناس وتآلفهم وتعاونهم في زمن قلت فيه المعيشة والطعام، فقد كانوا يفرشون الأرض بالحصر أو الحصران، وهو السجادة المصنوعة من سعف النخيل، ومفردها الحصير، يستخدم كذلك بأن يفرش الحصير بالتمر، لينظف وينقى ويخزن لحفظه للأيام القادمة.

لدينا مخزون هائل في تراثنا يحتاج إلى الاهتمام، وتعريف الجمهور، إن مواسم القيظ وغيرها حاضرة في أذهان أجدادنا ممن هم على قيد الحياة، ولكن تحتاج إلى مزيد من الاجتهاد والسعي إلى توثيق هذا التراث بكل تفاصيله؛ ليبقى حاضراً في الأذهان.

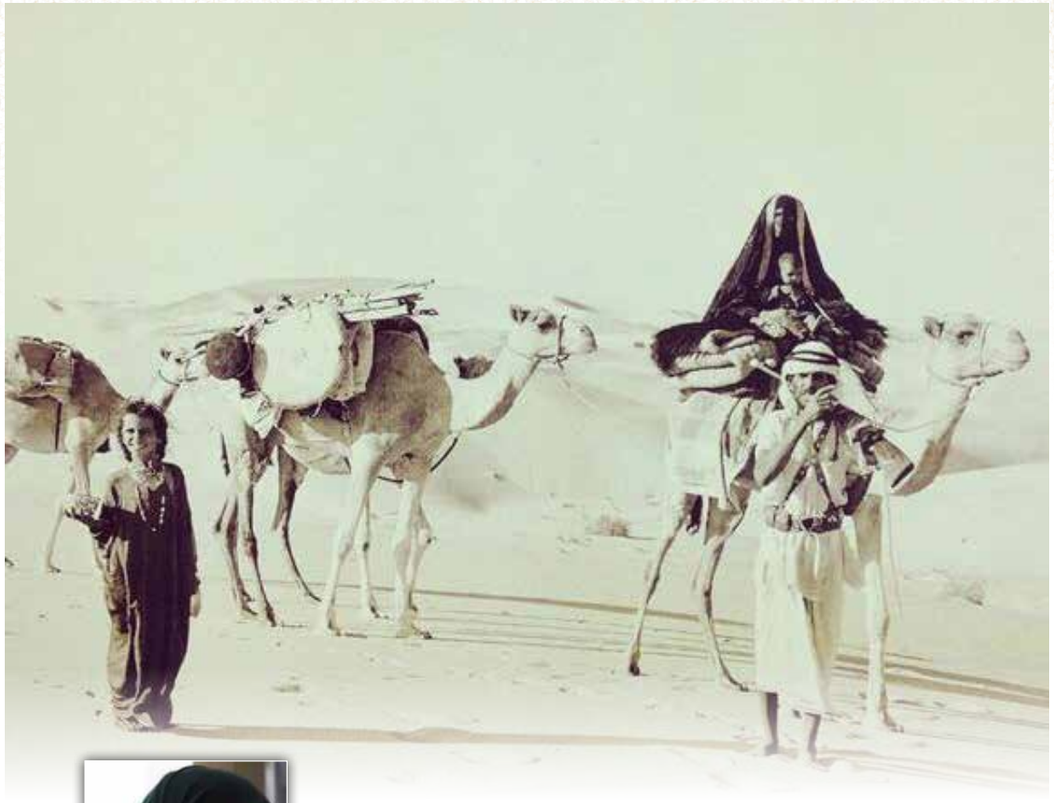

# القيظ

## رحلة من أفواه الحضّار

مريم سلطان المزروعي
كاتبة – الإمارات

قرب الموسم والخشب مد  واشتقت للسيرة وونيت
قرب ذلول عالية شد  وإن روحوا يبغون لمبيت

الصحراء لها مسميات عدة، فهي البادية والبرية والبيداء، وغيرها من المسميات التي كانت تتداول بين أفواه الشعراء، وكُتبت بها القصائد، واشتهرت بها؛ لما تمتاز به من صفات، وإذا جئنا لتعريف الصحراء، فهي منطقة جغرافية قاحلة، تتميز بندرة الأمطار فيها، وقلة النباتات الطبيعية، وظروف





الطقس القاسية التي هي معادية للحياة بالنسبة للإنسان والحيوان والنبات، عاش البدو فيها مئات السنين، ونصبوا خيامهم، واعتمدوا على الإبل في التنقل والترحال، وصنعوا من جلودها القّرب (مفردها القربة، وتصنع من جلد الماعز، وتستخدم في نقل الماء)، وكانت النخلة صديقتهم، يتبعونها أينما وجدت، ويحملون بيوت الشعر الذي تصنعها النساء البدويات، وذلك لسهولة نقلها، وسرعة رفعها ونصبها، فهي الحياة بالنسبة لهم، ويحفرون الطّويان، التي مفردها الطوي، الذي هو البئر، كما أن البدوي لا يحفر لمسافات طويلة، حتى لا ينصدم بظهور الماء المالح، أو ما يطلق عليه الخريجة، كما أنهم كانوا يحوطونه بحطب من شجرة الأرطى التي تنبت في رمال الصحراء، لحماية أطفالهم من السقوط فيه، وهذا السياج يكون قوياً، ويصنع بدقة؛ كي لا يتأثر بالعوامل المناخية والطقس، ويتبعون ضوء القمر، ويشقون طريقهم بالليل اعتماداً على النجوم والدروب. كانت حياة البدوي تمتاز بالقسوة والصعوبة، لكن يسودها الكرم والمحبة والتعاون، كما أن البدوي قبل أن ينتقل من مكان إلى آخر، لابد أن يعرف المكان ويميزه، سواء من شكل «العراقيب» التي هي التلال، أو الأشجار، كشجرة الغاف الكبيرة، التي تبدو كأنها خيمة كبيرة شاسعة الحجم والأغصان، أو يعتمدون على طبيعة الأرض، وعندما يجد البدوي

المنجل (الداس) يستخدم في تقطيع السعف

غايته أو حاجته، ينصب خيمته، ويربطها ويثبتها على موارد المياه، وهو المكان الذي يحتوي على الماء والظل، ويقضون فيها فترة الصيف، وبعضهم يطلق عليها لفظ «المقيظ». و«القيظ» يقصدون به شدة الحر في الصيف.

يقول سهيل المزروعي: «عندما تشتد درجات الحرارة على البدو، كانوا يبنون بيوتاً يطلق عليها (السمّة)، وجمعها (سَميم)؛ أي المصنوعة من خوص النخيل، لتحميهم من الحر، ويرشونها بالماء من الخارج، لتلطف عليهم البيت من الداخل، ويحيطونها بأغصان من شجرة «المرخ»، وفي فترة المساء، يجلسون على أي تل رملي، يبحثون عن الهواء العليل».

يقول محمد الخييلي، من منطقة الخزنة في أبوظبي: «دروب الإبل من أشهر الطرق والدروب التي كنا نرعى فيها، ونبقى فيها فترة الصيف، وقد نبقى فيها فترة أطول تمتد لسنوات؛ لحاجتنا الشديدة، نحن وإبلنا وأغنامنا للماء والمرعى، وهذه المناطق هي: بدع سلمى، وأم النباديق، والنّسورية، واللحمة، ونقرة، وسويحان، وهزع البوش، كما أن البدوي عندما يظعن استعداداً للتنقل، يبدأ بفك بيته وحمله، هو وأغراضه وأسرته على ظهور الإبل، ولكن قبلها يرسلون رجلاً يستكشف المنطقة قبل الذهاب إليها، قد تستقر يوماً كاملاً، حتى يأمن لهم المكان، والبدو عرفوا بالكرم والجود، فقد كانوا يتقاسمون الماء واللبن والحليب»، يقول الشاعر سالم بن صالح الحميري، واصفاً إبل سعيد بن عيسى، عندما كانوا في مورد النسورية، قال:

حبال الليف التي تستخدم في ربط أركان البيت

تسقى النسورية من الأمطار

يا مورد العرب الخواوير

يالي لبنهن يوصل الجار

من عقب ما تروى الخطاطير

ويقصد بالخواوير الإبل كثيرة العطاء، وتمتاز بغزارة اللبن، وبأنها تروي عطش الضيوف بعد الظمأ. يقول عيسى المزروعي، من مدينة أبوظبي، متحدثاً عن فترة القيظ، وكيف كانوا يذهبون إلى المقيظ لقضاء فترة الصيف فيها: «كنا نركب على ظهور الإبل، نقطع مسافات بعيدة للوصول إلى مدينة العين، ومرات كنا نواصل الليل بالنهار، ونحمل معنا النساء والأطفال، وتبدأ الرحلة من صباح اليوم الباكر، لا نستريح إلا وقت الغداء، أو فترة العشاء، وهناك من يحب أن يتجه صوب الإمارات الأخرى، عن طريق البحر، بالخشب؛ أي بالسفن، إلى رؤوس الجبال، أو من رأس الخيمة إلى شعم؛ حيث واحات النخيل العامرة، ولكن مدينة العين أقرب لنا، وكل واحد منا ورغبته، وعلى حسب ما تعود من آبائه وأجداده، كما أننا عندما نصل إلى المقيظ، كانوا يستقبلون الأهالي هناك بكل الحب والمودة، فهم أهل جود وكرم وحشمة، كنا نستظل تحت ظل أشجار الليمون والنخيل والهمبا (المانجو)، نخرف (نقطف) الرطب، ونكنز التمر (تخزين التمر)، ليكفينا طول السنة، أو موسم القيظ القادم، ونحمله معنا في طريق العودة إلى بلادنا».

في كتاب «فلج الذّيد الماء والحياة والنخيل»، يذكر الدكتور سالم زايد الطنيجي: «عندما يقوم ظعون البدو بالتنقل من مكان إلى آخر؛ أي بالقدوم لمنطقة

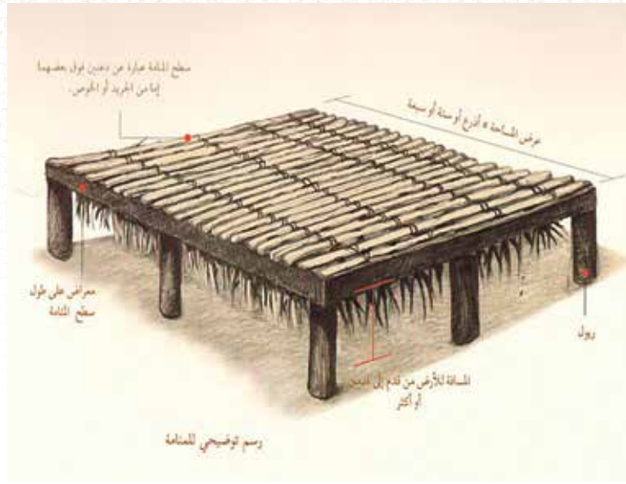


الذيد، كانوا يأتون بالقرب من الشريعة، ويبنون بيوت العرش على عروق الرمال في الجهة الشمالية، وبيوت العرش هذه مصنوعة من سعف النخيل التي كانت منتشرة حول الشريعة، يقول في القصيدة:

يعل السّحاب اللّي تعقّد من الغرب
يبطي على دارٍ تزايد محلها
يسقي على الذّيد العذيّة ويسكب
يحيي الهشيم اللّي بطا في سهلها
نسمع هدير السّيل في باطن الثّقب
خيرٍ تحدّر من مليحة جبلها
ينبت حيا اليفرة وميدق ويعشب
ترعى قميمة لي منتّب أصلها
تلقى ضعين البدو من كل مضرب
قوافلٍ قرب النخيل بحملها
حدٍّ يورّد ع الشريعة ويشرب
وحدّ ينوّح ناقته ويعقلها
وهذا كسع بوشه وهذاك يحلب
وهذه منيحه عن ولدها شملها
وياما حلا بيتٍ على العرج ينصب
وعريش لقطٍ ينبنى من نخلها

نستذكر الماضي ونعشق ونطرب
نشتاق لذكر الشّريعة وأهلها».

يذكر خميس المزروعي: « يبحث البدوي عن موارد المياه؛ لكي يستقر، ويقطن بالقرب منها، فهي العلامة والطريق والمسلك الذي تقوم به الرحلات الجغرافية للبدو، وهناك بعض الرجال يذهبون للبحث عن لقمة العيش، فيذهبون إلى الغوص، فيركب رجال ليوا ظهور الإبل، حتى يصلوا إلى جبل الظنة، ومن جبل الظنة يركبون الجوالبيت، ومفردها الجالبوت؛ أي السفينة، وتذهب النساء والأطفال للمقيظ إلى دبي، وإلى أم سقيم، أو خصب، أو منطقة رؤوس الجبال سعياً وراء الأماكن الباردة الوارفة الظلال، وأهل أبوظبي يذهبون إلى مدينة العين، حيث المياه العذبة الأفلاج، وهي أشهر مقايظ أهالي أبوظبي، فيستغرق الطريق على ظهور الإبل ما يقارب السبعة أيام، ويرجعون بعد شهرين أو ثلاثة أشهر، كما أن بعض العائلات تستقر في بعض الجزر لتقضي الشتاء». وتقول أم أحمد: «هناك أُناس يستأجرون النخيل، لعدم امتلاكهم نخيلاً في مدينة العين، مقابل روبيات بسيطة، ويسكنون بيت العريش التي هي عبارة عن أعمدة من جذوع النخيل، والحبال من ليف النخيل، والسقف عبارة عن دعون، ومفردها دعن، (مصنوع من





سعف النخيل)، والجريد من الداخل، وهذه تبنى على أطراف واحات النخيل في منطقة الجيمي والقطارة، وهناك علاقة قوية ما بين الإنسان والبيئة والنخلة، وكيف أنه لا يستطيع أن يستغني عنها، ويطلق على الذين يحضرون من أماكن بعيدة بالمصطلح المحلي «الحضّار»، وهذه أشبه بمنظومة اقتصادية متكاملة، وكنا نغني:

عود الخضر لي معذبني ويميل شروى الخيزراني
والقيظ ماطول زمانه شهرين والغالي بدوبه

وهذه الأجواء الجميلة التي كان يعيشها الحضّار لها نكهة خاصة، بكل ما فيها من معانٍ، فقد تغنى بها المغنون، وكُتبت فيها القصائد، وقد غنى ميحد حمد في أغنيته «كيف بتصبر»:

يا حلات الغيم والمنظر والمطر والجو هب عادي
عنك خلي كيف بتصبر والشتا توه ترى بادي
في نهاري والمسا تخطر في الصحى وحلوم الرقادي
أنت في عروقي ولا تشعر كل منا صار في وداي
كم بقول وكم بكرر بانك انته غاية امرادي
ليت تسمع ليتك اتقدر بح صوتي كثر ما نادي
قلت عقب القيض بتفكر في الشتا بيحن الفوادي
مرت ابيه كل هالاشهر والصبر ما كان له جادي

# موسم القيظ
## في تراث الإمارات

د. عبدالله المغني
باحث أكاديمي - الإمارات

القيظ يطلق على فصل الصيف في الإمارات، ويقترن ببشارة القيظ، فيقولون «قاظت نخلكم؟»؛ بمعنى هل بانت تباشير نضوجها؟ في هذا الفصل كان السكان ينقسمون إلى قسمين؛ قسم يتوجه إلى البحر في رحلة الغوص والبحث عن اللؤلؤ، ويضم الشباب والعارفين بعوالم البحر وعلومه، والقسم الآخر يشمل النساء والأطفال وكبار السن من الرجال والشباب، ويتوجهون في رحلاتهم إلى مناطق مثل مساي في وكلبا ودبا، وفي الشمال شعم والرمس ونواحي من ساحل الباطنة في عمان، وهذه تسمى رحلات المقيظ.





ومما قيل في القيظ وموسمه ورحلاته وخيراته:

بالرّوف سيّر يا بن اشحام
لا تغث من حلوه معانيه
امقيظٍ في ظل وانعام
شرتا الصّبا قيّل يزاغيه
محروز عن علّات واسقام
ما ضاف باله يوم تلفيه
حافظ على من لف لجدام
واوما بقيلانٍ معاليه

وقيل في رحلتي المقيظ:

هلّ الشّهر واوفن تمامي
هذا الشّهر لي فيه لفراق
حدٍّ نهي بحر الظلامي
وحّدٍّ نهى ع ظْهور خِفّاق

ارتبطت رحلة القيظ بذكريات وحكايات وقصص جميلة، لم يعد لها ذكر في عصرنا، نتيجة العولمة والتقنيات الحديثة، وإن جلها لايزال محفوظاً في ذاكرة الآباء والأجداد، يروونه للأبناء والأحفاد؛ من أجل زرع روح الهوية والانتماء في نفوسهم.

يقترن موسم القيظ في الإمارات بموسم الرطب، الذي يحييه الإماراتيون من كل الفئات العمرية، من خلال جمع التمور بأنواعها، وتجفيفها على أسطح خاصة، مصنوعة من سعف النخيل، وتخزينها بأفضل الطرق للحفاظ عليها لأطول مدة ممكنة، خاصة الطرق القديمة المعروفة لدى الأجداد والآباء، لبيعها، لذلك كانت النخلة شجرة مباركة ذات خير وفير وعميم، بطلعها وسعفها، وثمارها وعطائها وزينتها.

يمتاز النخيل في الإمارات بالإنتاج المبكر، إضافة إلى ثماره الجيدة، حيث تبدأ الشجرة بالإثمار ابتداء من السنة الرابعة لمعظم الأصناف، وأحياناً في السنة الثالثة، وهذا يدل على مدى الرعاية التي تحظى بها مزارع النخيل في كل مناطق الدولة.

وينتهي موسم الجني مع انتهاء موسم القيظ، ودخول موسم «الخريف»؛ أي مع نضوج التمر، وبعد تخزين جزء من التمور في أوعية مصنوعة من

سعف النخيل أو القش، تسمى «اليراب»، أو تخزينه في أوانٍ فخارية مجهزة له.

وتجمع ثمار النخيل على أربع مراحل، هي البسر، وذلك في الأصناف التي يمكن أكل ثمارها بسراً، مثل البارحي واللولو والخنيزي والخصاب والهلالي، وهناك مرحلة ثانية تجمع فيها الثمار عند بداية الترطيب، ويكون ذلك بصفة أساسية في الأصناف المبكرة مثل النغال والمناز؛ للحصول على أسعار عالية في أول الموسم، أما المرحلة الثالثة فتجمع فيها الثمار بعد اكتمال ترطيبها، وتحول معظم المواد النشوية إلى مواد سكرية، ويكون ذلك في الأغلبية العظمى من أصناف النخيل، والمرحلة الأخيرة جمع الثمار بعد جفافها على الأشجار، وتتم في بعض الأصناف التي لا تتلف كثيراً نتيجة ترك ثمارها على الأشجار تجف جفافاً طبيعياً، وبعد جني التمور يقوم الأهالي بتوزيع جزء منها،

ويخزنون الآخر، ويبيعون الفائض منه، ويعتبر ذلك الموسم رمزاً للعمل والعطاء للجميع، حتى بالنسبة إلى الأطفال الذين كانوا يشغلون أوقاتهم بلمّ الرطب والتمور المتساقطة على الأرض. كما يمتاز هذا الموسم بنضج كثير من الفواكه والخضراوات وقطفها، مثل الهمبا (المانجا)، اللومي (الليمون)، والبيذام (اللوز).

كما يقترن هذا الموسم (القيظ) بالعديد من العناصر البيئية والنباتية والحيوانية التي كانت تظهر فيه، أو بدأ السكان يشاهدونها بكثرة في هذا الموسم، ومنها «الراعبية» التي اقترنت كثيراً بذاكرة الشعراء الشعبيين، واحتفوا بها كثيراً في أشعارهم، ومن بينها إحدى قصائد الشاعر الماجدي بن ظاهر، كما ذكرها الشاعر راشد الخضر. ومن الطيور المهاجرة «الصفصوف»، وهو عصفور صغير وضئيل.

وهكذا، فإن موسم القيظ في الذاكرة الشعبية الإماراتية يحمل الكثير من المعاني والقيم والدلالات، منها ما يقترن برحلة القيظ نفسها للبحث عن الأماكن الباردة، أو ما يصاحب هذا الموسم من نباتات وطيور وحشرات وغيرها، مما أصبح اليوم مرتكز اهتمام الجهات والمؤسسات التراثية والثقافية والبيئية وغيرها.

بيد أن ما يثير الشجن هو اختفاء الممارسات التراثية المرتبطة برحلة القيظ تبعاً لانتهاء الرحلة أصلاً، بحكم تغيّر العصر ومعطياته الجديدة، وأصبحت تلك الأجواء الجميلة والذكريات السعيدة مجرد ذكرى عابرة، يتم استحضارها في هذا الموسم،

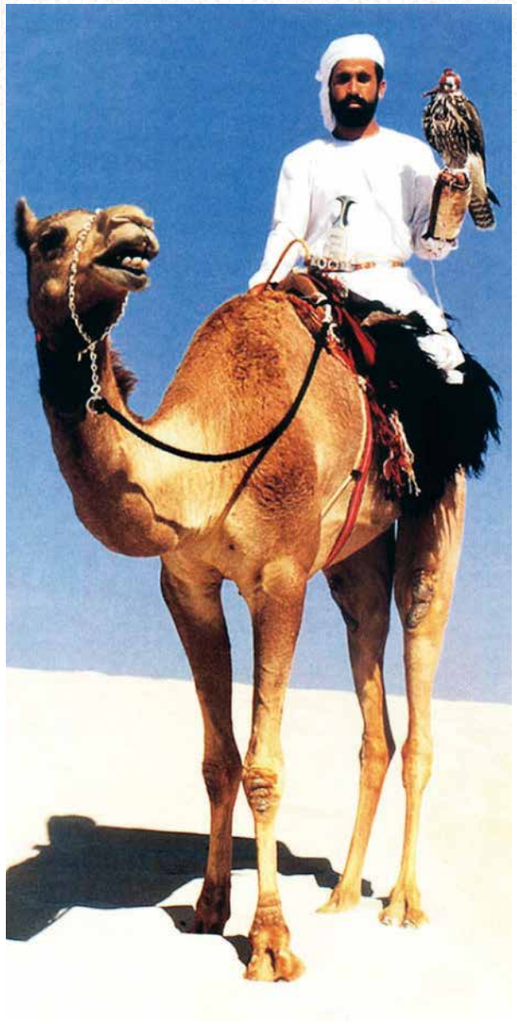

ثم سرعان ما تختفي، وهذا ما يجعلنا ندعو إلى استمرار الاحتفاء بهذه المناسبة؛ لتبقى عالقة في ذاكرة أبناء الإمارات. كما نشيد بجهود معهد الشارقة للتراث، الذي استحدث منذ أكثر من 14 عاماً فعالية تراثية تحت مسمى «بشارة القيظ»؛ للاحتفاء بهذا الموسم وتراثياته.

# الأرشيف الوطني يوثّق ذكريات «المقيظ»

اهتمّ الأرشيف الوطني بالتاريخ الشفاهي الذي يوثّق تاريخ الإمارات وتراثها المعنوي، عن طريق الروايات الشفاهية، وما تناقلته ذاكرة المعمّرين والمخضرمين وشهود العصر، وفي هذا السياق وثّق رحلات «المقيظ» التي لاتزال مجرياتها محفورة في ذاكرة الإماراتيين.

في كتاب «ذاكرتهم تاريخنا»، الصادر عن الأرشيف الوطني توثيقاً لذاكرة الوطن، يتذكر سعيد أحمد ناصر بن لوتاه، من دبي، رحلات المقيظ، فيقول: «كان موسم الغوص يستغرق قرابة أربعة أشهر في عرض البحر، وكان مصدراً رئيساً للرزق، وكانت النساء تحضرن، والحضارة تعني موسم جني الرطب، إلى الباطنة، وعُمان، وشرق رأس الخيمة، وشعم، كما يذهبن إلى مناطق من سلطنة عمان، مثل غمضاء، وخصب، طلباً للماء والرطب، إذ كنّ يذهبن فترة غياب الرجال في موسم الغوص إلى الواحات والمناطق الزراعية؛ لجني الرطب وتخزين التمور».





وغالباً ما تكفلت النساء بالتحضير لرحلة المقيظ وترتيباتها؛ بسبب غياب معظم الرجال وانشغالهم في التحضير لموسم الغوص، وتتفق النساء مع الكري، (صاحب الجمال)، والمسؤول عن تجهيز الإبل التي تحتاجها الرحلة، ويتقاضى على ذلك أجراً، ومهنة الكري مهنة عليها إقبال كبير في موسم المقيظ، وفي بعض المناطق تضطر بعض العائلات إلى السفر بالسفن الشراعية بدل قوافل الإبل، بسبب كثرة المواد والمؤن والهدايا التي تحملها معها في رحلة العودة من المقيظ.

**لؤلؤ وفاكهة**

ويوثّق كتاب «ذاكرتهم تاريخنا» عن رحلات المقيظ، ما قالته الدكتورة عائشة علي أحمد بن سيّار من الشارقة: «في أيام الصيف (المقيظ)، كنا ننتقل إلى المصايف في رأس الخيمة، حيث الجو أقل حرارة، وفيها ماء أكثر، ومزارع للنخل واللوز، والليمون وبعض الخضراوات. كان الأهل يذهبون قديماً إلى مزرعتنا الكبيرة في منطقة شمل فوق برأس الخيمة بحراً، حيث كان محمل الزعابي يأخذ المصطافين من الشارقة إلى رأس الخيمة، ويعود بهم بعد فترة الصيف، وبعد ذلك كانوا ينتقلون في سيارات أغلبها من ماركة اللاندروفر، وكثيراً ما كانت تتعطل، فيحركونها بقضيب حديدي يسمى الـ(هَنْدَلْ)، وهو المقبض (باللغة الإنجليزية)، وكانوا يسيرون حين جزْر الماء بمحاذاة السيف؛ أي الساحل، بعيداً عن الرمال، حتى لا تغرز؛ أي تعلق فيها السيارات».

وتتزامن رحلة المقيظ مع رحلة الغوص في أشهر الصيف، عندما يشدّ الرجال أشرعة السفن للدخول إلى البحر بحثاً عن اللؤلؤ، فيما تتولى النساء شؤون رحلة المقيظ.

ووثّق الكتاب ذكريات عبيد راشد أحمد بن صندل آل علي، الذي قال: «وفي فصل الصيف تذهب النساء إلى المزارع، والرجال يذهبون إلى الغوص، فيأخذ الغيص القواضة؛ أي المقدم المالي الذي يدفعه ممولو سفن الغوص، ويستخدمونه لشراء مستلزمات أسرهم في فترة غيابهم، يتقاسمه الرجل مع أسرته، فيعطيهم ما يشترون به حاجاتهم من المأكل والملبس، ويأتيهم بدوي فيسترزق منها عندما يتعاقدون معه، فيدفعون له منها، مقابل الجِمال التي تقلّهم ومتاعهم إلى عُمان أو ليوا، ويحصل صاحب المزرعة التي يقصدونها على نصيب منه أيضاً، ففي حين يحضر المسافرون أمتعة ومأكولات، يكون لدى صاحب المزرعة الرطب والحمضيات والهمبا؛ أي المانجو، وغيرها، فعاشوا حياة تكاملية في الواحات التي قصدوها».

# أماكن المقيظ قديماً في الإمارات

لرحلة المقيظ سحر خاص لايزال يسكن في الذاكرة الإماراتية، حيث يحتفظ كبار السن بذكريات وتجارب حيّة، اختزلتها ذاكرتهم، يحدثون عنها أحفادهم، كما ارتبط المقيظ بعادات وتقاليد مختلفة، حتى أصبح يحمل أبعاداً ثقافية وتراثية.

لاتزال حكايات المقيظ تكشف عن جوانب مدهشة من حياة أهل الإمارات قديماً، وتبرهن على حسن تصرفهم في اتخاذ التدابير اللازمة للتعامل مع درجات الحرارة والرطوبة العاليتين.

تعتبر واحات مدينة العين الخضراء من أشهر مقايظ الإمارات قديماً، والمناطق المشهورة فيها مثل القطارة والهيلي والمعترض والداوودي والجيمي، كما توجد على مقربة من العين منطقة البريمي، التابعة لعُمان، التي تفضّلها عائلات كثيرة في أبوظبي ودبي والشارقة، وترحل إليها في قوافل جماعية، كما تشتهر محاضر ليوا، وجزيرة دلما والجزر القريبة منها.

وفي الساحل الشرقي تنتشر مناطق السهول الزراعية الممتدة من كلباء جنوباً حتى دبا شمالاً، والتي تكثر فيها أشجار النخيل والفواكه والخضراوات، ومن أهم المقايظ سهول كلباء التي تحتوي على بساتين لأنواع من أشجار الفاكهة، وتضم مختلف أنواع النخيل والآبار العذبة، وتقصدها العائلات من أبوظبي والشارقة ودبي، أما مقيظ دبا فيعد من المقايظ المفضّلة لأهالي الساحل، إذ كان عامل جذب مهم للاصطياف والمقيظ لأنه من الأماكن التي تتوافر فيها المياه العذبة الباردة، وتنتشر فيه حدائق النخيل والفواكه، مثل: المانجا (الهمبا)، والليمون، والموز، والجوافة، وما تضيفه تلك المصايف من الراحة والاستجمام، وتخفيف شدة الحر على مصطافيها.

وقد ورد ذكر هذا المقيظ في الأمثال الشعبية، ومنها «بنحضر دبا وبنشوف مقيظها».

كما تنتشر المقايظ في المناطق الجبلية برأس الخيمة، مثل خت وغليلة والحيل ومعيريض وشعم، بالإضافة إلى دبا ومساي في المنطقة الشرقية، وعادة ما تكون هذه المقايظ وجهات الأهالي المفضلة في وقت الصيف؛ لأن رياح الكوس الباردة تهب عليها في أشهر الصيف من جهة بحر العرب، فتنخفض درجة حرارتها، وتكثر فيها أشجار التين، وخلايا النحل التي تعتبر مصدراً مهماً للعسل الطبيعي في هذه المقايظ.

كما أن هناك عائلات تقضي فترة المقيظ في البراحات، ممن لديها مصالح في المدن أو أعمال ومهن، وتحديداً الذين لا يستطيعون الذهاب إلى المقايظ البعيدة، من محدودي الدخل، أو الذين يشكون أوضاعاً صحية متردية، ومن أكبر البراحات المعروفة في أبوظبي تشتهر منطقة «البراحة»، وفي دبي مناطق مثل «أم سقيم» و «أبوهيل» و«البراحة» و«الوحيدة» و«جميرا»، وفي الشارقة هناك مناطق معروفة ومخصصة للمقيظ، منها «المرقاب» و«النباعة» و«الشرق» و«الفلج» و«اليزيزة» و «لحيرة» و«نخل عبدالله بن رحمة» و«سمنان»، وفي عجمان مناطق «نخل مريم» و«اليوارة»، وفي أم القيوين منطقة «الراس» و الحيل، و«شعم» في رأس الخيمة.



ملف العدد

# الشاعر ورحلة العودة من المقيظ

علي العَبْدان
مدير إدارة التراث الفني
معهد الشارقة للتراث

تعرضُ هذه المقالة نصَّ قصيدةٍ للشاعر الإماراتيّ الراحل محمد بن صنقور، يذكرُ فيها حالاتٍ من رحلةِ عودتهِ إلى بلدتهِ أم القيوين، قادماً من المقيظ في ساحل الباطنة في عُمان، على بعيره (مصيحان)، ويصفُ مواضعَ عدةً مرّ بها أثناء الرحلة، بما يجعلُ من هذه القصيدة نوعاً شعريّاً موجزاً من أدب الرحلات، لكن لابد من التنبيه إلى أن بعض أبيات هذه القصيدة، أو بعض كلماتها قد لا يكونُ كما نظمها الشاعر، بل لعلها تعرّضت إلى بعض التحوير؛ بسبب قِدَم هذه القصيدة، حيث أنشدَها الشاعرُ في حقبة الحرب العالمية الثانية، أو قريباً من نهايتها.

وُلد الشاعر محمد بن صقر بن جمعة، المشهور بالشاعر ابن صنقور، في مدينة أم القيوين في العام الميلادي 1920 تقريباً، وقضى السنين الأولى من صباه وشبابه في بادية أم القيوين، التي كانت تضم مناطق مثل منطقة السرّة ذات الأفضية الجميلة، وهنالك تمرّس شاعرنا في حياة البداوة، وركوب الإبل، والقنص، ومرافقة الرجال، الأمر الذي أهّله للانضمام إلى مرافقي المغفور له، الشيخ أحمد بن راشد المعلا، حاكم أم القيوين الأسبق، وفي ذلك الزمن البعيد كانت أم القيوين وبقية إمارات الساحل عموماً، مازالت تعيش حياة البساطة، وعدم التكلف، إلا ما كان شاقاً من أنواع طلب الرزق، كالغوص على اللؤلؤ، والسفر البعيد، ونحو ذلك، وعلى الرغم من الحاجة وشظف العيش، إلا أن سكان الإمارات لم يَعدموا ما يوفر لهم شيئاً من الراحة والسكينة لنفوسهم، فمن ذلك التمتعُ بالطبيعة الخلابة لشواطئ الساحل، والابتهاج بما كانوا يسمونه النخل، وهي مناطق كانت تنتشر في البر خلف المدن، حيث يقضون بعض فترات الصيف بين النخيل، أو يرحلون إلى المقايظ في فصل الصيف

الحار، الذي يُسمّى القيظ، فيجدون الترويح عن النفس بين أشجار الفاكهة المحلية، مثل الرطب واللوز والسدر والهمبا واللومي والماء المنعش.

كل ما تقدم ذكره من أوصاف الأمكنة من شأنه أن يُشكل أفضلَ بيئةٍ مُلهِمَةٍ لشاعر هادئ مُرهَف الإحساس، كشاعرنا محمد بن صنقور الذي نشأ يرقب ما حَوله، ويُصيخ السمع جيداً، حتى إذا بلغ الرابعة عشرة من عمره تأثر بكلماتٍ ليست كالكلمات، إنها كلمات الشعر التي سمعها من أخيه الأكبر الشاعر جمعة بن صقر بن جمعة، فتأثر بها، وأخذ محمد ابنُ الرابعة عشرة يقول كلماتٍ يحاول نظمها؛ لمحاكاة ما سمعه من أخيه الأكبر من كلام منظوم له أثره في النفس، ومع جريان الوقت، وأيام العمر، أخذت قريحة محمد بن صنقور، تتفتح على عالم جديد، هو عالم الشعر الشعبي، وهو العالم الذي يجتمع لأجل الولوج إليه – إلقاءً أو استماعاً – أفراد المجتمع كافة، كباراً وصغاراً، فقد كان الشعر – بما يحمله من بلاغة لسان، وجزالة وصف، وحسن نظم – إحدى وسائل المعرفة والتسلية النادرة في تلك الأيام الخوالي.

وفي أواسط الأربعينيات من القرن العشرين، بدأ شاعرنا في تلمّس طرقٍ لطلب الرزق، فعمل في مهنة (مكري)، وأخذ ينقل (الكريات) إلى (المقايظ)، وهي المناطق التي يسافر إليها الناس في الصيف لغرض الاصطياف، وذلك مثل الواحات الزراعية كفلج المعلا بإمارة أم القيوين، أو منطقة الباطنة بعُمان،

وغيرهما من المناطق التي تشتهرُ باعتدال مناخها صيفاً، وكذلك بمنتوجاتها الزراعية في هذا الموسم، وكان ذلك العملُ مصدراً لإلهام الشاعر في بعض الأحيان، ففي إحدى رحلات عودته من ساحل الباطنة، بعد قضائه أشهرَ الصيف عام 1945 تقريباً؛ جاءَه إلهامُ الشعر، فوَصف مسيرَ عودته على جمله وصفاً جميلاً في قصيدةٍ مربوعة، حيث كانت عودتُهُ إلى بلدته أم القيوين على ظهر بعيره المسمّى (مصيحان)، كما هو مذكور في القصيدة، وتصفُ القصيدة مسيرَ الشاعر على جمله، وطريقَ القوافل القديم من الباطنة إلى المناطق الوسطى في الإمارات، فيذكر الشاعرُ الكثيرَ من تلك المناطق،

كما يَردُ ذكرُ الشيخ علي بن راشد المعلا، شقيق حاكم أم القيوين الأسبق، الشيخ أحمد بن راشد المعلا، رحم الله الجميع، ومناسبة ذكر الشاعر للشيخ علي هي تخصيصُهُ بالسلام عليه؛ للصداقة والعلاقة الطيبة التي تجمعُ بينهما، وقد ذكره بكنيته (بو حسن)، وهذه القصيدة على كل حال من القصائد التي ينبغي الاعتناء بها دراسةً وشرحاً؛ لما فيها من فن الوصف وأدب الرحلات، وهي من أوزان الهجيني في الشعر الشعبيّ، ووزنُ الشطر الواحد: فاعلاتن فاعْ = /0/0//0/ /00، وقد يكونُ هذا الوزنُ مَجزوءاً من بحر الرمَل، أو من بحر المديد، والله أعلم، يقول ابن صنقور:





هب لي ذعذاع — من طروف الفاع — شا حر الوكار — وان ياه النهار
ذكر المشتاق — لي يخبر وليف — يطلع الصيدات — يلي في الكفيف

ذكر المشتاق — لي عنده اوثاق — شوفه من بعيد — يفرّح سعيد
أيتلت لعواق — وهمومي تهيف — وركبت إيلاه — في الثوره خفيف

رد لي خفاق — لي سيره اشفاق — بشهد مصيحان — لي غالي اثمان
ان خطا «رافاق» — عيل بالصفيف — أخير العربان — ترمس بالنصيف

ان ضرب لحزوم — في سيره هموم — حي ذاك الطور — ما ظني يبور
وان نظرته قلت — جازي من نكيف — شا المطل في الكور — عن غشه نظيف

منحني م الزور — ما سوى غدور — وان طاح المسحاب — زاغاه الشباب
وان خطف ع «القور» — كنه مستخيف — م العصا يهتاب — لوقوفه رديف

عيل المسراح — وفيه سيره انساح — يشبه السحاب — يلي في الحياب
شا المطل وان لاح — شيب هل «غريف» — الليد نشاب — وتسوي وحيف

وان غدف ع «وشاح» — بيبر بنصاح — عيل بالمشام — وانصى للاحشام
المغرد صاح — ويزاغي الريف — بلغ لي سلام — ع شيخ عفيف

ان عرفها الدار — بيزيد المغار — انصى بوحسن — وارمس بالذهن
وقالوا هل «الذيد» — ذا ما له وصيف — وازنه بالمن — والحكي النظيف

# فن الرواح

فـن الـرواح هـو مـن فنـون الإمـارات الأصيلـة والقديمـة، والتـي تختـص بهـا المناطـق الجبليـة، حيـث إن مـؤدي هـذا الفـن هـم قبائـل مـن الشـحوح.

علي العشر
خبير تراث فني
معهد الشارقة للتراث

**طريقة أداء فن الرواح**

يعدّ فن الرواح من أبرز الفنون الشعبية، حيث إنه فن إماراتي أصيل، تتميز به دولة الإمارات العربية المتحدة، وبالتحديد إمارة رأس الخيمة، من حيث وجود أماكن الشحوح الجبلية.

يستخدم في هذا الفن نوع من الطبول النادرة والغالية الثمن، والتي لا تستخدم إلا فيه، حيث إن أشكالها وطريقة صناعتها تختلف تماماً عن الطبول المستخدمة في الفنون الأخرى في الدولة، ومن حيث تصنع هذه الطبول بحفر بجذع شجر السدر، وعدد الطبول المستخدمة في فن الرواح يراوح بين عشرة واثني عشر طبلاً.

**كيف يؤدى فن الرواح؟**

يختلف أداء فن الرواح حسب الوقت الذي يؤدى فيه، بمعنى إذا أُدي في الصباح يسمى السيرح، وحينما يؤدى من وقت الضحى إلى قبل الظهر، يسمى





الصودر، وعندما يؤدى من بعد صلاة الظهر حتى قبل المغرب، يسمى الرواح، وأخيراً عندما يؤدى من بعد صلاة المغرب حتى الفجر يسمى السيري.

**تسمية هذا الفن بالرواح**

يقال إن تسمية هذا الفن بالرواح يعود إلى ترويحه عن النفس، حيث تتكون حلقة الرواح غالباً من أعضاء ينتسبون إلى عائلة واحدة، وقد يلاحظ وجود ثلاثة أجيال في الفرقة الواحدة، ممثلة في الجد والأب والأبناء، يتبعون بعضهم بعضاً.

**متى يؤدى هذا الفن، وكيف؟**

يؤدى هذا الفن في المناسبات الرسمية والأعراس والأعياد وغيرها من المناسبات، ويؤدى من قِبل الرجال فقط، بمعنى أنه لا تدخل فيه النساء.

يقف الرجال الذين يحملون الطبول إلى جانب بعضهم بعضاً في صف طويل وحيد، فيه قليل من الميلان، ويبدأ الجميع بالقرع على الطبول بصورة متشابهة، وهم يمشون خطوة إلى الأمام وأخرى إلى الخلف، ثم يدورون حول أنفسهم، ومع مرور الوقت يتصاعد القرع على الطبول، وتبدأ بعض الطبول منفردة في الإيقاع، حيث تقوم بتشكيل زخرفات إيقاعية جميلة السمع، ثم يأخذ القرع على الطبول يطول شيئاً فشيئاً، بينما يتخلله بين الحين والآخر غناء جماعي للرجال، وهو عبارة عن ترديد لكلمة تغنى بطريقة معينة وهادئة، حيث تغنى حسب الوقت المؤدى فيه هذا الفن، كما أسلفت آنفاً، ومثال على ذلك:

إن كان في الصباح فيقولون: واهو سيرحي. وفي الظهر يقولون: واهو الرواح. وفي الليل يقولون: واهو سيري ياي. حيث إن المغنيين هم ضاربو الطبول، وتتحلق مجموعة الجمهور حولهم.

هذه الصفحة تتناول حياة الناس في الإمارات قديماً... أعمالهم وطرق معيشتهم، وعاداتهم ومعتقداتهم وحكاياتهم، وما يواجهونه من مواقف وطرائف في حياتهم اليومية، من خلال ما رووه شفاهة، أو في المقابلات التي أجريت معهم، ونشرت في الدوريات والكتب.

# الغوص كله جهاد وأهوال ومعاناة[1] (2)

## الحياة على ظهر السفينة

تحدثنا في العدد السابق عن رحلة الغوص، والاستعدادات لها، والمعاناة التي يواجهها العاملون من بداية الرحلة، نتيجة الديون والالتزامات المالية التي تكبلهم؛ بسبب اقتراضهم قبل بداية الرحلة؛ لتوفير ما يلزم لأسرهم خلال فترة غيابهم طيلة موسم الغوص، وفي هذا العدد سنتناول الحياة اليومية على سفينة الغوص، والأعمال التي يقوم بها البحارة في يومهم.

علي أحمد المغني
باحث في التراث الثقافي – الإمارات

تبدأ رحلة الغوص العود (الكبير)، وتبدأ السفن في الإبحار تجاه مغاصات اللؤلؤ، التي تستمر أربعة أشهر وعشرة أيام، في الفترة من أول مايو إلى منتصف أكتوبر تقريباً، عندما يعلن سردال الغوص بدء الرحلة برفع أشرعة سفينته، بعد تأكده من أن جميع السفن قد أنهت استعدادها، وتزوّدت بالمؤن المطلوبة، وأن الرياح مواتية، وحالة البحر مناسبة للإبحار، ويُقال إن الغواويص (مَدّوا) بمعنى أن رحلتهم بدأت، وذهبوا إلى الغوص، وغادروا الساحل، يتبعون سفينة السردال، متوجهين إلى الهيرات (المغاصات) المنتشرة في الخليج العربي.

في أول يوم من أيام الرحلة، يقوم الطباخ بمَهمة تجهيز وجبة العشاء لجميع البحّارة، وهي عبارة عن ذبيحة من الغنم، أمر بها النوخذة احتفالاً ببداية موسم الغوص، بعد صلاة المغرب، يتم تجهيز الطعام، وغَرفه في صحون كبيرة، ليقدم للبحارة، ويقوم النوخذة بتقديم رأس الذبيحة لأحد الغاصة المشهود لهم بأنه ينقف الشيرة (وهي عندما تعلق السّن (المرساة) في قاع البحر)، وهذا تكريم يليق بما سيقوم به الغواص، عندما تعلق السِّنُّ في قاع البحر، ولا يستطيع أحد تحريرها (نقفها) إلا هو، ليتمكن بقية البحّارة من سحبها إلى سطح





السفينة. ويحرص النوخذة كذلك على أن يكون معه على ظهر السفينة كيس بصل، حيث يقوم كل بحّار بأكل رأس في أول يوم من أيام الرحلة، وهذا يكسبهم مناعة من الأمراض.

عند وصول السفينة إلى هير معين للمرة الأولى، يجب التأكد أولاً من توافر المحار في هذا الهير؛ لذلك يأمر النوخذة أحد الغاصة بالنزول؛ ليتفقد قاع البحر، ويتأكد من وجود المحار، ثم ينقل هذه المعلومات للنوخذة، مما رآه من مكونات الهير؛ وذلك ليطمئن النوخذة، ويأمر بطرح السّن وبداية الغوص، ويطلق على هذه العملية «يْبَرِّي القوع».

يبدأ الغاصة الاستعداد للغوص اليومي قبل طلوع الشمس، وذلك بناء على توزيعهم على فَصْلات (مجموعات)، وبما أنهم في بداية موسم الغوص، فإن مياه البحر مازالت باردة نسبياً، فإن مجموع الغاصة الذين هم على ظهر السفينة يقسمون إلى فصْلتين (مجموعتين)، إحداهما تمارس الغوص، والأخرى

بالنـزول إلـى البحـر في أولـى سـاعات الصبـاح لجمـع المحـار، فهـو يقـول: «اطلبـوا ربكـم»، أو: «يـاللّه تْحَتـه»؛ يعنـي انزلـوا تحـت السـفينة، أو يقـول: «يـاللّه بِـرّدِه»، وبـرد السـفينة جانبهـا، وهـو المـكان الـذي يتعلـق فيـه الغـواص بالحبـال، ويقـوم السـيوب بتجهيـز الميـاديف (المجاديف) لتصبـح بـارزة مـن جوانـب السـفينة بزاويـة قائمـة، وهـي أفقيـة علـى سـطح البحـر، ليتـم وضـع حبـال الغـواص عليهـا، ويطلـق علـى الميـاديف في هـذه الحالـة (مْيَلِّـدات).

يقـوم أحـد المكلفـين مـن النوخـذة بالقيـام بِحَصْـرِ عـدد التبّـات لـكل فصلـة (عـدد الغطسـات التـي يقـوم بهـا الغـواص في البحـر) بالنـداء علـى الغاصـة بالقـول «أولامْ يـا غاصـة»، وعـادة مـا يكـون سـيباً لأحـد الغاصـة، وغالبـاً مـا يكـون موقعـه في مؤخـرة السـفينة بالقـرب مـن القـايم، وعبـارة أولَامْ بـا غاصـة تأتـي بمعنـى اسـتعداد ياغاصـة للتبـات القادمـة، وَوالِمْ بمعنـى مسـتَعد، وهـو يسـتخدم مجموعـة مـن القطـع الخشـبية الصغيـرة، التـي يتخَللّهـا حبـل؛ حيـث يربـط هـذا الحبـل علـى آخـر ميـداف (مجـداف)، ممـا يلـي قائـم السـفينة، ويراعـى أن تكـون هـذه القطـع الخشـبية قريبـة مـن السـيب المكلـف هـذه المهمـة، ويحتـوي هـذا الحبـل علـى 12 قطعـة خشـبية، بعـدد التبـات التـي يتوجـب علـى كل فصْلـة (مجموعـة) إنجازهـا، فهـو يقـوم بإزاحـة قطعـة مـع كل تبـة، إلـى أن يصـل إلـى التبـة العاشـرة للفصلـة التـي تقـوم بالغـوص عندهـا يكـرر النـداء مـرة أخـرى «أولام يـا غاصـة»، وهـو أمـر يوجهـه للفصلـة التـي علـى ظهـر السـفينة للاسـتعداد للنـزول، وفي بعـض سـفن الغـوص تتخـذ مـن فقـرات عظـم سـمك القـرش (اليريـور) قطعـة لاسـتخدامها للغـرض نفسـه.

عندمـا يهـم الغـواص بالنـزول إلـى البحـر، يتخـذ لـه موقعـاً خاصـاً أسـفل أحـد المجاديـف، ويتعلـق بالحبـال المربوطـة بهـا، وبقـوم السـيب بإنـزال حبـل الزيـبن، وبـه حصـاة الغـوص، إلـى البحـر؛ لتكـون في عمـق يسـاوي





مسـتوى قـدم الغـواص عنـد نزولـه في البحـر، ليتمكـن مـن الإمسـاك بـه، وإدخـال قدمـه اليسـرى في حلقـة حبـل النعـال الـذي يعلـو الحصـاة، كمـا أن هـذا الحبـل يتمسـك بـه الغـواص، وهـو في انتظـار التبـة التاليـة، ويسـتخدم السـيب المِعبطـة (التـي تمنـع حبـل الزيـبن مـن الانفـلات، بسـبب وزن الحصـاة)، بعـد تمريـر حبـل الزيـبن حـول الميـداف للحفـاظ علـى مسـتوى حبـل الزيـبن والحصـاة.

يَسـتعد الغـواص للغـوص وهـو في وضعيـة مقابلـة للسـفينة، ويدخـل قدمـه اليسـرى في نعـال الحصـاة، ويضـع قدمـه اليمنـى علـى طـوق الديـن، ويمسـك الحبـال بيديـه انتظـاراً لبدايـة التبـة، وعندمـا يكـون مسـتعداً يمـلأ رئتيـه بالهـواء، ويضـع الفطـام علـى أنفـه؛ ليغلـق فتحتـي الأنـف، ويحـرر حبـل المعبطـة بيـده، فتأخـذه الحصـاة إلـى قـاع البحـر، وهـو في وضعيـة عموديـة ورجـلاه للأسـفل، ورأسـه متجهـاً للأعلـى، إلـى أن ترتطـم الحصـاة بقـاع البحـر. وعنـد بلوغـه قـاع البحـر يتحـرر مـن الحصـاة، وذلـك بـأن يخـرج قدمـه مـن حبـل النعـال، ويقـوم السـيب بسـحب حبـل الزيـبن الحامـل للحصـاة إلـى سـطح البحـر، ويقـوم بعَبطـه كمـا كان قبـل نـزول الغيـص إلـى البحـر؛ ليكـون جاهـزاً للتبـة التاليـة، يتجـول الغـواص في قـاع البحـر متخـذاً وضعـاً أفقيـاً موازيـاً لقـاع البحـر، معلقـاً في رقبتـه الديـن (سـلة جمـع المحـار) وحبـل ليـدا مشـبوكاً بأصابـع قدمـه، ويسـتخدم يديـه في قطـع المحـار، ووضعـه في الديـن، إلـى أن يمتـلأ، فيقـوم بسـحب حبـل ليـدا، في إشـارة متعـارف عليهـا بـين الغيـص والسـيب، ليقـوم الأخيـر بسـحبه إلـى سـطح البحـر. كمـا يقـوم بسـحب حبـل ليـدا عنـد نفـاد الهـواء منـه، وحاجتـه للصعـود لملء رئتيـه بالهـواء. أثنـاء الصعـود إلـى الأعلـى يخـرج الغـواص رأسـه مـن حبـل لِعْلِقـة (العلقـة) المثبـت بطـوق الديّـين، ويمسـكه بإحـدى يديـه، ويبقيهـا ممـدودة إلـى أعلـى رأسـه؛ وذلـك لتسـهيل عمليـة سـحبه مـن قبـل السـيب، بعـد أن يحـرّره مـن قدمـه اليمنـى ليصبـح الحبـل مسـتقيماً مـن الديّـين إلـى أعلـى. يقـوم الغـواص بمناولـة السـيب الديّـين الـذي يحتـوي علـى المحـار؛ ليقـوم بوضـع المحـار في مـكان واحـد علـى سـطاح (سـطح) السـفينة، إلـى أن ينتهـي الغـواص مـن 12 تبّـة غـوص، ويقـوم النوخـذة بتدويـن حصيلـة كل غـواص في هـذه الفصلـة في دفتـر الغـوص بعـد كيلهـا، وبعدهـا تبـدأ الفصلـة (المجموعـة) الثانيـة بالغـوص، حيـث يصعـد الغاصـة مـن المجموعـة الأولـى إلـى سـطح السـفينة، وينـزل الغاصـة مـن المجموعـة الثانيـة، وقـد يشـترك الغاصـة مـن المجموعتـين في اسـتخدام المعدات نفسـها، مثـل الحصـاة والديـن والحبـال. ويسـتمر العمـل بهـذه

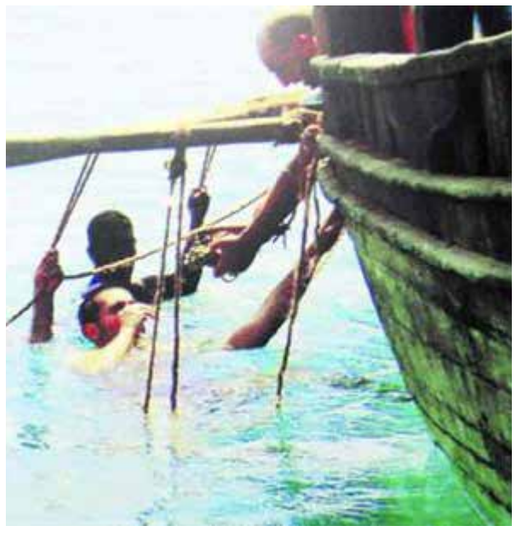

الوتيرة من الصباح إلى غروب الشمس، تتخللها استراحة بسيطة لصلاة الظهر والعصر، كما يقوم لُوّليداتٌ (الأولاد صغار السن) بخدمة الغاصة، مثل إحضار الماء للشرب، وتجهيز الناريلة (النارجيلة) للتدخين، خلال فترة استراحتهم بين التبة والأخرى، ولا توجد وجبات إفطار أو غداء طيلة هذه الفترة، سوى تناول حبات التمر مع القهوة.

عندما يأمر النوخذة بإنهاء عمل اليوم، يطلب من مساعده أن يُهلِّل عليهم، وذلك بأن يقول: «لا إله إلا الله»، وبذلك يصعد الغاصة إلى سطح السفينة، بعد أن أمضوا في هذا العمل الشاق ما يزيد على 14 ساعة، يقوم بعدها النوخذة بعرض نتائج المحصول لكل غواص لهذا اليوم، فيبدأ بالغاصة الأكثر إنتاجاً، ويعرض الأسماء بصوت مسموع للجميع، ثم يسمح لهم بتناول العشاء الذي هم في أمسّ الحاجة إليه، والمكون من الأرز الأبيض والسمك، والذي قام الطباخ بإعداده وغرفه في صوان كبيرة واسعة، بحيث تشترك كل مجموعة من الغاصة حول صينية استعداداً للأكل، بعد الانتهاء من تناول العشاء، يتوجه كل بحّار إلى مكانه المخصص للنوم، حيث يضع حصيره، ويخلد إلى نوم عميق؛ نتيجة للتعب الإرهاق من العمل المستمر منذ صلاة الفجر وحتى المساء.

تتوزع أماكن النوم حسب مكانة وأهمية العاملين على سفينة الغوص، فالنوخذة له مكان مخصص، وهو ما يسمى شبَرِيَّة النوخذة (السرير)، وهو يشبه السرير الخشبي على الجانب الأيمن من السفينة، يتخذه النواخذة مكاناً للنوم، وكذلك للجلوس، ولمراقبة البحارة وهم يعملون، كما أن لمساعد النوخذة مكاناً مماثلاً في الجهة المقابلة للسفينة، ولأهمية الغواص ومكانته، فإنه يسمح له بالنوم فوق الشرباك، وينام بعضهم على الفنّة التفرية (سطح السفينة الخلفي)، أما بقية السيوب فينامون على سطاح (سطح) السفينة، وبعضهم يضع حصيره بين المجاديف الممدودة خارج السفينة، بعد أن يوثِّق بين المجدافين بالحبال ليضع الحصير عليه، ولكن يتوجب عليه أن يفُك هذه الحبال، ويطوي حصيره قبل الفجر؛ وذلك لعدم عرقلة العمل، كما يتوجب على الغاصة الذين يتخذون من الشرباك مكاناً للنوم، أن يقوموا بوضع حبال بين خشب الشرباك؛ ليتمكنوا من وضع الحصير عليه، وقبل الفجر يطوي كُلٌّ منهم حصيره ويضعه في خن السفينة (وسط

السفينة وجوفها)، إلى اليوم الثاني. ولوجود كميات كبيرة من المحار الذي يتم جمعه يومياً، فإنه يحتل مساحات كبيرة من سطح السفينة، بحيث تتبقى أماكن محدودة للنوم عليها، ولذلك يقوم البحارة في المساء بتسويته، ووضع قطعة من السِّميم (جمع سِمّة، وهي من أنواع الحُصُر الكبيرة التي تصنع من سعف الغَضَف)، فوقه لينام عليها، ولوجود هذا المحار لأيام عدة، فإنه يبدأ بالتعفن، وتصدر منه رائحة كريهة؛ ولذلك عليهم أن يتحملوا النوم فوقه، وتقبل رائحته الكريهة، وحرارته تحت أجسامهم طيلة مدة الرحلة.

يستيقظ البحّارة قبل دخول وقت صلاة الفجر على صوت أحد كبار السِّن، وهو يردد: «الصلاة.. الصلاة»، وهو مُكلّف من قِبل النوخذة لإيقاظهم، ليقوم كل بحّار بِطَيّ حصيره وربطه بحبل، ثم يودعه في خِنِّ السفينة، ويقوموا بتجهيز سطاح (سطح) السفينة للعمل القادم، ونقل المحار بوساطة البيل (يستخدم لجرف المحار) إلى مؤخرة السفينة، والتي يطلق عليها حشو المحار، ثم يبدؤون بالوضوء من ماء البحر، استعداداً للصلاة، وبعدها يباشرون العمل مثل اليوم السابق.

يتبع،،،

1. أحمد بن محمد بن ثاني، الغوص بو سبعة أرزاق، (مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث)، دبي، 2019، ص. 274– 278، 285– 299، 310–311؛ عبدالله عبدالرّحمن، الإمارات في ذاكرة أبنائها.... الحياة الاقتصادية، ج2، (هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة – دار الكتب الوطنية)، أبوظبي، ط. 1، 2013، ص. 47–48، 55–56.

# مسيرة الإبل في الشعر النبطي

للإبل فضل كبير على إنسان هذه الأرض، فقد كانت مصدر تغذيته، ووسيلة نقله، ومؤنسة وحدته، وحظيت بمكانة كبيرة في البادية، لم يتبوّأها أي كائن آخر، وفي الشعر النبطي كان حضور الإبل حضوراً مهماً ومتطوّراً عبر الأزمنة، كما تشير إلى ذلك شواهد شعرية كثيرة.

محمد عبدالله نور الدين
كاتب وناقد - الإمارات

كانت الإبل حاضرة في قصائد الشعر النبطي منذ قصائد الماجدي بن ظاهر، وهو أقدم شاعرٍ إماراتي وصلتنا أشعاره، ولكن هذا الحضور اختلف بصورة أو بأخرى بعد عصر الماجدي، فالحضور في البدء كان حضوراً مرتبطاً ارتباطاً موضوعياً بالقصيدة، حيث كانت الإبل حاضرة كمشهدٍ من مشاهد الموضوع، كما في هذا المثال:





وأنا كلما نادى المنادي لرحلته
ودنوا لشوقي مدنيات الذلايل
فلا طاب لي نومٍ ولا لذ لي الكرى
سوى القلب من لابي جواليه جايل

إلى أن يقول:

وعني تنايوا به ديارٍ بعيدة
على ظهور عيرات البكار الذلايل

ففي هذا المثال يصوّر الماجدي ارتحال المحبوب كصورة واقعية، ويعرض أثر هذه الصورة في نفسه ومشاعره، كأن الشعرية في بيان أثر الواقع على الشاعر، وفي مثال آخر:

على بزّلٍ شلوا من الخود ما بغوا
وخلّوا من الأثلاث جاني سوادها

فصورة انتقال الخود على ظهور الإبل، وبقاء الأثاث بعد رحيلهم، انطبعت في ذهن الماجدي انعكاساً للواقع، فكما نلاحظ أن الماجدي اعتمد الأسلوب الخبري في استحضار صورة من الصور العالقة في ذاكرته، وإن لم تكن الإبل هي بطلة الصورة، ولكنها تبقى عنصراً مهماً من عناصر الصورة، ففي ترابط حركة المطية مع تمايل المحبوب على ظهرها تحوّلٌ في الحالة الشعورية السائدة، وإنذار بدخول مرحلة جديدة من التباعد والتواصل.

«وقد وردت الإبل في شعر ابن ظاهر 22 مرة، منها 15 مرة بصيغة المفرد، و7 مرات بصيغة الجمع»[1]، وهذه الإحصائية تدل على أن حضور الإبل بهذه الكثرة له دلالات علائقية مباشرة، وإن هذه الطريقة في الصياغة كانت من الأساليب الأولى، سواء عند عامة الشعراء في ذلك العصر، أو عند ابن ظاهر، وإن لم يصلنا من ذلك العصر سوى قصائد ابن ظاهر.

ولكن سرعان ما تغيرت الصورة بعد ذلك في مرحلة شعراء النصف الأول من القرن التاسع عشر، تلك المرحلة التي ضمت شعراء كباراً، كالشيخ خليفة بن شخبوط وعلي بن محين ويعقوب الحاتمي وجويهر الصايغ، حيث نجد أن هناك حضوراً مختلفاً للإبل، حتى أصبحت جزءاً من تقاليد القصيدة الشعبية، وجزءاً من الحل الموضوعي، وبالذات حينما لا يجد الشاعر حلّاً لموضوعه إلا أن ينتقل هو أو مندوبه إلى الطرف الآخر، ففي تغيير المكان ستتغير الظروف والمعطيات، وقد يكون الحل للموضوع الذي يعانيه الشاعر، والأمثلة كثيرة في ذلك:

يا صاحبي قم ثرها  على حلوة صفيف
دنيا زهت بامرها  تمّن بالمستخيف
مرّح جانب قصرها  كم خاطرٍ ومضيف[2]

نلاحظ أن الصيغة في هذا المثال لم تعد في الماضي، بل تحولت إلى صيغة أمر ومضارع، وهو تحوّل أيضاً إلى الأسلوب الإنشائي، بعدما كان الأسلوب الخبري سائداً في شعر ابن ظاهر في هذه الصور، وهذه الحضور المختلف للإبل في الشعر الشعبي، هو تطوّر في الشعر من منظوري، وعلى مستوى الشعراء المجددين عند معاصري جويهر الصايغ، ففي مثال من شعر الشيخ خليفة بن شخبوط آل نهيان نجد:

قم رد لي يا شايم  شقرا طويلة باع[3]
لي بالمخب تزايم  تدعي اليديل اقطاع[4]

نلاحظ كيف أن الشاعر يختار أكثر من فعل أمر في صيغة إنشائية لرسم صورة انتقاله، بينما كان بالإمكان استخدام صيغة خبرية لذلك، وهذا يؤكد أن هذه الطريقة في التناول أصبحت شائقة أكثر ولافتة لانتباه المتلقين، وهذا ما تتطلبه مطالع القصائد عادة، لنر المثال التالي لعلي بن محين، وهو من شعراء تلك الفترة أيضاً:

يا مشيمٍ فوق شملالٍ حذير
من عصا الركّاب ماهوب الهدان[5]
يستغيض من المثار وهو نذير
عيدهي العنس من ربوة عمان[6]

إلى أن يقول بعد أن يصف الرحلة والراحلة في ستة أبيات:

بلّغ الملّا سلام بلا وزير
قريته ما هيب من بعد المكان[7]

وهنا مثال آخر من شعر يعقوب الحاتمي:

قم يا رسول على شد حول
تشادي الزول فريد النعام
دعاها الهجير تحث المسير
لنحو الغدير كضو السهام

إلى أن يقول بعد أن يصف الرحلة والراحلة في

خمسة أبيات:

بخط اليراع أديبٍ مطاع
لهُ باستراع حسين النظام
يرد الجواب ومعنى الكتاب
لعالي الجناب وفي الذمام[8]

نلاحظ أن الحاتمي أيضاً ينحو أسلوب ابن محين في الإسهاب في استحضار صورة ركوب المطية، على الرغم من عدم وجود مسوّغ موضوعي لذلك، إلا أن المبالغة في هذا المقام تزيد في أهمية هذا الصورة، ما يجعلها محل تقدير واهتمام المستمع، ومدعاة لجذب انتباهه للقصيدة وموضوعها، ويكفي ذلك مسوّغاً للشاعر في استعراض قدراته الوصفية في هذه الصورة.

وأما جويهر فقد تميز أيضاً بطرق تناوله الصور التي تكون الإبل جزءاً منها، ففي هذا المثال نجده أقرب إلى الأسلوب القديم الذي انتهجه ابن ظاهر في الوصف:

ما ركبوهن شواوي  إلا عرب وظفين
على فقرهن محاوي  جوخٍ ضربه قطين[9]

فجويهر يصف جلوس الجميلاتٍ على ظهور نوقٍ معدة سلفاً بالشداد الفاخرة، كناية على علو منزلتهن، وهذه الصورة انعكاس لصورة مطبوعة في ذهن الشاعر، يقدمها لنا لنشاركه حالته الشعورية، ولكن قد لا يشعر الآخرون بجويهر؛ لذلك يلجأ إلى التدخل المباشر والتصرّف بنفسه؛ أي التحكّم بالصورة من خلال الأوامر الشعرية التي يصدرها، ومنها حينما يأمر الجمّالة (أي من يقودون الركب)، بمراعاة وجود محبوبه على ظهر إحدى النياق، فيقول:

وصّيت له جمّاله  واحد واحد عليه
خلّوا السعن يبرى له  لا يعطش وا عليه[10]

وهذا التطور في الأسلوب مسوّغ جداً، فبعد تكرار الصور الوصفية الواقعية، أصبح المتلقي معتاداً على تلك الصور، وبالتالي يخفّ أثر الصور في المتلّقي، والشاعر يحاول بتغيير أسلوبه أن يسترجع ذلك الأثر، وأن تستعيد قصيدته بريقها مرة أخرى.

وفي المثال التالي، قد نجد دليلاً مهماً على هذا التطوّر في الأسلوب:

يا نوق يا حنّانه  قبل بزوغ الفجر
بك م العرب ولهانه  والا قصور الشجر
قالت فرقت اوطانه  بوحيّاتٍ سمر
لي ما واقع يرانه  ولا كد حسه ظهر[11]

ففي هذه القصيدة نلاحظ أن الشاعر يسقط مشاعره على الناقة قبل بداية القصيدة، وتبدأ القصيدة والناقة متأثرة بحال الشاعر، ولعل هذا التصوير المتقدّم لا يتوافق مع شاعر قديم كجويهر، ولكنني أرى أن هذه القصيدة ليست إلا قصيدة من قصائد جويهر، إذ إنها تحاكي أسلوب قصيدة مشهورة أخرى له يقول فيها:

بنشدج يا الكندورة  عن من خاط ودرز
قالت حسين الصورة  لي في الرايح برز
م العام أنا محوره  وميوّده في المز[12]

وهذه من أشهر قصائد جويهر، وفيها يخاطب الكندورة، كما كان يخاطب النوق في المثال السابق، والأولى أنه يخاطب كائناً حياً؛ أي غير عاقل، قبل أن يخاطب الأشياء، ناهيك عن أنه يتوجه بالسؤال في المثال الثاني؛ أي أنه ينتظر الجواب من «الكندورة»، بينما لم ينتظر الجواب من الناقة التي أجابته، كما أجابت الكندورة وهذه المقارنات من الأدلة التي تثبت نسبة القصيدة إلى جويهر الصايغ، وكيف أنه استطاع تطوير الصورة الشعرية في قصيدته. ونجد أثر هذا الأسلوب في قصائد





شعراء العصر التالي، كما هو المثال التالي من شعر سعيد بن عتيج الهاملي:

أصبحت يا شقرايه  عيلٍ على المسراح
ويلاك هب ع الغاية  ما من عظام صِحاح
صابك وزا شروايه  من بو هدب نضاح[13]

فالشاعر المريض يريد أن يمتطي ظهر الناقة، ولكنه يراها مريضة، فيخاطبها في هذه القصيدة، كما كان جويهر يخاطب النوق في المثال الأسبق، وقد لا تكون الناقة مريضة كما يظهر الشاعر في القصيدة، وإنما هي حالة إسقاط لمشاعره على البيئة المحيطة به؛ لذا يتخيّل التعب والوهن في الناقة، وهو انعكاس للتعب والوهن الداخلي الذي يعانيه.

وتطور حضور الإبل في القصيدة النبطية في عصرنا، وإن كان المجال لا يسع هنا لذكر مدى هذا التطور، لكن لابد من مثال على هذا التطوّر، واخترت لكم مطلع قصيدة للدكتور مانع العتيبة:

نوق شوقي باتن حيامي  فوق ماكم يا مضانيني
ليت تسقي خلّي الضامي  م الغرام او تيي تواسيني

نلاحظ أن الإبل لم يعد لها وجود واقعي أو افتراضي في القصيدة، بل تحوّل هذا الحضور إلى حضور رمزي، فالشاعر هنا يستعير تحمّل النوق؛ لبيان حالة تحمّل الشوق عنده، وفي هذه الاستعارة الجميلة دليل واضح على بلوغ الناقة منزلة رمزية، وهي منزلة تبوأتها بعد قرون من الحضور الشعري، وبعد غياب عن مشهد الحياة الاجتماعية أو المدنية؛ لذلك أصبح الشاعر يجد في استحضار الصور الواقعية أو الافتراضية فارقاً زمنياً شاسعاً بينه وبين المتلقين؛ لذلك يلجأ إلى استثمار الإبل في القصيدة كرمز من البيئة والتراث، لا يختلف عليهما أحد.

خلاصة القول إن حضور الإبل في الشعر النبطي تطوّر مع مرور الزمن، ولم يعد حضور الإبل كما كان سابقاً مشهداً واقعياً يستحضره الشاعر كصورة سينمائية، تمثل جزءاً من موضوع القصيدة، وإنما أصبح حضوراً لإضاءة القصيدة بومضات تخيلية، يرسمها الشاعر في خياله وخيال المتلقي، وتحتاج إلى وقفات عدة لفهم عمق ذلك.

1- عياش يحياوي، ابن ظاهر شاعر القلق والماء، ص121.
2- حمد خليفة بوشهاب، جريدة البيان، ص10، 28 نوفمبر 1981.
3- الشايم: الراحل. شقرا: ناقة شقراء.
4- المخب: ضرب من ركض الإبل، تزايم: تشد. تدعي الجديل اقطاع: تتسبب في قطع الخطام. مصدر القصيدة حماد الخاطري: أعذب الألفاظ من ذاكرة الحفاظ، ج1، ص143.
5- مشيم: المسافر. شملال: من الإبل الأصيلة. الحذير: المتيقظ. الهدان: الخمول.
6- يستغيض من المثار: يظهر غضبه إن أمره الراكب. نذير: كناية عن حماية راكبه من المخاطر.
7- الملا: لقب شخص. وزير: من الوزر بمعنى الخطأ والذنب. مصدر القصيدة من ديوان الشاعر محين الشامسي، د. فالح حنظل، ص49.
8- يعقوب الحاتمي سيرته وأشعاره، سلطان العميمي، ص73.
9- جريدة البيان، ص11، 17 أكتوبر 1981.
10- حمد خليفة بوشهاب: جريدة البيان، ص 11، 22 أغسطس 1981.
11- حساب تويتر @DRRALMAZROOI بتاريخ 2 إبريل 2021.
12- جريدة البيان، ص11، 15 أغسطس 1981.
13- تراثنا من الشعر الشعبي، ج2، ص 46.

# القراءة.. كوكب آخر!

أحبابي القُرّاء: استوصوا بالقراءة حُبّاً وقُرباً، إنها كوكب آخر غير كوكبنا الذي نسكنه، لقد أعطتني القراءة ما لم أُعطه لنفسي؛ لأنها لما أحسّت بصدقي معها، أصبحت لي المفتاح الذي يفتح لي أبواباً إلى العلم والمعرفة، والقلوب والآفاق الشاسعة الرحبة.

حسين الراوي
كاتب – الكويت

عزيزي القارئ: عبر هذه السطور سأُطلعك على صور جميلة جداً من أحوال بعض السلف السابقين، مع الكِتاب والقراءة، أنقلها إليك بعناية؛ كي تدرك كيف كانت أهمية القراءة والكتب عندهم، وكيف كانوا يهتمون بوقتهم وببنائهم الفكري.

قال المأمون: «لا شيء آثر للنفس، ولا أشرح للصدر، ولا أوفر للعرض، ولا أزكى للقلب، ولا أبسط للسان،ولا أشد للجنان، ولا أكثر وفاقاً ولا أقل خلافاً، ولا أبلغ إشارة، ولا أكثر عبارة، من كتاب تكثر فائدته، وتقل مؤونته، وتسقط





غائلته، وتحمد عاقبته، وهو مُحدثٌ لا يُمل».

قال الحسن بن سهل: كان المأمون ينام والدفاتر حول فراشه، ينظر فيها متى انتبه من نومه وقبل أن ينام. وكان يوصي ويقول: «استعن على وحشة الغربة بقراءة الكتب، فإنها ألسنٌ ناطقة، وعيون رامقة».

قال أحد العارفين: الْكِتَابُ تُؤَدِّبُكَ عَجَائِبُهُ، وَتَسُرُّكَ طَرَائِفُهُ، وَتُضْحِكُكَ مُلَحُهُ وَنَوَادِرُهُ، وَهُوَ نُزْهَةُ الْأَدِيبِ عِنْدَ لَذَّتِهِ، وَمُتْعَتُهُ عِنْدَ خَلْوَتِهِ، وَتُحْفَتُهُ عِنْدَ نَشَاطِهِ، وَأَنْسُهُ عِنْدَ انْبِسَاطِهِ، ومستراحه من همه، ومسلاته من غمه، وعوضه من جليس السوء، وسخف الأماني، ومستقبح الشهوات، وهو روضة مجلسه، وبستان يده، وأنيس يكون معه.

وكان عبدالله بن عبدالله بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز لا يجالس الناس، ونزل المقبرة، فكان لا يكاد يرى إلا وفي يده دفتر، فسُئل عن ذلك فقال: لم أر قط أوعظ من قبر، ولا أنفع من دفتر، ولا أسلم من وحدة.

وقال أبو عمرو بن العلاء: «ما دخلت على رجل قط، ولا مررت ببابه فرأيته ينظر في دفتر، وجليسه فارغ، إلا حكمت عليه، واعتقدت أنه أفضل منه عقلاً».

وروى عن الحسن اللؤلؤي أنه قال: «لقد غبرت لي أربعون عاماً، ما قمت ولا نمت إلا والكتاب على صدري».

وقال شفيق بن إبراهيم البلخي: قلنا لعبدالله بن مبارك: إذا صليت معنا، فلم لا تجلس معنا؟ قال: أذهب فأجلس مع التابعين والصحابة. قلنا: فأين التابعون والصحابة؟! قال: أذهب، فأنظر في كُتبي، فأدرك آثارهم وأعمالهم. فما أصنع معكم؟ وأنتم تجلسون تغتابون الناس!

واشترى الفيروزآبادي بخمسين ألف مثقال ذهباً كُتباً، وكان لا يسافر إلا ومعه أحمال منها، ينظر فيها كلما نزل في سفره.

وقيل لبعضهم: من يؤنسك؟ فضرب بيده على كتبه، وقال: هذه. فقيل: ومن الناس؟ فقال: الذين فيها.

وكانوا – رحمهم الله – يقرؤون في جميع أحوالهم، يقول ابن القيم: «واعرف من أصابه مرض من صداع وحمى، وكان الكتاب عند رأسه، فإذا وجد إفاقة قرأ فيه، وإذا غُلب وضعه، فدخل عليه الطبيب يوماً وهو كذلك، فقال له: إن هذا لا يحل لك».

قال أبو العباس المبرد: ما رأيت أحرص على العلم من ثلاثة: الجاحظ والفتح بن خاقان وإسماعيل بن إسحاق القاضي، فأما الجاحظ، فإنه كان إذا وقع في يده كتاب قرأه من أوله إلى آخره، أيّ كتاب كان. وأما الفتح فكان يحمل الكتاب في جيبه، فإذا قام من بين يدي الخليفة المتوكل، أخرج الكتاب فنظر فيه، وهو يمشي، حتى يبلغ الموضع الذي يريد، ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه إلى أن يأخذ مجلسه. وأما إسماعيل بن إسحاق، فإني ما دخلت عليه قط إلا وفي يده كتاب ينظر فيه، أو يقلب الكتب، أو طلب كتاباً ينظر فيه.

ولقد كان حرص السلف وعلماء المسلمين على

جمع الكتب والنظر فيها عظيماً، قال ابن الجوزي – رحمه الله: «إني أخبر عن حالي ما أشبع من طالعة الكتب، وإذا رأيت كتاباً لم أره، فكأني وقعت على كنز، ولو قلت إني طالعت عشرين ألف مجلد، كان أكثر، وأنا بعد في الطلب».

وكان السلف ينفقون في تحصيل الكتب الأموال الكثيرة، وربما أنفق بعضهم كل ما يملك في ذلك، وقال بعضهم لما عاتبته زوجته في كثرة ما ينفق على الكتب:

وقائلة أنفقت في الكتب ما حَوَت

يمينك من مال، فقلت دعيني

لعلي أرى فيها كتاباً يدلني

لأخذ كتابي آمناً بيميني

والأديب الجاحظ جاء في سبب وفاته، أنه كانت لديه مكتبة، فيها الكثير من الكتب التي أدمن قراءتها، وفي يوم من الأيام، عندما كان في مكتبته، وأراد أن يتناول أحد الكُتب التي في الأرفف العلوية، سقطت عليه الكُتب، ومات تحتها!

وذكر أن أبو البركات، جد شيخ الإسلام ابن تيمية، كان مولعاً بالقراءة ، حتى إنه كان يستأجر له من يقرأ الكُتب، عندما يدخل إلى الحمام ليستحم!

وذكر كذلك أن العالم الجليل ابن القيم، بعد أن توفاه الله أخذ أولاده، وأحفاده يبيعون من الكُتب الكثيرة التي كان يملكها؛ لكيّ يعتاشوا بثمنها.

وذكر أن زوجة الإمام الزهري كانت تقف أمامه، وهو منهمك في القراءة، وتقول: والله إن هذه الكُتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر!





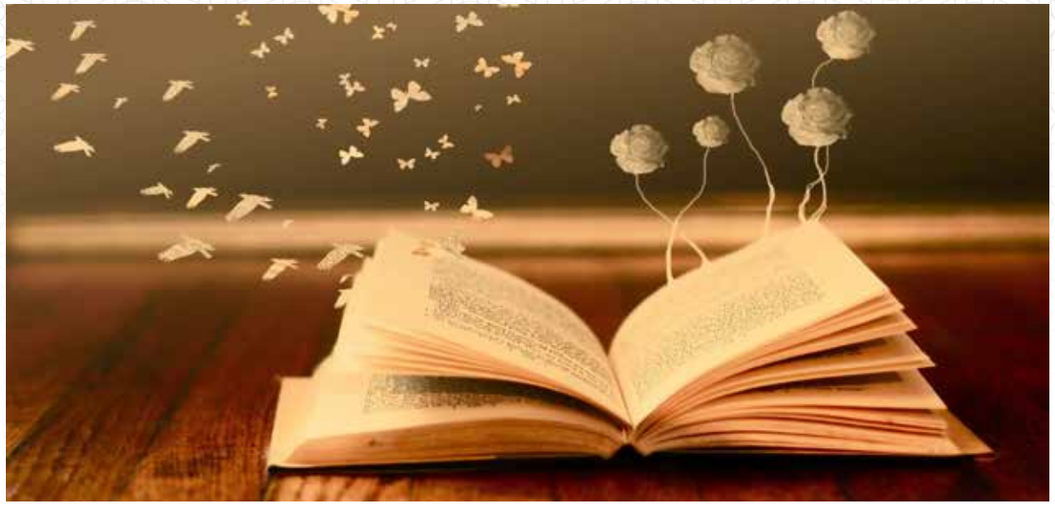

وذكر عن القاضي الجرجاني أنه طلب من الوالي عزله من القضاء؛ ليتفرغ لقراءة الكُتب التي ابتعد عنها بسبب توليه القضاء! وبعد أن تم عزله بعد إلحاح منه، لزم البيت، وكتب على بابه هذه الأبيات:

أنستُ بوحدتي ولزمتُ بيتي

فدام لي الأُنس ونما السُرورُ

وأدبني الزمانُ فلا أُبالي

هُجِرتُ فلا أُزارُ ولا أزورُ

ولست بسائلٍ مادمت حياً

أسار الجيشُ أم ركب الأميرُ؟

وقال الإمام ابن القيم في كتابه «روضة المحبِّين»: «وحدَّثني شيخنا – يعني ابنَ تيمية – قال: ابتدأني مرضٌ، فقال لي الطبيب: إن مُطالعتك وكلامك في العلم يزيد المرض، فقلت له: لا أصبر على ذلك، وأنا أحاكمك إلى علمك، أليست النفس إذا فرحت وسُرَّت وقَوِيت الطبيعةُ، دفعت المرضَ؟ فقال: بلى، فقلت له: فإن نفسي تُسرُّ بالعلم فتقوى به الطبيعةُ، فأجدُ راحةً، فقال: هذا خارجٌ على علاجنا».

وذكر أن العلامة محمد ناصر الدين الألباني، كان يقضي معظم وقته في المكتبة الظاهرية بدمشق، وكان أحياناً يأكل ويشرب وينام في داخلها! وكان موظفو المكتبة يغلقون عليه باب المكتبة، ويذهبون إلى حال سبيلهم، حتى يلتقوا به في اليوم الآخر، وهذا كله بسبب حُبه للقراءة والعلم، وفي يوم من الأيام اجتمع مدير مكتبة الظاهرية بكل موظفي المكتبة، فلما جلس أخذ يحدق بهم، واحداً تلو الآخر، ثم سأل: أين ذلك الموظف الذي لم أره قط إلا وفي يده كتاب يقرؤه؟ وكان يقصد بذلك الشيخ الألباني، فقالوا له: عفواً حضرة المدير، إن ذلك الرجل ليس موظفاً معنا في المكتبة، إنما هو من أصدقاء المكتبة!

إلى هنا تنتهي سطور هذا المقال أحبابي، وأعود وأكرر ما قلته في البداية: استوصوا بالقراءة حُبّاً وقُرباً.

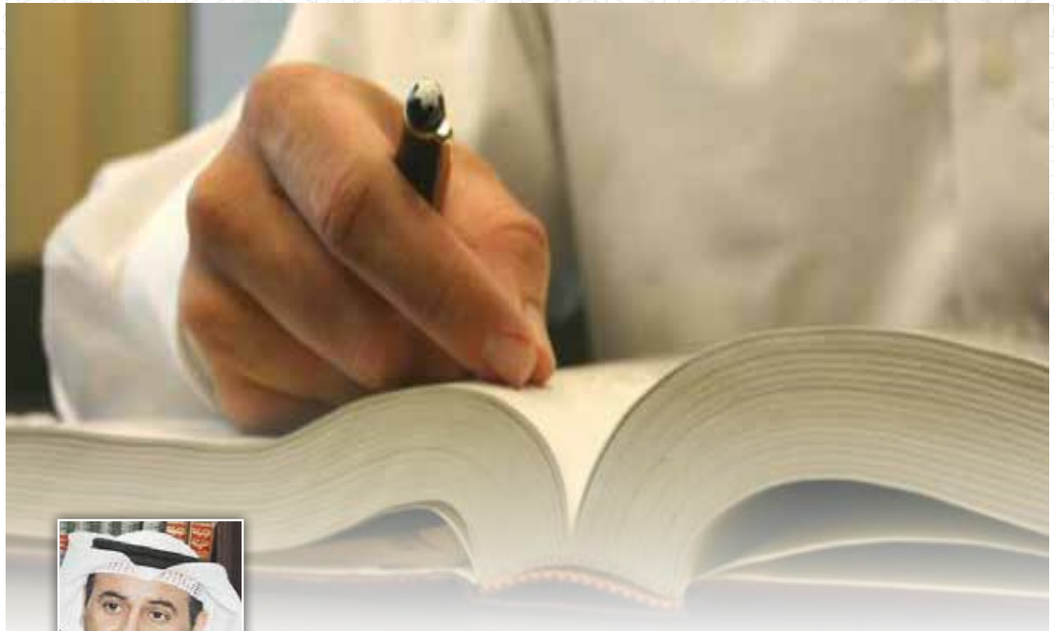

# إشكالية المؤرخين مع كتب قيد التأليف

أ. طلال سعد الرميضي
كاتب – الكويت

نسمع ونقرأ عن كثير من الباحثين في التراث الشعبي في وطننا العربي، بأن لديهم مشاريع جديدة لتأليف كتب عن موضوعات مهمة من تاريخنا الفائت، وأعلامه وحوادثه التي لم تصلها أقلام السابقين، ويذكرون بأنها «كتب قيد التأليف».

ويصرخون بها عبر وسائل الإعلام المرئية أو المسموعة، أو يكتبونها عند خانة مؤلفات الكاتب في السير الذاتية، لكن قد يطول صبرنا لصدور هذه الكتب التي ننتظرها بلهفة وشوق كبيرين، ونزور المكتبات ومعارض الكتب للبحث عنها بين الحين والآخر، والسؤال عن جديد الكاتب الفلاني، ويخيب رجاؤنا، ويطول صبرنا؛ لعدم صدور هذا الكتاب الذي وعدنا به الباحث بأنه في طريقه للمطابع ودور النشر، ونستغرب في قرارة أنفسنا عن سبب التأخير في صدوره.

هذه الإشكالية الكبرى التي تعرف بكتاب قيد التأليف، وتكون مرتبطة بكلمة «سوف»،

هي ظاهرة تواجه كثير من الباحثين والمؤرخين منذ

سيف مرزوق الشملان

أحمد البشر الرومي

القدم، لها أسبابها وعوائقها التي أدت إلى ذلك، وقد أشار، على سبيل المثال، المؤرخ سيف مرزوق الشملان، في مقدمة كتابه «من تاريخ الكويت» الصادر عام 1959م، بأن لديه بضعة مؤلفات قيد الدرس والتحقيق، منها كتاب خاص عن تاريخ علم الكويت، وكتاب عن أخبار البادية، وكتاب ثالث عن حياة جده شملان بن سيف وأعماله، وكتاب رابع يضم قصائد فصيحة ونبطية لمجموعة من الشعراء، وكتاب عن عنترة بن شداد العبسي، وغيرها، ولم يصدر أي كتاب منها حتى يومنا هذا، على الرغم من بلوغه الرابعة والتسعين من عمره.

وأتذكر في هذا الصدد أنني كتبت مقالاً تحت عنوان «سنوات الضياع الأدبي»، في مجلة البيان في عدد يونيو 2017م، والتي كنت أترأس تحريرها آنذاك، والصادرة عن رابطة الأدباء الكويتيين، وذكرت في هذا المقال أنه «تمر على الكاتب سنوات عجاف، ينشغل فيها عن الكتابة والتأليف بشكل كبير، لظروف اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو صحية، وغيرها من الموانع الحياتية، ويستمر الجفاء والانفصال مدة من الزمن، قد تطول لسنوات عديدة، وقد تكون أبدية في أسوأ الأحوال، وتسهم في قتل الإبداع لديه».

وأتذكر أيضاً ما يعرف بين الباحثين بمخطوطة بودي، لصاحبها الأستاذ محمد بودي، يرحمه الله، الذي قضى سنوات طويلة يجمع قصائد الشعر النبطي، وراسل الباحثين في مختلف بلدان الخليج العربي، وجمع مجموعة قيّمة ونادرة عن كل شاعر على حدة، وعمد إلى إعدادها وترتيبها وكتابتها في دفتر كشكول كبير، بخط جميل مرتب، وتنسيق رائع، حتى اعتراه المرض، وساءت حالته الصحية، واعتزل الناس حتى وفاته عام 1964م، وتسربت أجزاء من هذه المخطوطة التي اشتهرت

بين الباحثين بمخطوطة بودي، ولم ترَ النور، وظلّت قيد التأليف حتى الآن، على الرغم من نهش كثير من المؤلفين منها دون الإشارة إليها.

وقد أقرّ المؤرخ سيف الشملان في هذه الإشكالية بقوله: «إن فيه عيبين ذميمين، هما علة العلل، وهما سبب تأخره في عدم طبع أي مؤلف من مؤلفاته السالفة الذكر، والعيب الأول هو عدم استقراره على موضوع واحد حتى ينهيه، ثم يتفرّغ للموضوع الذي يليه، والعيب الثاني هو تعمقه في البحث والاستقصاء، فلا يقنع بما لديه، ويصبو إلى مزيد من المعلومات، وهذا ما يعيشه بالفعل كثير من المؤلفين العرب».

وأعتقد أن عدم وجود الحافز الذي يدفع بالباحث لمواصلة التأليف، وإنجاز عمله في وسط طريق شائك وصعب، وليس المقصود بالحافز المادي فقط، بل قد يكون الحافز معنوياً، كتكريم شخصي له، أو فوزه بجائزة ثقافية، نظير الجهد المبذول، والوقت الذي استغرقه.

كذلك يجدر بوسائل الإعلام بأنواعها المختلفة، أن تسلط الضوء على العمل التأريخي الجيد، وإبرازه بالطريقة اللائقة التي يستحقها، بدلاً من أن ينصبّ عملها على المجاملات والمحسوبية في الوسط الثقافي.

ويحدث في كثير من الأحيان أن يبدأ الباحث بتأليف كتابه، ويكتب أجزاء كثيرة منه، ولكنه لم ينجزه كاملاً، أو لم يستطع تحريره وطباعته، بسبب وفاة هذا المؤلف، أو أصابته بالعجز لكبر سنّه، فيقوم باحث آخر بإكمال ما قام به، والعمل على طباعته، كالذي حدث مع الباحث الكويتي أحمد البشر، رحمه الله، الذي توفي عام 1982م، وبعد وفاته بنحو أربعة عشر عاماً، سلمت ابنته الأستاذة دلال البشر مسودة لوالدها، تضم معجماً حول المصطلحات البحرية في الكويت، وتولى المؤرخ القدير الدكتور يعقوب يوسف الحجي، مراجعتها وتنسيقها والإشراف على طباعتها، عن طريق مركز البحوث والدراسات الكويتية في عام 1996م،





وكان بالفعل إضافة مهمة للمكتبة الخليجية. وكذلك الحال لسيف مرزوق الشملان، الذي كتب خمسة عشر بحثاً عن تاريخ قطر في مجلة البعثة، التي كانت تصدر عن بيت الكويت للطلبة الدارسين في مصر، وذلك منذ عدد إبريل 1952م، حتى عدد أغسطس عام 1954م، وكذلك نشر مقالاً في مجلة «صوت البحرين»، وكانت لديه النيّة لجمعها في كتاب، وصرّح وقتها بأنه تنقصه حالياً بعض المعلومات، حتى تسنى صدوره قبل سنوات قليلة، على أيدي الباحثَين علي شبيب المناعي، وعلي عبدالله الفياض، اللذين قاما بإعداده وتحريره وطباعته، تحت عنوان «قطر في كتابات المؤرّخ الكويتي سيف مرزوق الشملان» في عام 2011م.

ولمحدثكم تجربة شخصية مشابهة لذلك، عندما كنت أميناً عاماً لرابطة الأدباء الكويتيين، وهي أنني اقترحت طباعة سلسلة من المؤلفات، بالتعاون ما بين الرابطة والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ضمن فعاليات الكويت عاصمة للثقافة الإسلامية عام 2016م، وقمت بالتنسيق مع أساتذة مبدعين للتأليف وطباعة أعمالهم، وعملت على إعداد كتاب وتأليفه ضمن هذه السلسلة، عن تراث البيئة الدينية الكويتية، وقد أشرفت على طباعة أربعة كتب قيّمة من هذه السلسلة، وصدرت الأعمال، وانشغلت بالعمل الإداري في الرابطة عن استكمال كتابي، رغم أن مادته تم جمعها، وتحتاج إلى تحرير فقط!

وهكذا دواليك في حالات كثيرة؛ لتأخر العمل التأريخي عن الصدور الذي صرّح به مؤلفه، ولكن الوقت لم يسعفه لإكماله، وأدركه الموت قبل إتمامه؛ لذا وجب على كل كاتب العمل بالمثل العربي القائل: «ما لا يُدرك كله، لا يترك جلّه»، وعلى الكاتب أن يصدر كتابه في طبعته الأولى، ثم يستدرك النقص في طبعات لاحقة، وأن نعمل جميعاً قدر المستطاع على القضاء على عبارة كتاب قيد التأليف.

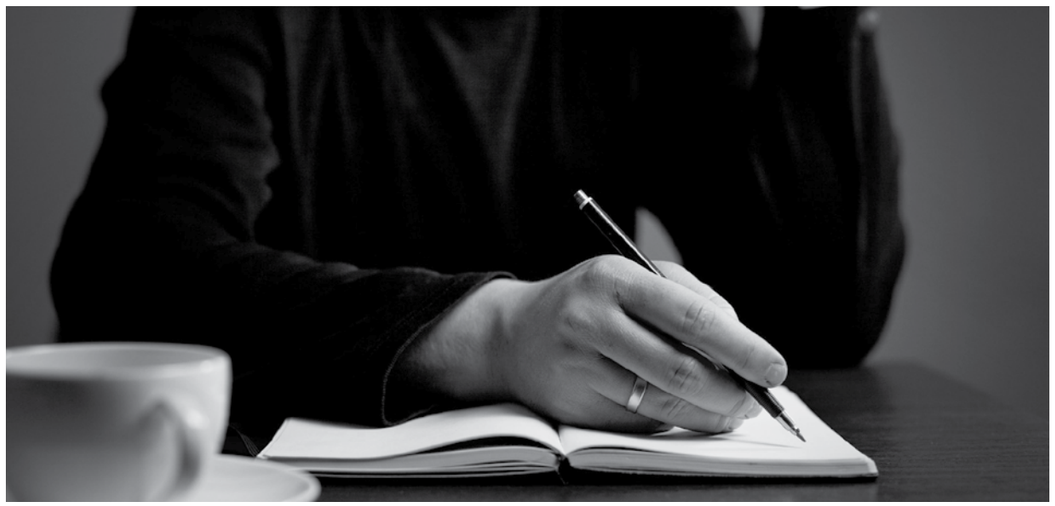

الإعـلام التراثـي.. مـا المقصـود بالإعـلام التراثـي؟ ومـا دوره فـي إيصـال التـراث إلـى الجميـع؟ ومـا آليـة عمـل التـراث الإعلامـي؟ هـذه التسـاؤلات لابـد لهـا مـن وقفـة لاستيعابها وفهمها، ومـن ثـم الإجابـة عنهـا بشـكل يضمـن آليـة عمـل محكمـة وفعّالـة نحـو الإعـلام التراثـي، بأبعـاده الأربعـة (المطبـوع والمسـموع والمرئـي وقنـوات التواصـل الاجتماعـي)، والأخيـرة أشـدها وطـأة وخطـراً علـى التـراث؛ لغيـاب كثيـر مـن العناصـر الضابطـة لهـا، وانتشـارها بشـكل سـريع، فـي ظـل عـدم التأكـد والتثبّـت فـي كل مـا يُنشَـر.

فهد علي المعمري
باحث – الإمارات

نبـدأ بتعريـف الإعـلام التراثـي، وبشـكل مختصـر، هـو: مجموعـة قنـوات التواصـل الإعلاميـة، وتضـم التلفزيـون والإذاعـة والمطبوعـات وقنـوات التواصـل الاجتماعـي، وهـذه القنـوات في مجملهـا تشـكّل مـا يسـمّى بالإعـلام، ومتـى يتـم تسـخير هـذا الإعـلام في مجـال التـراث، وتسـليط الضـوء عليـه، وعلـى كل مـا يتعلـق بـه، يتَكَـوّن مـا نسـتطيع أن نسـمّيه الإعـلام التراثـي، وعليـه يكـون الإعـلام التراثـي متخصصـاً في التـراث الثقـافي بأشـكاله كافـة، المـادي وغيـر المـادي، بهـدف التعريـف بـه، وإيصالـه إلـى فئـات المجتمـع المختلفـة عمريـاً وجنسـيّاً وجنسـيّة، وجعلـه متاحـاً أمـام المهتميـن والمختصـين والدارسـين والباحثـين والمؤلفيـن.





وللإعـلام دور كبيـر في إيصـال التـراث إلـى الجميـع، وفـق آليـات عمـل منتظمـة، تسـاعد علـى نشـر التـراث وتقديمـه بشـكل مبسّـط وموجـز، يشـمل فئـات التـراث المتنوّعـة، ولتحقيـق هـذه الغايـة لابـد مـن مراعـاة الدقـة والتثبّـت والمراجعـة قبـل أن تخـرج المـادة الإعلاميـة للتـراث، فكثيـر مـن الأشـخاص سـوف يتعرفـون لأول مـرة إلـى هـذه الجزئيـة مـن التـراث، فـإن كانـت مشـوبة ببعـض الأخطـاء أو المغالطـات، فسـوف ترسـخ في عقـل المشـاهد أو المسـتمع أو القـارئ، وتتجمـع لـه تلـك الأخطـاء، وبالتالـي تتشـكل لديـه المعـارف الخاطئـة عـن التـراث، ولتجنـب هـذه الظاهـرة السـلبية، يجـب اتبـاع الآتـي:

1. إسـناد مهمـة تنفيـذ البرامـج التراثيـة إلـى فـرق عمـل، هـي مـن أبنـاء الدولـة، وهـذا ليـس مـن بـاب العنصريـة، وإنمـا أهـل البلـد أعلـم بهـا وبتراثهـا وموروثهـا، وقديمـاً قالـوا: «أهـل مكـة أدرى بشـعابها»، وهـذا يـؤدي إلـى نتيجـة مفادهـا الإلمـام بالتفاصيـل المتعلقـة بالبيئـة التـي لا يمكـن أن يعرفهـا إلا أبنـاء البلـد، بمـا يؤكـد بذلـك علـى صدقيـة البرنامـج التراثـي.
2. اسـتقطاب المختصـين والأكاديميـين وأهـل العلـم والدرايـة والمعرفـة، والباحثيـن المتمرسـين، والـرواة، وكبـار المواطنـين، وهـؤلاء مـن دون شـك، سـوف يسـهمون في نشـر التـراث الصحيـح، والتعـاون معهـم علـى نشـر معارفهـم عـن طريـق اللقـاءات التلفزيونيـة والإذاعيـة، أو حـوارات في الصحـف والمجـلات، والتعـاون معهـم في برامـج تراثيّـة.
3. التعـاون مـع المختصـين والـرواة وكبـار المواطنـين؛ للإشـراف والاستشـارة في كل مـا يتـم تناولـه في موضـوع التـراث، وبالتالـي يتـم ضمـان إخـراج هـذه البرامـج بمصداقيـة وصحـة لا يشـوبها زيـف أو خطـأ.
4. تخصيـص الموازنـات والبرامـج المتعلقـة بالتـراث، سـواء في مجـال الإذاعـة والتلفزيـون، أو في صفحـات الصحـف والمجـلات، الأمـر الـذي يضمـن الاسـتدامة والاسـتمرار في بـث البرامـج التراثيـة.
5. تخصيـص بعـض قنـوات التواصـل الاجتماعـي لتكـون محطـة رئيسـة لبـث كل مـا يتعلـق بالتـراث ونشـره، وفـق برامـج منتظمـة، ويوضـع عليهـا مـن يقـوم بالإشـراف والتدقيـق قبـل النشـر، مـن أهـل العرفـة والاختصـاص، لتكـون جهـة رسـمية ومعتمـدة لـكل مـن يطلـع عليهـا، وينهـل مـن معارفهـا.

مما سـبق نصـل إلـى حقيقـة مفادهـا أن الإعـلام التراثـي يسـهم بشـكل كبيـر وفاعـل؛ مـن خـلال برامجـه التوعويـة، ومضامينـه الوثائقيـة الهادفـة، إلـى إبـراز المقومـات التراثيـة، والتعريـف بهـا ونشـرها، وصونهـا مـن الضيـاع والاندثـار، كمـا أنـه (الإعـلام التراثـي) منبـر تعليمـي تثقيفـي لتـراث دولـة الإمـارات الأصيـل، الـذي يجسـد حيـاة الأجـداد بشـكل ملمـوس، ويرسـخ القيـم في النفـوس.

# «كوفيد 19»
# والسياق الاقتصادي والاجتماعي



د. فهد حسين
أكاديمي وناقد – البحرين

كلما وقع الإنسان في مأزق معين، أو في محنة إنسانية معينة، يبدأ بمراجعة المقولات والمفاهيم والشعارات التي كانت تنادي بها هذه المرحلة أو تلك، فحين وقعت هزيمة العرب في عام 1967، أو ما سميت بالنكسة، بدأ العديد من المثقفين والكتّاب بمراجعة مفاهيم القومية العربية والعروبة والمصير الواحد المشترك، ولاشك في أنه تباينت النتائج بحكم التحليلات والتغيرات والقناعات، وما حدث في واقع المحيط السياسي والعروبي والقومي، يحدث في محيطات أخرى، اجتماعية أو اقتصادية أو صحية، وهذا الأخير الذي نحن بصدده في هذا المقال، فبعد أقل من ثلاثة أشهر بدأت تتداعى كل مقولات العولمة والنظام الاقتصادي الحر، والشركات العالمية الخاصة، وكأن هناك استبدالاً، حيث بدأت تطفو على السطح مقولات تعود بنا إلى قراءة الماضي والتاريخ، ترجعنا إلى مراحل مر بها الإنسان، وهو





يعاني العذاب والعقاب والتحولات القاسية، وتسير بنا إلى العديد من النكبات التي وقعنا فيها لأسباب مختلفة عبر الزمن، بل ذهب بعضهم، وبالأخص بعض رجال الدين، إلى ضرورة التأمل فيما قمنا به، لربما يكون هذا عذاباً نازلاً من السماء، وهو ما يؤكد ضعفنا، وعدم قدرتنا على مواجهة أقل الأخطار والمصاعب التي تفاجئ الإنسان في حياته.

هكذا جاء لنا فيروس كورونا (كوفيد 19)، ولايزال يلعب بأعصاب الناس، وبحياتهم وصحتهم ومشاعرهم وعلاقاتهم وبمقدراتهم، ويمارس هذا الدور بتحوراته ذات التكهنات العديدة، بدءاً من ظهوره، واتهام دول دون غيرها بانتشاره، غير أن هذا الاتهام أخّر مرحلة المواجهة والبحث عن العلاج، والوقاية، بمعنى آخر، كانت اللحظات الحرجة وقتذاك، هي لحظة محاربة هذا الفيروس، والعمل على إيجاد العلاج المناسب، وعدم الوقوف عند من بدأ، وكيف بدأ، والغاية من ذلك، فهذا الوباء لا يقف عند محطة أو منطقة أو دولة ويكتفي، وإنما كان طريقه متشعباً ومتعدد المسارات، ولديه القدرة على اختراق كل المنافذ والطرق والأمكنة في العالم، وهذا ما يتضح لنا كل يوم ونحن نقرأ ونشاهد ونتابع ما يحدث على سطح الكرة الأرضية، فما حدث للدول الصناعية والمقتدرة اقتصادياً، حدث للدول الفقيرة، بل هناك العديد من الدول التي لا تملك ما يؤهلها لحماية نفسها وشعوبها، وهذا يعيدنا إلى قراءة واقع النظام العالمي، والدول ذات السيادة الاقتصادية العالمية، التي استطاعت في أقل من ثلاثين عاماً أن تعمل على تحويل العديد من المؤسسات الحكومية إلى مؤسسات خاصة، تعمل من أجل الربح والكسب المادي، ولا يهمها الإنسان، ومدى توافر الحياة الكريمة المنوطة بالحياة الصحية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو التعليمية، بقدر هو كم من الأرباح التي ينبغي أن تجنيها هذه المؤسسات والشركات، فأسست وأنشأت في العديد من مناطق العالم المستشفيات الخاصة بحجة السياحة العلاجية، والمدارس الخاصة بحجة تعليم أفضل وبلغات متعددة، وجامعات ومعاهد خاصة بحجة التطور في التعليم، وتقديم المادة التعليمية، والعمل على بناء إنسان قادر على مواجهة الحياة.

ومع الوقت نكتشف، وفي هذه الأزمة، وما سبقها من أزمات متعددة، أننا نعيش فجوة كبيرة بين الواقع والحقيقة، والرغبات والطموحات، فهذه المؤسسات لا يستطيع الفرد العادي البسيط الذي يعيش على راتب بسيط يعاضده حتى منتصف الشهر الميلادي، ثم يعجز عن تلبية الحاجات الأخرى، منتظراً ما سيأتي في الشهر القادم – وهنا بالطبع لا أعني كل المؤسسات الخاصة، وإنما تلك التي تبحث عن الربح أكثر من اهتمامها بالإنسان – لهذا يبقى خريجو هذه المؤسسات في حيرة من أمرهم، حينما يقعون في تحدّ تجاه أي حدث يقع في المجتمع، وهنا لا أعني العجز في الدور العلاجي، وما تقوم به الدول، بحسب إمكاناتها في التصدي إلى هذا المرض الذي وصل إلى الجائحة، ولكن في كيفية التفكير؛ أي علينا أن نفكر جميعنا بصوت مسموع تجاه ما يحدث في العالم من تغيير، شئنا أم أبينا، وهو ما فرض على بعض الدول الغنية العمل ليل نهار، بعد إحساسها بفشل في مواجهة هذه الجائحة العالمية، حيث سعت عبر معاملها الطبية والعلمية إلى إيجاد علاج وتجريبه، وهذا ما أعطى المجتمع الدولي بعض الأمل في مواجهة هذا المرض الخطر، إلا أن

المعاناة تبقى ماثلة في الدول الفقيرة، غير القادرة على توفير اللقاح لشعوبها؛ لذلك لا ينبغي للدول ذات الاقتصادات الكبيرة أن تقف دون عمل، وإنما تقديم - وهذا بحسب ما أعتقد فعلته بعض الدول فعلاً - مساعدة منها، وهو العمل الإنساني الذي تتميز به بعض الدول في مثل هذه المواقف والصعاب.

وفي سياق هذا الهم الجماعي الإنساني، ألا ينبغي لنا وقفة لمراجعة وصياغة هذا المجتمع الدولي الذي لابد أن يكون له نظام اجتماعي، يؤكد على التعايش والتعاضد، والعمل كشعب واحد، من أقصاه إلى أقصاه، وأن تكون المحبة والتعاون ومساعدة الآخرين قيماً ومبادئ تتعزز في كل مكان، وفي أي وقت، بل لم تعد العولمة التي نادت بها أمريكا، ولم يعد الصراع الحضاري، أو إنهاء هويات الأقليات، بل لابد من عيش كريم لكل فرد في المجتمع الدول، ولابد من إعادة النظر في توحش الرأسمالية والليبرالية الجديدة في المجتمع الدولي، وأن يعيش الفقراء ومتوسطو الحال الاقتصادي في حالة جيدة، بحيث تقوم الطبقة الغنية والمترفة بدورها الذي ينبغي عليها، ليس من أجل المزيد من الشراهة في المال والجاه والاستحواذ، وإنما في جعل المجتمع يعيش في سلام.

أما حينما نقف عند المهتمين بالشأن الثقافي والعلمي والفكري والأدبي والحضاري، فمن المرجح أن كثيراً من هؤلاء منشغلون حالياً بسؤال لا يخرج عن نطاق فكرهم أو حواراتهم الإلكترونية الافتراضية، وهو: ماذا سيكون عليه العالم بعد انحسار فيروس كرونا؟ ولاشك في أن التأويلات والتحليلات قائمة على معطيات الأحداث المصاحبة لانتشار الفيروس على مساحات الكرة الأرضية، وكيفية مواجهته والقضاء عليه هنا أو هناك. ولكن حتماً سيدخل الفلاسفة والمفكرون وأصحاب الدراسات الاقتصادية الأدبية والثقافية والاجتماعية في سجال عميق، ليس لمعرفة تقسيم العالم، وإنما لواقع هذا العالم، إذ أتوقع أنه بعد انقشاع هذه





الأزمة، ستكون هناك صياغة جديدة قدر الإمكان للعالم، تتعلق بالسياسات الخارجية والداخلية، وفي الاقتصاد عامة، وتلك المؤسسات التي تعمل ليل نهار من أجل الربح العالي؛ لذلك أتوقع أن هناك أجندة حوار على المستوى الفردي أو الجماعي، تشمل مجموعة من النقاط، بمعنى سيقوم المبدعون عامة في مجال الأدب والفن بأنواعه (السينمائي - الدرامي - التشكيل - التصوير...) بإعداد أعمال أدبية وفنية تناقش هذه الأزمة من جوانب متعددة، فهناك من سيقف مع المنتصر على هذا الفيروس، وهناك من يتحسر على دول اعتبرت من الدول الصناعية والعلمية والاقتصادية، ولكنها فشلت في احتواء هذه الأزمة، كما فعل بعض الكتاب الذين كتبوا عن الطاعون أو الكوليرا أو الأمراض الأخرى.

كما سيكون العمل على المزيد من الصراع بين القوى الاقتصادية؛ أي بين طرفين، أمريكا والدول التي تدور في فلكها، والصين ودول آسيا وبعض دول أمريكا اللاتينية، ولكن ستكون الغلبة إلى جناح الصين التي استطاعت كأول دولة أن تهزم الفيروس، على الرغم من الخسارات التي خسرتها بشرياً ومادياً، ولكنها حققت فوزاً شهد له العالم كله، وكما استطاعت النمور الأربعة، ودول أخرى في آسيا أن يكون نموها الاقتصادي عالياً في ظل الحرب والصراع مع دول صناعية غربية أخرى، مثل: تايوان وهونغ كونغ وكوريا الجنوبية وسنغافورة، بالإضافة إلى ماليزيا، هذه الدول التي حقّقت خلال ثلاثين عاماً نمواً اقتصادياً لا منازع له، إضافة إلى اليابان والصين نفسها، وهذه التجربة ستكون ماثلة للعيان، ولكن في حقول متعددة، وليس في الاقتصاد فقط.

وفي السياق نفسه، لابد من مناقشة مفهوم العولمة الاقتصادية، والتشبث بالرجل المريض (أمريكا)، والاتجاه إلى مفاهيم اقتصادية أخرى، تسهم في الإبقاء على سمة الدول دون الشركات الخاصة، وتحديداً مؤسسات الدواء والمعالجات الصحية، وكما فرض النظام الدولي مراقبة الدول التي تملك المصانع النووية ومعاملها، فالنظام الجديد سيفرض مراقبة أكثر صرامة على المختبرات البيولوجية، ومعامل الأدوية عالمياً، كما أتوقع أن الصين ودول شرق آسيا هي من سيكتب تاريخ العالم بعد فيروس كورونا، وسيعاد الاعتبار للدول الصغيرة والأقليات في العالم، بعدما حاولت العولمة حسرها وإدخالها في دائرتها، وأخيراً وليس آخراً، لابد من إعادة صياغة نظام السوق الأوروبية المشتركة التي لم تستطع مواجهة هذه الجائحة العالمية مجتمعة.

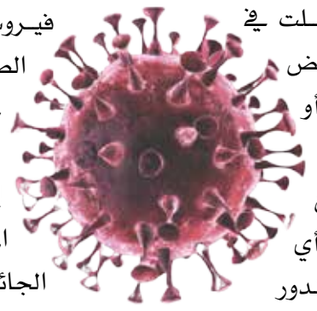

وكل هذا يتطلب من المجتمع الدولي أن يقوم بدراسات علمية (صحية وطبية ومعملية تجاه الأوبئة)، مع إنشاء المزيد من المختبرات العلمية الحكومية، وليست الخاصة؛ للقيام بدور التجارب العلمية، وقيام الجامعات الحكومية على مستوى العالم بدور أكبر مما تقوم به الآن، من أجل إعداد الدراسات والتجارب، فضلاً عن دفع العلماء والمتخصصين في الطب وعلم الفيروسات والأوبئة للمزيد من إعداد الدراسات، وكيفية محاصرة أي وباء قد يطرأ في المستقبل، مع حث النظام العالمي ليقف عبر مؤسساته العلمية والمؤسسات التنظيمية على الوضع كله، ودراسة ما حدث، والتداعيات، وكيفية مواجهة الأخطار.

# الأمثال الشعبية ومفردات المقيظ في حياة أهل الإمارات

كما لكل أمة أمثالها، فإن لكل بيئة أمثالها، ولكل مجتمع أمثاله، ومجتمع «المقيظ» من الحضَّار والمصطافين، وأهل المزارع والواحات، ليس بمنأى عن ذلك، فقد كان يجمع مختلف شرائح المجتمع في بيئة محددة، وفي موسم سنوي تلتقي فيه العائلات من مناطق مختلفة من الحضر والمناطق الساحلية، والمناطق الجبلية والصحراوية، متخذة من واحاته وبراحاته ومحاضره ملاذاً بارداً، تعيش فيه تغيراً حياتياً موسمياً مرغوباً، يخلق ثقافة مشتركة، تعكس حيثياتها على مختلف ألوان الأدب الشعبي، لاسيما الأمثال والأقوال الشعبية.

خالد صالح ملكاوي
باحث وإعلامي – الأردن

لجأ الإماراتيون قديماً إلى تأصيل «المقيظ» في حياتهم؛ فابتدعوا، في مواجهة حرارة الصيف، وشحّ مياه الشرب فيه، رحلات المقيظ التي ينتقلون فيها من مناطق الساحل، التي تشتد حرارتها ورطوبتها صيفاً، عبر قوافل منظمة على ظهور الإبل، إلى المناطق المعروفة بالمقايظ، في مناطق محددة في الإمارات، كاسين تلك المناطق بثوب جديد من النشاط، ونمط موسمي من الحياة، لمجتمع يسمى مجتمع الحُضارة.

ومجتمع الحُضارة يتشكل من المصطافين من أهل الساحل الذين يفدون في بدايات موسم الرطب، أواخر شهر مايو من كل عام، إلى الواحات الزراعية المنتشرة في مختلف مناطق الإمارات، ومن أهمها واحات العين والبريمي وحفيت والباطنة وضنك، والذيد وفلج المعلا ومساي وخت وخصب وحتا ودبا وكلبا، وغيرها من الواحات الزراعية التي تشتهر بالرطب والفواكه والمحصولات الزراعية الأخرى، التي لا تتوافر في الساحل، كما تمتاز الواحات بالماء





العذب، والهواء العليل في فصل الصيف.

ولأن الأمثال، كما يرى علي الجارم، في كتابه «المفصل في تاريخ الأدب العربي»، هي جُمَل رصينة جمعت فيها تجارب الأمة، واجتمع فيها إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وهي صورة صحيحة من صور الأمم، لا تمثّل عقلية طبقة راقية فقط، ولكنها تمثل عقليات الشعب جميعه؛ لأنها تنبع من طبقاته المختلفة، فقد أخذت الأمثال من موسم المقيظ ومجتمعه مفردات وحيثيات، صورت جوانب من مجتمعه، وحافظت عليه واحداً من مكونات الموروث الشعبي الإماراتي.

وفي الأمثال وجدنا الصيف فصلاً جميلاً كبقية فصول السنة، رغم حره ورطوبته والغبار التي تسوده، فلمعاناتهم من ذلك يكرر أهل الإمارات المثل الشعبي القائل: «خذ وخل»، أي هو دعوة كي تأخذ من خير الصيف، وتدَعَ منغصاته. وانعكس صيف أهل الإمارات على كثير من مسارات الحياة ومفرداتها، وعلى سلوكات المجتمع وقيمه وعاداته، فأتت كثير من الأمثال والأقوال الشعبية ملخصة لذلك، فمنها ما يرتبط ببدايات موسم المقيظ، ومنها:

بَنَحْضر دبا، وبنْشوف قيظها

بَنَحْضر: أي سنحضر دبا، والحُضارة هي موسم المقيظ. وهي اسم من الفعل حَضَر، يحْضر، والحُضارة هي المقيظ أو السفر إلى المقيظ في الواحات، والحضّار هم المصطافون. ودبا المدينة المعروفة في المنطقة الشرقية من دولة الإمارات، وتقع على بحر عمان، وهي قريبة من مدينة خورفكان والفجيرة.

ومعنى هذا المثل الشعبي، أننا سنذهب في الصيف إلى «دبا»، وسنرى بأم أعيننا، قيظها؛ أي رطبها الذي تبالغون في مدحه. وهو يضرب للتأكيد على ضرورة التحري عن مصداقية وموضوعية الأخبار التي يروّجها بعض الناس، وعدم الإصغاء إلى أقوالهم غير الموثوقة أو المبالغ بها.

تحبّ لحُضارة من عيمان

أي أنها تحضر أو تسافر في مواسم الصيف انطلاقاً من مدينة عجمان، وهذه امرأة تفضّل الذهاب إلى المقيظ في الواحات الزراعية في موسم القيظ من مدينة عجمان. وقد جاء تفضيل مدينة عجمان كنقطة لسفرها؛ لأن عجمان في نظرها مشهورة بالتسامح والمعاملة الجيدة لمن يقطنها، أو يعبر منها. وقد جاء هذا المثل الشعبي في هيئة جملة فعلية، ويضرب أساساً في الذم.

ومن الأمثال ما ارتبط بميزات الموسم من نسيم لياليه العليل، وبساتين واحات مجتمع الحضارة فيه،

التي تحتوي على أنواع من أشجار الفاكهة، وتضم مختلف أنواع النخيل والمياه العذبة، كما عُدَّ من تراث الماضي، إذ ارتبط بنمط الحياة الاجتماعية في ذلك الزمان، مثل:

براد القيظ، تذرّيه خوصه

أي أن النسيم العليل في المقيظ قد تمنعه خوصه من ورق سعف النخيل، وينبع هذا القول الشعبي من البيئة الاجتماعية والواحات التي تزخر بأشجار النخيل الباسقة من كل صنف، حيث ينعم الأهالي في القيظ برطب الواحات، وهوائها العليل البارد في بعض الأحيان. ولأن الأهالي كانوا حريصين على التقاط تلك النفحات، من أي مصدر، وبأي طريقة؛ لذلك قالوا هذا القول الشعبي، حبّاً في ذلك النسيم العليل، وخشية حجبه عنهم، ولو بسبب سعفة النخيل. يقال في معناه، كما يعدّ من تراث الماضي، ويرتبط بنمط الحياة الاجتماعية في ذلك الزمان.

ومن الأمثال والأقوال الشعبية ما اتكأ على النجوم والكواكب التي ترتبط بمواسم الزراعة ونضج الثمار، والتي هي من أهم ما تحتفظ به ذاكرة المقيّظين:

تظهر الثريا على شوب تين وإلا جارين

ويقصد بشوب تين ثمرة التين، وشوب كلمة عامية، تستخدم للواحدة من الفواكه الناضجة لتوّها، لاسيما من التين والطماطم والرمان. وهذه مقولة شعبية تقال للتعريف بفصول السنة، والنجوم التي يهتدي بها الأهالي في تسيير أمور حياتهم، إذ يعد نجم الثريا من النجوم المهمة التي كانت تستخدم في أمور حياة الناس سابقاً، فلظهورها أو زوالها تأثير كبير وارتباط قوي بأحوال الطقس. وتبين هذه المقولة الشعبية أن الدليل على ظهور نجم الثريا، هو بلوغ ثمر شجرة التين النضج، أو بداية نضج الرطب. وقد أتت «جارين» هنا كناية عن الرطب.

لي طلعت الثريّا، هيّا يا زراع البر هيّا

وهو من الأمثال الأخرى التي تشير إلى استبشار الأهالي خيراً بطلوع الثريا، وتقال هذه المقولة فرحاً في الاستبشار بقدوم الصيف، وموسم المقيظ.

ومن الأمثال والحكم الشعبية ما يصف ثمار موسم القيظ، لاسيما أشهرها الرطب، وأعزها «البُشْرة»، التي تعني بشارة الرطب الأولى في أوّل الصيف:

البُشرَة أوّلها للأمير، وآخرها للحمير

والبُشرَة عادةً ما تكون من صنف نخل محلي ممتاز يسمى «النغال»، يزرع في دولة الإمارات وسلطنة عمان فقط، وكان يأتي في بداية موسمه باهظ الثمن، فلا يحصل عليه إلا المقتدرون من التجار أو الأمراء، غير أن هذا السبق في تبكير النضج لا يستمر طويلاً، إذ يكثر بعد ذلك الرطب من الأصناف الأخرى، فيهوي سعر هذا النوع إلى الحضيض، بحيث يتم شراؤه علفاً للحيوانات.

وهو حكمة واقعية في ارتفاع سعر أي بضاعة جديدة في بداية عرضها، ثم ينخفض السعر بحيث تغدو حين كثرتها غير مرغوب فيها. ويمثل هذا القول الشعبي قاعدة العرض والطلب في السوق، إذ يتبين منه مسألة دور عنصر الندرة في رفع قيمة السلعة، فكلما قل العرض زاد الطلب وبالتالي زاد الثمن، والعكس صحيح.

ولأهمية النخلة في حياة أهل الإمارات، ولدورها الكبير في جذب مجتمع الحَضارة في موسم الصيف، اعتاد الإماراتيون حدوات شعبية في موسم القيظ، من مثل:

| | |
|---|---|
| تُربّعي والحول عودي | تسقيك الروايح والرعودي |
| تربّعي يا كريمه | والحول سوّي وضيمه |
| ربّعك الله بالسيل والأمان | وسلّمك الله من ضعايف القيمان |

تربّعي، من المربعانية المعروفة كموسم يكون في نهاية فترة القيظ، وهذه الحدوة الشعبية كانت تُغنَّى عند أهل الواحات الزراعية في الجبال في أيام القيظ، وأكل الرطب، حُباً في النخلة وتكريماً لها.

وكان يردّدها المزارعون من أصحاب النخيل في موسم القيظ، عندما يقومون بجدّ النخيل؛ أي قطع عذوقها الناضجة بالتمر، ويكون ذلك في موسم المربعانية؛ أي نهاية موسم القيظ، ويقولون للنخلة: «تربّعي»؛ أي حان وقت حصادك أيتها النخلة الكريمة، وعودي لنا في العام القادم أقوى مما كنت، وندعو لك الله بأن ينزل عليك خيراته، فتسقيك روايح الصيف (الأمطار الصيفية)، ليزيد حملك من العذوق، حماك الله وآمنك، وحرسك من الأقوام الغزاة (القيمان)، الساعين لنهب خيراتك.

ومن الأقوال الشعبية ما يرسم في موسم القيظ حجم الخير الذي ينعم معه المقيّظون بأكل الرطب التي لا تمَّحي ذكراها من نفوسهم، إذا ما انتهى موسم المقيظ، وعادوا إلى مناطقهم:

جوع الصفري

ويستخدم هذا القول الشعبي للدعابة، بالدعاء على الشخص بالجوع، كما كان يحصل لأجداده في أيام موسم الصفري.

والصفري هو فصل الخريف، ويوافق رجوع المصطافين إلى مناطقهم، فيودّع الناس الرطب الذي تعوّدوا عليه خلال أشهر الصيف، ليفقدوا أحد أصناف طعامهم الشهية، فيشعرون بالجوع، ويشتدّ شوقهم إلى تلك الأيام الخوالي.


**المصادر والمراجع**

1. الأمثال والألغاز الشعبية في دولة الإمارات العربية المتحدة، عبيد راشد بن صندل، العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، الطبعة الأولى، 2001م.
2. المفصل في تاريخ الأدب العربي، علي الجارم، القاهرة: مطبعة مصر، 1934م.
3. موسوعة الأمثال والأقوال الشعبية في دولة الإمارات العربية المتحدة، راشد أحمد المزروعي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، أبوظبي: المؤلف نفسه، 2016م.




مَـرَاوِدْ رؤيـة

أيام الشارقة التراثية

# تكريم الرعاة والشركاء في «الأيام التراثية»

رسالة وصلت واكتملت، تحقّقت من خلالها معادلة صعبة، ونجاحات كبيرة ومميزة في مسيرة الأيام، أسهمت في تعزيز وترسيخ الوعي التراثي، والتعريف بالتراث على أوسع نطاق في العالم، خلال «أيام الشارقة التراثية» الـ18، لخلق جيل مرتكز في تطلعاته على الأصالة، وعلى خبرات عريقة.

ورغم الظروف الاستثنائية بشأن تفشي جائحة كورونا، فإن 29 دولة من مختلف أنحاء العالم شاركت في النسخة الثامنة عشرة من «أيام الشارقة التراثية»، تحت شعار «التراث الثقافي يجمعنا»، لما له من رمزية ودلالة وقيمة عالية في مدّ جسور التعاون والتواصل الثقافي والحوار الحضاري مع مختلف الثقافات.

وكرّم سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، رئيس اللجنة العليا لـ«أيام الشارقة التراثية» الثامنة عشرة، الجهات والمؤسسات الراعية للأيام، والشركاء الاستراتيجيين، الذين لعبوا دوراً حيوياً في إنجاح الفعاليات، كما هي الحال في كل عام، كما تم تكريم لجان الأيام كافة، وضرب المعهد موعداً جديداً معهم في إبريل العام المقبل، بمزيد من الفعاليات والأنشطة والبرامج.

## الاهتمام بالتراث في عمق البرمجة الثقافية

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، رئيس اللجنة العليا لـ«أيام الشارقة التراثية» الثامنة عشرة: «ها نحن قد ودّعنا النسخة الثامنة عشرة لـ(أيام الشارقة التراثية)، ليكون لنا موعد جديد في إبريل العام المقبل، حيث نعدكم كما هي الحال في كل عام، بتنوّع، وبإضافات جديدة، في البرامج والفعاليات والأنشطة كافة، إذ تتحول الشارقة إلى قبلة لكل عشاق ومحبي التراث، من مختلف أنحاء العالم، نجتمع جميعاً تحت مظلة الإمارة الباسمة، إمارة الثقافة والتراث، بدعم متواصل وبلا حدود، من قبل صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، فشكراً كبيراً جداً لسلطان الثقافة والتراث والخير والمعرفة والعلم».

وأضاف سعادته: «نشعر بالاعتزاز والفخر لما تحقق طوال مسيرة الأيام، منذ النسخة الأولى التي رأت النور عام 2003، ونعتقد أننا حققنا إنجازات مهمة على صعيد التعريف بالتراث على مستوى الإمارات، وعلى المستوى العربي، والمستوى العالمي، والتفاعل معه، فللتراث أهمية كبرى في دولة الإمارات، ويأتي في مقدمة الأوليات دائماً، فمنذ البدايات الأولى لتأسيس الدولة، كان الاهتمام بالتراث في عمق البرمجة الثقافية، كما أن الدعم المادي للتراث كان في ذروته دائماً».

ولفت إلى أن الرعاة والشركاء الاستراتيجيين الذين تم تكريمهم، يستحقون ذلك وأكثر، فهم شركاء النجاح والعمل والفعل، ومن دون حضورهم ولمساتهم ودورهم لا يكتمل النجاح، فشكراً بحجم المحبة والعمل والعطاء لجهودهم.

## خلق جيل مرتكز في تطلعاته على الأصالة

ومن جانبها، قالت عائشة غابش، المنسق العام لـ«أيام الشارقة التراثية» الـ18: «مع انتهاء فعاليات الأيام تكون الرسالة قد وصلت واكتملت، فقد حققنا من خلالها المعادلة الصعبة، وأحرزنا نجاحات كبيرة ومميزة في مسيرة الأيام عبر 18 سنة، أسهمت في تعزيز الوعي التراثي وترسيخه، والتعريف بالتراث على أوسع نطاق في العالم».

ولفتت إلى أن معهد الشارقة للتراث يسعى من خلال «أيام الشارقة التراثية»، إلى التعرف إلى الموروث المادي والمعنوي، بما يسهم في خلق جيل مرتكز في تطلعاته على الأصالة، وعلى خبرات عريقة، آخذاً بعين الاعتبار أهمية وضرورة تعزيز فرص التواصل بين الأجيال.

## الاحتفاء باليوم العالمي للمتاحف

نظم معهد الشارقة للتراث رحلة افتراضية للمتاحف بمناسبة اليوم العالمي للمتاحف، بدءاً من متحف التراث العربي، ومتحف الحرف التقليدية في خورفكان، ومتحف عثمان باروت، متحف فاطمة المغني، متحف سعيد علي النقبي، متحف مريم هلال الزعابي، متحف عبد الله الكابوري، متحف راشد خلفان عبد الله النقبي، متحف محمد خلفان النقبي، متحف محمد صالح النقبي، بالإضافة إلى متحف العين الذي يعتبر أقدم متحف في الإمارات، وكذلك عرج على المتحف القومي للحضارة المصرية، ومتحف كابيتولين في روما.

### التعريف بالتراث الإنساني

وقال سعادة الدكتور عبد العزيز المسلم، رئيس معهد الشارقة للتراث:» نحرص على الاحتفال باليوم العالمي للمتاحف، نظراً لما تمثله المتاحف من أهمية في التعريف بالتراث الإنساني عموماً، ومكانتها العالمية، فهي رصيد البشرية المشترك الذي ينقلنا جميعاً في رحلة عبر الزمن، نطل من خلالها على تلك الحضارات وما أنتجته وقدمته للبشرية جمعاء. وجاء احتفالنا الافتراضي باليوم العالمي للمتاحف في ظل كورونا، حيث نحرص على أن نقدم المعلومة والفائدة للجميع، على الرغم من التحديات التي ارتبطت بالظروف الراهنة، فهي لا تعيقنا من القيام بمهماتنا في كل المجالات والمستويات المعرفية والميدانية والعملية والعلمية، بما يسهم في تقديم المعلومة لكل من يحتاجها من عشاق التراث والباحثين والمختصين».

ولفت إلى أن الاحتفالية تضمنت رحلة افتراضية لمتحف التراث العربي، ومتاحف خورفكان، ومتحف الحرف التقليدية، والمتاحف الشخصية لكل من عثمان باروت، وفاطمة المغني، وسعيد علي النقبي. مشيراً إلى أن هذه المتاحف التي تلقى الدعم الكبير من قبل صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، لها مكانة كبيرة، وفيها الكثير التي يستحق التعريف والزيارة فهناك في تلك المتاحف تاريخ وذاكرة الشعوب، ذاكرة لا يعتريها النسيان.

وأشار إلى أن أهمية المتاحف تكمن في دورها بالتعريف بثقافات الأمم والشعوب والحضارات، من خلال عرض المقتنيات المتحفية التي تسهم في تثقيف أعداد كبيرة من الزوار، وإتاحة الفرصة للمختصين بالمتاحف من التواصل مع المجتمع، وتعزيز وزيادة الوعي بدور المتاحف في تنمية المجتمع، والتذكير بأهمية ومكانة المتاحف كوسائط تستثمر من أجل تقوية الروابط الإنسانية، بالإضافة إلى صون التراث والحفاظ عليه، والتعرف على هوية وتراث وثقافة المجتمعات وتنوعها.

### حصن خورکلباء

يعتبر حصن خور كلباء بناء دفاعي تم بناؤه

ضمن نسيج المباني للقرية، حيث أن كل الطرق والسكيك تؤدي إليه، وهو عبارة عن منطقة مستطيلة الشكل تضم أربعة أبراج ضخمة، ويعتبر هذا المعلم التراثي العريق بيت الشيخ سعيد بن حمد القاسمي، في مدينة كلباء، من أهم البيوت التاريخية في دولة الإمارات ويعكس طابعاً تاريخياً أصيلاً، وقد تم تحويل البيت إلى متحف في العام 1999، وهو اليوم من أحدث مشاريع حفظ وصون التراث.

**متحف الحرف التقليدية في خورفكان**

يشكل متحف الحرف التقليدية في خورفكان مساحة ثقافية وتراثية تضم العديد من الأقسام التي خُصصت لعرض وشرح الفنون والحرف اليدوية القديمة، حيث تم تخصيص 25 محلاً في السكة الموازية لمحور السوق الرئيسي لعرض الحرف التقليدية المندثرة، وتعكس الحرف مختلف البيئات البحرية والجبلية وكل حرف السكان قديماً ومنها الطب الشعبي والحلاقة والخياطة واستخراج اللؤلؤ وتعليم القرآن واستخراج الدبس والحرف البحرية وغيرها، ويوفر المتحف للزوار تجارب واقعية للحرف التقليدية وينظم العديد من الورش والفعاليات التي ستعيد إحياء وتعليم هذه الحرف التراثية المهمة، كما تم توزيع توزيعات خاصة لهذا اليوم على كافة زوار المتحف.

**متحف العين**

يقع بالقرب من قلعة الشيخ سلطان بن زايد الأول (او الحصن الشرقي)، في المجمع نفسه، ويجمع بين





الآثار والمكتشفات التوضيحية، بدءاً من العصر الحجري ولغاية نشوء دولة الإمارات. وقد أنشئ المتحف في العام 1969 بتوجيهات من المغفور له بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان مؤسس وباني دولة الإمارات.

**المتحف القومي للحضارة المصرية**

يعد المتحف القومي للحضارة المصرية الاحدث عالمياً والأول من نوعه في مصر والعالم العربي، يقدم نظرة شاملة عن الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى يومنا هذا.

**متحف كابيتولين**

يقع في روما، وهو الأقدم في أوروبا، افتتح في العام 1734، ويحتوي على عدد كبير من التماثيل تعود إلى العصور الوسطى وعصر النهضة، ويحتوي كذلك على القطع الأثرية كالمجوهرات والعملات النقدية القديمة.

# الاحتفال بيوم التراث العالمي

اليوم العالمي للتراث كان له وقعه الخاص في أجندة معهد الشارقة للتراث، رغم ما يفرضه فيروس كورونا المستجد من إجراءات احترازية، التي تم اتباعها في الفعاليات الافتراضية والواقعية المنظمة من قبل المعهد، بمناسبة هذا اليوم، والتي كانت تحت شعار «جهود رائدة في حماية التراث الثقافي».

وقد دأب المعهد على الاحتفال بهذه المناسبة العالمية، خلال فعاليات «أيام الشارقة التراثية»، ونظراً للظروف الاستثنائية الراهنة، بما يخصّ فيروس كورونا المستجد، جاءت احتفالات المعهد بيوم التراث العالمي، الذي يصادف الثامن عشر من إبريل، بنكهة خاصة، واحتفالات مميزة ومتنوعة، ركزت على جانب المحاضرات المتنوّعة في الصباح والمساء، لاقت تفاعلاً حيوياً لافتاً من قبل المتابعين، وفي خورفكان نظّم فرع المعهد احتفالية بهذه المناسبة.





**التراث بكل تجلياته**

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث: «إن الحديث عن التراث ويوم التراث العالمي، هو حديث ذو شجون، فكل واحد منا مرتبط بالتراث بشكل أو بآخر، هو ارتباط الوطن والأمومة، وارتباط له جذور عميقة جداً، ونحن في الشارقة لنا بدايات مبكرة وجميلة، وكذلك مازلنا نتذكر الاهتمام الخاص بالتراث، من قبل المغفور له، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، مؤسس دولة الإمارات وبانيها، الذي كان يعيش التراث بكل تجلياته، وكان يهتم بثلاثة نواحٍ رئيسة في التراث، هي: الأدبُ الشعبي؛ الشعر والأمثال والحكايات، ورياضات الهجن والخيل، وسباق الزوارق الشراعية التراثية».

وتابع سعادته: «إنها مسيرة مقدرة، تلك التي قطعنا فيها وخلالها أشواطاً كبيرة في التراث، وتبني مشاريع التراث الثقافي، مثل المشروع الكبير، مشروع مكنز التراث العربي،

الدكتور عبدالعزيز المسلّم: الحديث عن يوم التراث العالمي ذو شجون

وهناك بالتأكيد مشاريع أخرى، من بينها تلك القواميس الثلاثة التي أنتجناها، من خلال جهود الباحثين والمختصين».

وأضاف: «يوم التراث العالمي هو يوم نعتز به ونقدّره، ونعدّه إحدى أهم المناسبات العالمية التي تؤكد مكانة التراث وضرورة صونه وحفظه ونقله للأجيال، ويؤشر إلى أهمية التعاون والتنسيق العالمي في مختلف شؤون التراث وقضاياه، وأن ما يجمعنا كبشر في كل الحضارات والثقافات كثير جداً، ويستوجب التركيز عليه، والاحتفاء به».

**«كورونا والتراث» ضمن محاضرة «جهود رائدة في حماية التراث الثقافي»**

أكد المسلّم أن «كورونا» وتبعاتها أحدثت تأثيرات في التراث وعليه، فقد أثرت في بعض العادات والتقاليد، كما أحدثت أساليب جديدة يجب أن توثّق، فكثير

من العادات والتقاليد، كالتحية مثلاً، انتهت في زمن كورونا، والتحية بالأنف أصبحت خطرة، وكذلك موضوع المجالس والأواني والمقتنيات، وكثير من الأمور تأثر بها التراث، بسبب الظروف الاستثنائية الراهنة.

وتابع: أما التأثير في الفعل المؤسسي للتراث، فكما نرى، لا مؤتمرات ولا دعوات ولا لقاءات، ولا سفر للمشاركة في فعاليات، كما كان المشهد والفعل قبل كورونا، ومع ذلك فقد جاءت المنصات الإلكترونية والافتراضية لتحل محل اللقاءات المباشرة، لكن ما ينقص تلك المنصات أنها بلا روح، وبلا مشاعر، مثل الوجود الحقيقي، والمنصات الافتراضية تقتل أحياناً هذا الوصال والتفاعل، لكن إيجابياً لانزال نتواصل ونؤدي مهامنا، والأجمل

> معهد الشارقة للتراث في كلباء يتناول «أهمية صون المواقع التراثية»

هنا يمكن أن نتواصل بزينا الشعبي، كما أن بالإمكان المشاركة في أكثر من حدث أو فعالية عن بُعد، حيث أنارت كورونا أبصارنا إلى حلول وبدائل عدة.

برعاية الشيخ هيثم بن صقر القاسمي، نائب رئيس مكتب سمو الحاكم بمدينة كلباء، نظّم معهد الشارقة للتراث – فرع كلباء، محاضرة بعنوان «أهمية صون المواقع التراثية والمحافظة عليها»، في مقر المعهد بكلباء، تحدث فيها الدكتور سعيد مبارك الحداد، مدير معهد الشارقة للتراث في كلباء، بحضور الدكتور سليمان عبدالله سرحان الزعابي، رئيس المجلس البلدي بمدينة كلباء، وعدد من مديري الدوائر والمؤسسات الحكومية في المدينة، بالإضافة إلى المهتمين في التراث، حيث أدارت الندوة هنادي درويش الخوري، منسق القسم التراثي بمعهد الشارقة فرع كلباء.

# «الشارقة للتراث» يصدر كتاب «الشارقة في كتابات الرحالة البريطاني وليم بلجريف»

صدر مؤخراً عن معهد الشارقة للتراث كتاب الشارقة في كتابات الرحالة البريطاني وليم بلجريف لمؤلفه الدكتور منّي بونعامه، ويتألف الكتاب من ثلاثة فصول ومقدمة وخاتمة، تناول الفصل الأول «الرحلة والترحال»، المفهوم والسياق، مستعرضاً في تضاعيفه أهمية الرحلة وفوائدها، وأبرز الرحّالة الذين زاروا المنطقة خلال القرن التاسع عشر الميلادي، كما توقف عند الأهمية التاريخية لكتب الرحّالة، وهل يمكن اعتبارها مصدراً تاريخياً يوثق به، ويعتمد عليه.

كما عرّج المؤلف على الرحّالة الغربيين الذين توافدوا إلى الشارقة، أو مرّوا بها في طريقهم، وركّزنا على الانطباعات الأولى التي أوردها عددٌ من الرحّالة والمسؤولين البريطانيين، عن الإمارة ومدنها وتوابعها، من أمثال: ديفيد سيتون، فينزينزو موريزي، جمس سلك بكنجهام، جورج بارنز بروكس، جيمس ريموند ولستيد.

**«الرحلة والرحّالة»**

وتطرق الفصل الثاني لـ «الرحلة والرحّالة»، واستعرض سيرة الرّحالة وليم بلجريف ومسيرته ورحلته، وأبرز محطاته وصولاً إلى الشارقة، حيث حطّ رحاله فيها عام 1863م، وبدأ يهيم في أرجاء المكان، ويكتب انطباعاته عنه، موثّقاً في رصده جوانب متعدّدة ومهمة من أنماط الحياة التي كانت سائدة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، كما تحدّث المؤلف عن أبرز الانتقادات التي وجهت للرحلة ومضمونها، مستعرضاً آراء الرحّالة

والباحثين الذين فنّدوا معلومات بلجريف، لاسيما ما تعلّق منها بالرياض والأحساء والقطيف.. ومنهم: جون فيلبي، ولفرد بلنت، مايلز، س.ب، لورنس، تي إي، كما ساق آراء الرحّالة الذين أثنوا على الرحلة، واعتبروها فتحاً مبيناً وعظيماً في تاريخ الاستكشاف الأوروبي، من أمثال بترام توماس وصمويل زويمر، ثم وضعنا الرحلة في ميزان النقد، وبيّن وجهة نظره في الرحلة، وأهميتها التاريخية، وكيف يمكن الاتكاء عليها كمصدر تاريخي.

وليم بلجريف

### بلجريف في الشارقة

وتحدث الفصل الثالث عن «بلجريف في الشارقة»، وتناول فيه المؤلف اللحظات الأولى لوصول الرحّالة إلى ميناء الشارقة، وملامح الساحل، ومكانة الممثل البريطاني في الشارقة (الحاج يعقوب بن بشير)، ومعالم العمارة الدفاعية والدينية والمدنية والتجارية، كالأبراج والحصون والقلاع والأسوار، والمساجد والبيوت والأسواق، كما وردت في رحلة بلجريف، مع إضافات وتوضيحات وشروح أوردناها في محلّها، ثم انتقلنا مع الرّحالة إلى وصف الأجواء والملابس

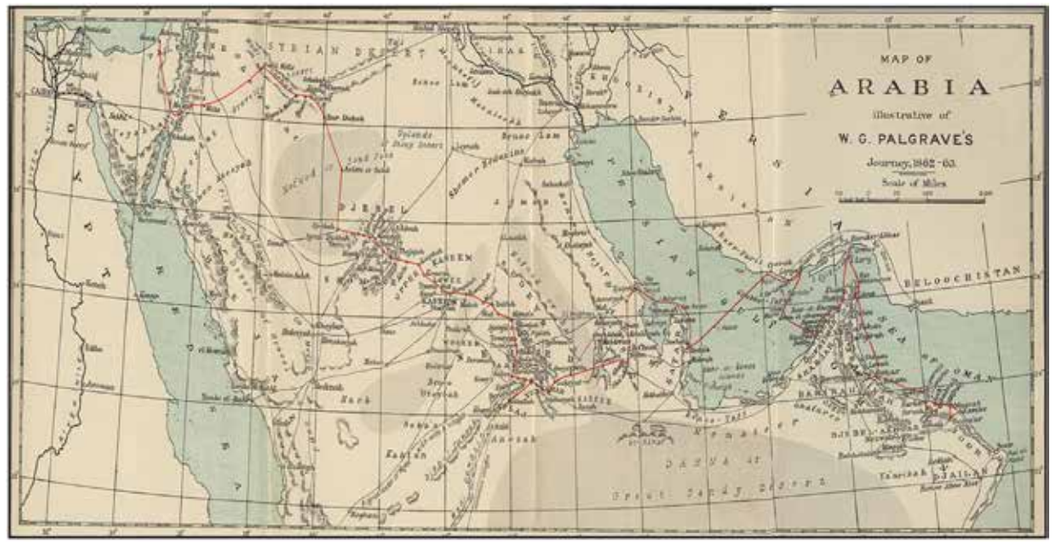

خط سير رحلة بلجريف





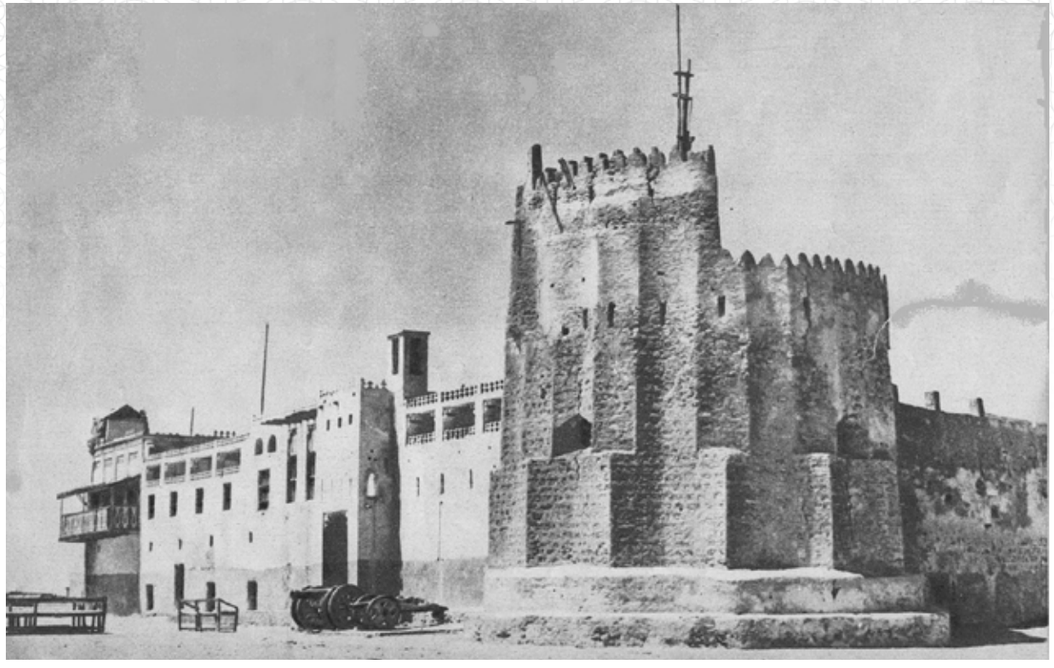
المحلوسة 1944

والأزياء، والسكان وطبائعهم ومشيتهم وألوانهم وسحنتهم، ثم عرّج على بعض المفردات اللغوية العامية التي تستخدم في الترحاب، وبعض الظواهر التي لفتت انتباه بلجريف خلال مدّة إقامته بالشارقة.

### معرفة نمط البناء القديم ومكوّناته

وتعدّ مشاهدات هذا الرحّالة ذات أهمية كبيرة في معرفة نمط البناء القديم ومكوّناته، وإن كانت لا تخلو من أخطاء تحتاج إلى تصويب، منها أن البيوت

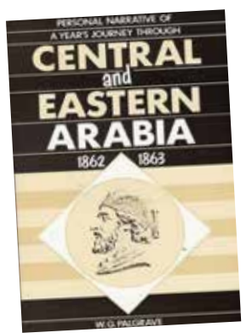


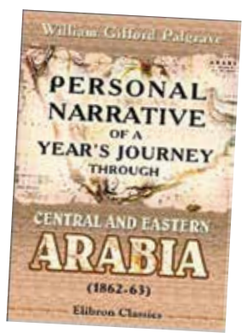

سوق صقر أثناء الترميم

سوق صقر

المبنية من سعف النخيل لم تكن بغرض التأجير لصيادي الأسماك والبحارة، كما ذكر بلجريف، بل كان معظمها، إن لم تكن كلها، بيوتاً دائمة للسكان، وهي تمثل أكثر بيوت الإمارة؛ فالبيوت المبنية من الطين كانت للفئات المقتدرة من السكان، في حين كانت الفئات الفقيرة تسكن في بيوت من السعف.

كما أورد معلومات غير دقيقة عن عمان.

وقد اعتمد المؤلف على كمٍّ وفير من المصادر والمراجع التاريخية والجغرافية؛ لمقارنة المادة التاريخية والتراثية التي ضمّنها كتب الرحلات المذكورة، خاصة رحلة بلجريف موضوع الدراسة، وسلك منهج المقارنة والتحقيق اتكاء على الكتابات التاريخية لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حفظه الله، كونها تعد الأوثق والأصح، وذلك بهدف التأكد من صحة المعلومات والملاحظات المعروضة.

### سلسلة حلقات تاريخية متواصلة

ويشير المؤلف إلى أن هذا العمل يمثّل في الواقع حلقة من سلسلة حلقات تاريخية متواصلة، يتطلع من خلالها إلى إنجاز مشروع متكامل عن إمارة الشارقة ومدنها، عبر رصد تجليات حضورها في المصادر، العربية والغربية، وذلك بهدف توثيق صورة الإمارة في المصادر القديمة والحديثة، واستكشاف ملامح ومعالم تلك الصورة، وما تكتنزه أو تنطوي عليه من قيمة تاريخية عزّ نظيرها، لرفد المكتبة الإماراتية والعربية بموضوعات لاتزال خلوا من الدراسة والبحث والتوثيق، وإتاحتها للباحثين للنهل من معينها الزاخر.

### معلومات زاخرة عن الحياة في صحراء الجزيرة العربية والخليج

وأوضح بونعامه أن أهمية هذه الرحلة تكمن فيما حوته من معلومات زاخرة عن الحياة في صحراء الجزيرة العربية والخليج، ومشاهدات وانطباعات الرحّالة عن المنطقة، وتمثّله سكانها، كما تتجلى قيمة الرحلة، وهذا ما يهمنا هنا أكثر من غيره، في المعلومات التي أوردها الرحّالة عن ساحل عمان، وإمارة الشارقة على وجه التحديد، حيث اشتملت على وصف مدينة الشارقة القديمة، وموقعها وبيوتها





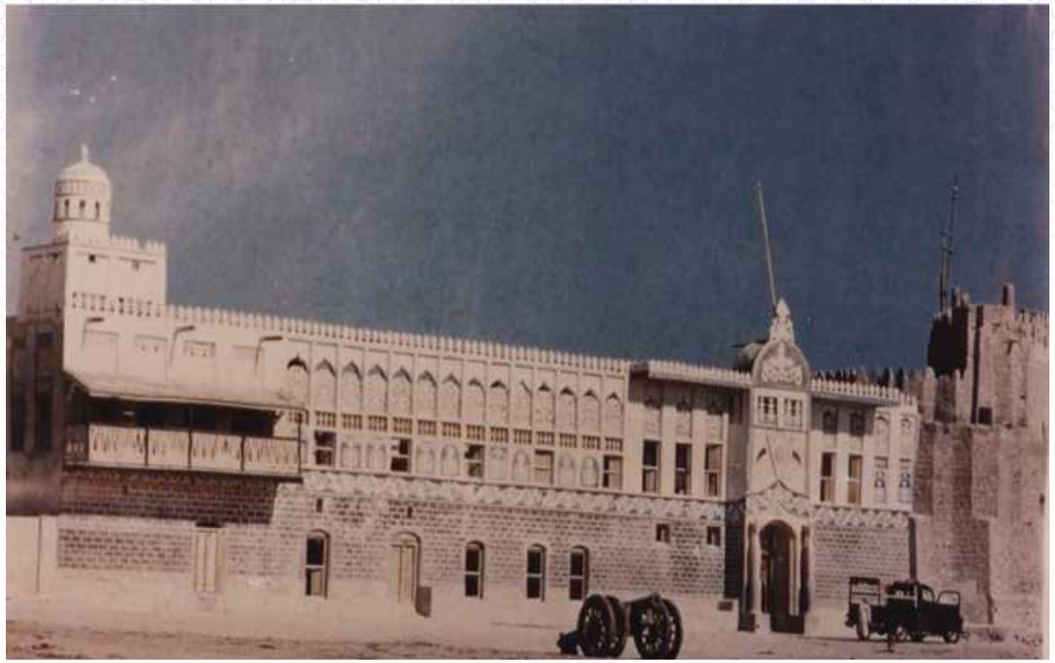

الحصن في الستينات

ومعالمها وصروحها وأسواقها ومساجدها، وأعلامها، وشخصياتها، وثقافة أهلها وعاداتهم وتقاليدهم، وملابسهم، وطرائق عيشهم، ومختلف أحوالهم، من خلال مشاهداته وتمثّله للمكان وثقافته العربية الأصيلة، كما وصف الشارقة بكونها مركزاً تجارياً في القرن التاسع عشر... إلخ.

وتأتي هذه الدراسة بهدف الوقوف على أهمية هذه الرحلة، ومعرفة مدى إمكان اعتبارها مصدراً تاريخياً يُوثق به، ويعتمد عليه، ورصد تجليات صورة الشارقة ومدنها، وأبرز محطات الرحالة فيها، حيث حطّ رحاله فيها عام 1863م، وبدأ يهيم في أرجاء المكان، ويكتب انطباعاته عنه، موثقاً في رصده جوانب متعددة ومهمة من أنماط الحياة التي كانت سائدة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، لما لها من دور في معرفة نمط البناء القديم ومكوناته، وغير ذلك مما سنوضّحه في مواضعه.

السوق القديم 1968م

# الزراعة والرعي

## أسلوبا حياة في الإمارات قديماً

د. عادل الكسادي
باحث – معهد الشارقة للتراث

تتعـدّد أسـاليب حياة النـاس ونشـاطهم الاقتصادي، بحسـب تعـدّد واختـلاف البيئـات الإيكولوجيـة للسـكان، وفـي الإمـارات قديماً كانـت تظهـر أمامنـا وفقـاً لذلـك التنـوّع الإيكولوجـي أنماطـاً معيشـية وأسـاليب إنتاجيـة عـدة.

تمثـل الصحـراء الجزء الأكبـر من جغرافيـة وطبيعة الإمـارات، إلا أن هذه الصحـراء لا تخلو من الواحات والوديـان الزراعيـة، ومـن نمـو النباتـات الصالحـة للرعـي، كمـا تتميز المناطـق الجبلية بوديـان صالحة للزراعـة، وسـفوح جبـال صالحـة كذلـك للزراعـة والرعـي. والزراعة والرعـي في الإمارات هما نمطان، وأسـلوبا حيـاة، وطريقتان من طرق العيش أساسـيان وضروريان لحياة السـكان، وتلبية متطلباتهم المعيشية. وفي الإمـارات تتداخـل أسـاليب العيـش، فالإنسـان الإماراتـي أو رجل القبيلـة والبدوي متعـدد المهارات، وهـو نفسـه في الغالب راعيـاً ومربياً للجمـال، وزارع وراعـي نخيـل، وغوّاص لؤلؤ، وهي مهـارات أو أعمال كان أفـراد الأسـرة الواحدة يتقاسـمونها أحياناً.

كان سـكان الإمارات الذين لا يعيشـون بمحاذاة البحر يمتهنـون الزراعة والرعـي، فهم إما مزارعون أو رعاة، ولكـن الموارد الزراعيـة ومصادر الثـروة الحيوانية في البلاد محـدودة جداً، ولكنها تمكِّـن الناس من العيش إلـى جانب أنمـاط العيش المعتمدة علـى اللؤلؤ وصيد السـمك والتجارة البحرية.

يتنـاول هـذا المقال الزراعـة والرعي كأسـلوبي حياة، وطريقتـين مـن طـرق العيـش في البيئـات المتنوعـة

لجغرافيـة الإمـارات قديمـاً، وهـي أنماط معيشـية ضروريـة لحيـاة السـكان، وكانتـا تلبيـان الحاجـات الضروريـة إلـى جانـب أسـاليب العيـش الأخرى من صيـد لؤلـؤ وتجـارة بحرية وصيـد الأسـماك، حيث تتكامل كل تلك الأسـاليب؛ لتشكيل القطاع الاقتصادي الـذي يقوم بتأمـين حاجـات الناس المعيشـية.

**1. الزراعة في الواحات والجبال:**

تعـدّ زراعـة النخيـل جانبـاً مهمـاً مـن جوانـب الحيـاة الزراعيـة والاقتصادية، إن لـم نقل إن التمر هو المحصول الرئيـس لسـكان الإمارات قديماً، وهو يمثِّل غذاء رئيسـاً اعتمـد عليـه النـاس في سـواحل الإمـارات وجبالهـا وصحاريهـا؛ لذلـك كانـت زراعـة النخيل أمـراً ضرورياً مارسـه السـكان في الماضـي علـى اختـلاف بيئاتهم.

وتعـدّ التمـور سـلعة اسـتهلاكية حيوية للسـكان، فلا يسـتطيع النـاس العيـش من دونهـا، وتحفـظ التمور بعـد تجفيفهـا في أكيـاس مصنوعة من سـعف النخيل المجفّـف، حيث تسـتخدم كمصدر من مصـادر الطعام طـوال العام؛ لذا اهتم الأجـداد والآباء بزراعة النخلة،

تستخدم جذوع الأشجار كعوارض لبناء البيوت، وكان السعف والجريد يستخدم، بعد تجريده من الأشواك والأوراق حصراً، تتكوّن منها جدران المنازل، كما يستخدم الخوص لصناعة المهفات والسلال والحبال، وتشكيلة واسعة من أواني الحفظ وحاجات البيوت اليومية والمفارش والوسائد، وكانت قوارب الشاشة المستخدمة في صيد السمك على الساحل الشرقي، تصنع كلياً من جريد وأغصان وكرب النخيل.

**- أساليب الري:**

وتتعدّد زراعة النخيل حسب أساليب الري المتبعة، ففي الواحات تنتشر زراعة النخيل على نطاق واسع في تلك المزارع المروية بالأفلاج، فما كان من الممكن للواحات المهمة كالبريمي، والذيد، ومزارع نخيل جبال الحجر الغربية وأوديتها، أن تستمر لولا هذا النظام العريق للري. ويوزع الفلج المياه بين مختلف المزارع عبر قنوات سطحية، بحيث يمكن التحكم بتدفقها وتوجيهها وتنظيمها، وتأتي المياه عبر نفق يبلغ طوله عادة كيلومترات عدة، وينشأ أساساً ليكون مستوى المياه أعلى من مستوى الأرض في المزارع. ويتم تحديد مسار قناة المياه الجوفية بأكوام أتربة الحفريات التي تلقى فوق الأرض حول الفتحات التي تمتد على طول قناة الفلج، والتي سمحت للبنائين الذين قاموا بحفرها وبنائها، ولفرق الصيانة بالوصول إلى مجرى القناة لتنظيفها وصيانتها.

وفي المزارع الصحراوية نشأت مزارع النخيل من دون الري بالأفلاج، وبقليل من الري من الآبار. وكانت أشجار النخيل المزروعة حديثاً هي التي تسقى

وعدّوها ثروة أساسية، ومصدراً ضرورياً من مصادر الغذاء، كما يعدّ تناول حبات من التمر والقهوة في المجالس، وفي المناسبات العامة، من التقاليد الراسخة في الموروث الثقافي لأبناء الإمارات، كما في بقية بلدان الخليج والجزيرة العربية.

وإلى جانب التمر الذي توفره زراعة النخيل للاستهلاك الغذائي المحلي، كانت شجرة النخيل تزوّد المجتمعات المحلية بتشكيلة واسعة من المواد والحاجات الضرورية المفيدة لحياة السكان، فكانت





بانتظام من قبل المالك الذي كان يحمل القرب المملوءة بالماء من البئر إلى الشجرة. وكانت جذور شجرة النخيل التي تنمو من دون سقي تميل إلى الامتداد عمودياً، حتى تصل إلى النطاق المائي، وهو المستوى الذي تكون الأرض تحته مشبعة، في أعماق غير كبيرة جداً في منخفضات ليوا وفي واحات صغيرة أخرى في الصحراء، وبذلك تصبح الشجرة معتمدة على نفسها حتى ولو كانت المياه كما هي في بعض أجزاء الواحة، عسيرة بعض الشيء. وفي ظل هكذا ظروف صحراوية قاسية، ونظراً لندرة المياه، فإنه لا تنمو سوى بعض أنواع أشجار النخيل فقط، وتكون ثمارها دائماً أصغر بكثير من الأشجار التي تنمو في الواحات، حيث الماء وفير.

وتعدّ البيئة الجبلية إحدى البيئات الطبيعية والاجتماعية المكوّنة لجغرافية ومجتمع الإمارات العربية، فهناك جبال الحجر الغربية التي تشكل جزءاً من أراضي الفجيرة والشارقة وعجمان ودبي وأبوظبي، والتي تعيش فيها جماعات يطلق عليها في المصطلح المحلي «الحيور»؛ أي الحجور، وهم سكان جبال الحجر.

لا يعتمد أهل الحير على الأمطار مباشرة في ريّ محاصيلهم الزراعية، ذلك أن المحاصيل الزراعية الشتوية في القرى لا تتم عملية ريها بوساطة الأمطار، بل تعتمد القرية الحجرية على مخزون الماء المتجمع في أسفل حوض الوادي، إذ يروي الفلاحون حقولهم ومزارعهم باستخدام نظام قنوات الري من تحت الأرض، المعروف محلياً بالفلج. وتتباين المحاصيل الزراعية تبعاً للموسم، فالدورة السنوية الزراعية في إقليم الحجر، تتطلب من الفلاح أن يزرع التبغ (الغليون)، والذرة، والقمح، والشعير، والدخن،

والعلف والبرسيم في الشتاء، والرطب، والمانجو، والليمون في الصيف، بل يشتهر الحير بمواشيه، التي تضم الماعز الجبلي والخراف، والإبل والأبقار المحلية، وأغناماً محلية قليلة أخرى.

وتعدّ زراعة الغليون من أهم المحاصيل النقدية التجارية التي يعتمد عليه سكان المناطق الداخلية للإمارات في حياتهم المعيشية في مناطق المرتفعات الجبلية أو ما يطلق عليها «الحير»؛ لأنه يمثل المصدر الرئيس للدخل في تلك المناطق؛ ولذلك كان يزرع محصول الغليون في تلك المناطق بكميات تجارية، بهدف التصدير الخارجي.

وفصل الشتاء هو موسم غرس بذور الغليون في الأحواض الزراعية التي تحرثها الثيران، وبعد أن تنمو قليلاً وتمتلئ تلك الأحواض بكميات كثيفة من أشجارها، تبدأ عملية نقلها من تلك المشاتل وزرعها في أحواض أخرى، بتنظيم مريح تتيح للشجرة الواحدة منها أن تفرد أوراقها بحرية تامة، قدر ما استطاعت قبل أن تلفحها حرارة أشعة شمس الفصول القادمة، فيحين موعد انتزاعها ونشرها للتجفيف، ومن ثم ترتيبها في ربطات وإعدادها بانتظار وصول تجار البحرين والكويت، الذين كانوا يشترون إنتاج مزارعها من الغليون بالجملة، وبعد أن يتم الاتفاق بينهم وبين المزارعين، تبدأ قوافل الجمال بالعمل على مدى أيام عدة متواصلة متردّدة بين شواطئ خليج عمان والمناطق الجبلية، حيث مخازن الغليون المجفف، وهي تنقل محصول السنة إلى تلك المراكب، التي لم يكن يزيد عددها على اثنين أو ثلاثة في كل مرة، لكنها ما أن ترحل وتغيب مدة أسبوعين ذاهبة بالشحنة الأولى حتى تعود مرة أخرى لتشحن بقية الكميات، وأحياناً كانت تعود ثالث مرة.

**2. الرعي في الجبال والصحراء:**

والرعي هو النمط الثاني من أنماط العيش لدى سكان جبال الحير (الحجر)، الذي يشكل إلى جانب الزراعة معاً، الهوية الحجرية، ويضطلع الرعي الذي يعد أسلوباً لكسب العيش قديماً، كما هي الزراعة، بنسبة تبلغ بين الربع والثلث من أنشطة أي مجتمع حجري، وهذه الأنشطة بالطبع، متأثرة إيجابياً بجبال وسهول الحجر التي تعدّ مراعي معقولة لفصيلة الماعز الجبلي الذي تتم تربيته مع بعض الخراف، وما دامت كل قبيلة أو عشيرة أو بدنة، تزعم أنها تمتلك وادياً أو شعبة صغيرة، هذا إلى جانب المرعى الذي يحيط به، فإن كل أسر مجتمع القرية، يجب أن يكون لها حقوق متساوية في استخدام هذه المنطقة، بصفتها أرضاً مشتركة ومشاعاً جماعياً لقطعانها.

وتحتفظ العائلات البدوية في الصحراء والواحات والجبال بقطعان من الأغنام والماعز، وهناك أفضلية لدى معظم الأسر لتربية الماعز لسهولة رعايتها، وعندما تغادر القبائل التي تجول في المناطق الأمامية لجبال الحجر مستوطناتها، وتعيش حياة البداوة خلال أشهر الشتاء، كانت تأخذ الماعز والأغنام مع جمالها، بينما كانت القبائل البدوية





في صحراء أبوظبي تترك أحياناً ماعزها مع أفراد من القبيلة في ليوا خلال فصل الشتاء؛ لأنها كانت تأخذ جمالها إلى منطقة لا توجد فيها الآبار لسقي الماعز منها، وعادة ما تهتم النساء والأطفال بتربية الماعز في المناطق المجاورة لمستوطناتهم.

والماعز مفيدة في مجالات عدة، فقد كان يُحوّل لبنها إلى خثارة اللبن؛ أي مخيض أو رائب، كما كانت النساء يقمن بغزل وبرها ونسجه؛ ليصبح أقمشة أو حبالاً للخيام، أو يصنعن منها جوارب لحماية الأقدام من الرمال المحرقة في الصيف. وكانت جلود الماعز والضبّ تُستعمل لصناعة القِرب الخاصة بنقل المياه أو الزبدة، أما الجلود، فقد كانت تُدبغ بالملح وتُخاط معاً، وأحياناً كانت أطراف الجلود، تُعقد بطريقة مرتبة لصنع الشرّابات والمسكات.

ويعد الرعي وتربية الحيوانات كذلك إحدى طرائق حياة الناس في المناطق والواحات الصحراوية في مجتمع الإمارات التقليدي؛ ولذلك يقوم عدد قليل من البدو المقيمين بصورة دائمة في الإمارات، أو الذين يزورونها باستمرار، برعي وتربية الجمال، وكان البدو من بني قتب والمناصير يمتلكون مزارع نخيل، وكان معظم العوامر والجماعات البدوية الأخرى من الرواشد والمناهيل والعفار وآل مرة وغيرهم ممن يجوبون مختلف أنحاء المنطقة الواقعة بين بلادهم إلى الغرب وشمال حضرموت والظفرة، يعملون على تنظيم حياتهم وفق متطلبات هذا النمط المعيشي القائم على رعي وتربية الإبل.

وتقوم حياة البدو ليس على نشاط واحد، فأصحاب النخيل من البدو يوزعون وقتهم بين تلك الممتلكات، ورعي وتربية جمالهم. ويختلف السكان حول تحديد المدة التي كانوا يعيشون خلالها حياة البداوة، فقد أقام عدد من المناصير في منازلهم في ليوا، خلال السنة كلها مثلاً، بينما كان معظم أفراد القبيلة

يقضـون وقتهم عادة في مكان مـا في الظفرة، أو حتى في الظاهـرة، سـعياً وراء أفضـل المراعـي لقطعانهم الكبيـرة مـن الجمال. وكان معظم بني ياس باسـتثناء المـزارع أكثـر ميلاً للبقـاء في ليوا، وتـرك جمالهم في عهدة أشـخاص آخرين من بني يـاس، أو من القبليين مـن المناصيـر للاهتمـام بها خـلال فصل الشـتاء، وخـلال فصـل الصيـف، حتـى عندمـا كان العديـد مـن المناصيـر يرغبـون في البقاء في منازلهـم في ليـوا لقطـف التمور، أو الذهاب إلى السـاحل للغوص، كان يجـب أن تبقـى الجمال قرب الآبـار في ليوا.

وعبـر السـاحل بأكمله كانت بعـض القبائل التـي تمتلـك حقوقاً غيـر متنازع عليهـا للدخول إلـى جزر معينة، تنقل جمالها بحراً بوسـاطة المراكـب، للاسـتفادة من المراعـي التي تزدهر خلال فصل الشـتاء في تلك الجزر.

وكانـت تتـم تربيـة الجمـال بشـكل أساسـي للاسـتفادة مـن لبنهـا، ولتكـون مطيـة لصاحبهـا وعائلتـه ونقـل السـلع، كما كانـت الجمـال السـلعة الوحيـدة التـي يسـتطيع البدوي بيعها عند حاجته للمال لشـراء مستلزماته في الحيـاة كالبندقيـة، الذخيرة، الملابـس، أواني الطهي، لـوازم الجمـال، الأرز، الـبن، السـكر، وحتـى لشـراء المجوهـرات للأفـراح. وكان سـوق عبـري في عمـان علـى الأرجـح أهـم سـوق للجمـال في المنطقـة، كما كانـت قرية البريمي والذيد والمسـتوطنات السـاحلية مـن الأسـواق التـي كان يتـم فيهـا البيـع والمقايضة.

وللحيوانـات في صحـراء الإمـارات قيمـة معنويـة ومادية، حيث يسـتخدم لحمها للطعـام، وروثها وقوداً، وجلدهـا وصوفها لصناعة البسـط والأغطية والقِرب، وكانـت تربـى النوق فقـط، إضافة إلى عـدد قليل من الفحـول للتـزاوج، وعـادة مـا كانت معظـم الفحول مـن الذكـور تنحـر في المناسـبات، كالـزواج أو قدوم زائـر مهم.

**الخاتمة:**

كان سـكان الإمـارات الذيـن لا يعيشـون بمحاذاة البحر يمتهنون الزراعـة أو الرعـي، ولكـن المـوارد الزراعيـة ومصـادر الثـروة الحيوانيـة في البـلاد محدودة جـداً، ولكنها تمكِّـن الناس من العيـش إلى جانـب أنماط العيـش المعتمدة علـى اللؤلـؤ وصيـد السـمك والتجارة البحرية.

وتعـدّ زراعـة النخيـل جانبـاً مهماً مـن جوانب الحيـاة الزراعية والاقتصاديـة، إن لـم نقـل إن التمر هو المحصـول الرئيس لسـكان الإمـارات قديماً، وهـو يمثِّل غـذاء رئيسـاً اعتمـد عليـه الناس في سـواحل الإمـارات وجبالهـا وصحاريهـا؛ لذلك كانت زراعـة النخيـل أمـراً ضروريـاً، مارسـه السـكان في الماضـي علـى اختـلاف بيئاتهـم، كمـا كانت شـجرة النخيـل تزوّد المجتمعات المحلية بتشـكيلة واسـعة من المـواد والحاجـات الضروريـة المفيدة لحياة السـكان.

وتتعدد زراعة النخيل، حسـب أسـاليب الـري المتبعة، ففي الواحات تنتشـر زراعة النخيل على نطاق واسـع في تلـك المـزارع المروية بالأفلاج، فمـا كان من الممكن للواحـات المهمـة كالبريمـي، والذيـد، ومـزارع نخيل جبـال الحجـر الغربيـة وأوديتها أن تسـتمر لولا هذا النظـام العريق للري.

والـدورة السـنوية الزراعيـة في إقليـم الحجر الجبلي تتطلـب من الفلاح أن يـزرع التبغ (الغليـون)، والذرة، والقمـح، والشـعير، والدخـن، والعلـف والبرسـيم في الشـتاء، والرطب، والمانجو، والليمـون في الصيف، بل يشـتهر الحير بمواشـيه التي تضم الماعز الجبلي والخـراف، والإبل والأبقار المحليـة، وأغناماً محليـة قليلة أخرى.

وتعـدّ زراعـة الغليـون مـن أهـم المحاصيـل النقديـة التجاريـة التـي يعتمـد عليهـا سـكان المناطق الداخليـة للإمـارات في حياتهم المعيشـية في مناطـق المرتفعـات الجبليـة، أو مـا يطلـق عليهـا «الحيـر»؛ لأنه يمثل المصـدر الرئيس للدخل في تلـك المناطـق.

ويعـدّ الرعي وتربيـة الحيوانات كذلـك إحدى طرائق حيـاة النـاس في المناطـق والواحـات الصحراويـة في مجتمـع الإمـارات التقليـدي؛ ولذلك يقـوم عدد قليل مـن البـدو المقيمين بصـورة دائمـة في الإمـارات، أو الذيـن يزورونها باسـتمرار، برعي الجمـال وتربيتها.

وتحتفـظ العائـلات البدويـة في الصحـراء والواحات والجبـال بقطعـان مـن الأغنـام والماعـز، وهنـاك أفضليـة لـدى معظـم الأسـر لتربيـة الماعز لسـهولة رعايتهـا، وعندمـا تغـادر القبائـل التـي تجـول في المناطـق الأمامية لجبال الحجر مسـتوطناتها، وتعيش حياة البداوة خلال أشـهر الشـتاء، كانـت تأخذ الماعز والأغنـام مع جمالهـا، بينما كانت القبائـل البدوية في صحـراء أبوظبـي تتـرك أحيانـاً ماعزهـا مـع أفراد مـن القبيلـة في ليوا خـلال فصل الشـتاء؛ لأنها كانـت تأخـذ جمالهـا إلى منطقـة لا توجد فيها الآبار لسـقي الماعـز منها، وعادة ما تهتم النسـاء والأطفـال بتربية الماعـز في المناطـق المجـاورة لمسـتوطناتهم.

وكانت تتم تربية الجمال بشـكل أساسـي للاسـتفادة من لبنها، ولتكون مطية لصاحبها وعائلتـه ونقل السـلع، كمـا كانت الجمال السـلعة الوحيـدة التـي يسـتطيع البـدوي بيعها عنـد حاجته للمـال لشـراء مسـتلزماته في الحيـاة، وللحيوانـات في صحـراء الإمـارات قيمـة معنويـة ومادية، حيـث يسـتخدم لحمهـا للطعـام، وروثهـا وقـوداً، وجلدهـا وصوفهـا لصناعة البسـط والأغطيـة والقِرب.

**المراجع:**


- فراوكه هيرد – باي، من الإمارات المتصالحة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، ترجمة عايدة يني خوري، موتيفيت للنشر، 2010.
- وليام وفيلدلتي لانكستر، العز في القناعة، رأس الخيمة ومحيطها قبل النفط، ترجمة ميشلين جبور، دار الساقي، بيروت 2007.
- محمد فارس الفارس، رحالة وسياسيون زاروا الإمارات والخليج قبل النفط، 2012.
- عبدالله عبدالرحمن، الإمارات في ذاكرة أبنائها، الحياة الاقتصادية، اتحاد كتاب وشعراء الإمارات، ط 2، 2005.
- عبدالله عبدالرحمن يتيم، الخليج العربي – الثقافة والمجتمع، دراسات أنثروبولوجية، معهد الشارقة للتراث، 2016.

# الجائحة المانحة

## ثورة كورونا في الفكر الإنساني

د.محمد فراس النائب
أستاذ العلاقات الدولية

لطالما جاءت الصراعات البشرية الكبرى في التاريخ الإنساني نتاجاً للفجوات الفكرية العميقة، والتي قدمت بدورها نقلات نوعية على صعيد الفكر الإنساني، ولعل هذا الأمر لم يكن حكراً على الصراعات الكبرى فقط، وإنما كان للأزمات والأوبئة والكوارث نصيب في هذا الشأن، وقد لا نبالغ إذا ما وصفنا ما حدث في عام (2020) بأنه ثورة للفكر الإنساني بكل المقاييس.

أزمة فايروس كورونا، أو لعلها ثورة كورونا في الفكر الإنساني، قد ألقت بظلالها على الصحة والسياسة والاقتصاد والإعلام والثقافة والتواصل الاجتماعي والفن والرياضة... وباختصار شديد، على جميع أنواع حِراك الشعوب والمجتمعات والدول على مختلف المستويات.

ثورة كورونا في المفاهيم المجتمعية، أعادت ترتيب هيكلية المجتمع تبعاً للأهمية والفائدة والعطاء





للإنسان، فتبوأ أعلى الهرم المجتمعي من هم أهل لذلك، بعد أن كان قد اعتلاه في زمن وسائل التواصل الاجتماعي من يخاطب الغرائز بدلاً من العقل، فعاد ليبرزعالياً صناع القرار الذين يحمون شعوبهم، والطواقم الطبية التي تقدم الرعاية الصحية لمجتمعاتها، والعالم والمعلم اللذان يدفعان بعجلة العلم للإنسانية.

في عالم ما قبل أزمة فايروس كورونا الذي كان يغلّب الماديات على الروحانيات، تراجعت عقلانية التفكير واعتماد الإنسان على المنطق في سلوكه، حيث أصبحت هناك علاقة عكسية ما بين ذكاء الإنسان وذكاء التكنولوجيا، كما تنبأ أينشتاين مبكراً، وقد يكون المثال الأبلغ عن هذا الأمر هو الإعلام عبر هذه التساؤلات المشروعة!

من كان يقود مجتمع المعلومات عبر العالم؟ ومن كان يقود العقل في الإعلام الحديث، ويتبعه الإعلام التقليدي في كثير من الأحيان؟

الفنانون ومهرة الكرة واليوتيوبرز والبلوغرز والفاشونيستا والإنفلونسرز، وأياً كانت تلك المهن والمسميات – مع احترامنا لها – لمن يخاطبون الحواس والمتعة والتسلية على حساب الفكر والثقافة والفائدة، وكنتيجة طبيعية لذلك، كانت الطامة الكبرى لأجيال من الشباب والأطفال نحت واتجهت لما هو مغاير للتنمية والتطور والإنتاجية...

فتقدم الأمم وحضارتها لم يقم يوماً على التسلية والمتعة، وإنما قام على العلم والعمل، وعلى المهن المنتجة للقيم المضافة للسياسة والاقتصاد والصناعة والتقنية، دون أن نغفل ما للمهن في القطاعات الأخرى من أهمية في تهيئة المناخات والظروف الموضوعية للنمو والتنمية.

ولكن الأولوية دوماً، وخاصة للأمم الفتية، هي للقطاعات المنتجة، وهو ما نرى النقيض منه في الزمن المعاصر، ولاسيما على صعيد أولويات الشرائح الشبابية واسعة الحجم في الدول النامية، والشواهد كثيرة على ذلك، فكيف يمكن أن نقبل معرفة الشرائح الشبابية لرونالدو وميسي، على حساب جهلٍ لقامة علمية فريدة كالدكتور مجدي يعقوب؟! وكيف يمكن أن نفسر الأمر ذاته حول متابعة حثيثة لكيم كاردشيان

على حساب إنكارٍ لشخصية إنسانية نبيلةٍ كالأم تيريزا؟! وكيف يصبح هاجس الشباب – المؤمل عليه بناء مستقبل الأوطان – الوصول للشهرة عبر المحتوى الهابط على المنصات الافتراضية، أو امتهان الغناء الرخيص؟! مع احترامنا واعترافنا بها كإحدى جوانب الحياة المعاصرة، ولكن دون أن تتغمس الشرائح الشبابية بها حتى النخاع بعيداً عما كان هاجسها قديماً من القطاعات الحيوية للمجتمع على الصعيد الإنتاجي والخدمي، كالمخترع والمبتكر والمبدع والمهندس والطبيب، وأولهم وآخرهم المعلم.

ثورة كورونا أعادت النظر في كثير مما اعترى الحياة من آفات فكرية، فلم يعد المال هو الهدف، ولم تعد السيطرة والنفوذ هما الهدف، ولم تعد الغريزة والشهرة هما الهدف، وعادت الحياة لتكون كما خلقها الله هي الهدف... لقد أدرك البشر أن منظومة حياتهم المعاصرة يعتريها كثير من الخطأ، هذا العالم حيث تنفد الكمامات وأجهزة التنفس ولا ينفد السلاح والرصاص والقنابل!

أما ثورة كورونا في عالم الأعمال، فقد خلصت الفكر الإداري العالمي من كثير من المفاهيم التي عفّى عليها الزمن، كالأسرالمكتبي المكاني والزمني والورقي والنفسي، ودفعت كثير من الاستراتيجيات بعيداً عن أهدافها التقليدية، فجعلت بيوتات الأزياء العالمية، أرماني ولوي فيتون وزارا وغيرها.. لصناعة مستلزمات الوقاية الطبية من كمامات وأردية، وجعلت عمالقة الصناعات الثقيلة والتكنولوجية، كجنرال موتورز وآبل وسامسونغ وتسلا لتصنع أجهزة التنفس والمعدات الطبية.

هذا العالم الذي تحكمه السرعة، لم يعد يسعفنا على التفكير والتفكر، وكانت هذه المحنة الإنسانية وكأنها صفعة يقظة Wake Up Call ، حيث إنها وحدت الإنسانية – بعد أن تفرقت منذ عصور بعيدةٍ – بعيداً عن العرق واللون والأيديولوجية والمذهب والجنسية والقومية والفقر والمكانة الاجتماعية...

أصبح العالم في كنف هذه الجائحة أسير سياسات الحجر والعزل والحظر، بعد أن تغنى بعصر الحريات، ولعل الحجر الصحي كان بمثابة دقيقة صمت لإعادة النظر في أسلوب حياتنا وطريقة تفكيرنا، هذه الفسحة من الزمن في إطار الحجر الصحي التي يمكن للإنسان من خلالها أن يستكمل الأبعاد الأربعة الرئيسة للحياة المتوازنة التي أشاح الإنسان المعاصر بوجهه عنها لمصلحة الاستهلاكية والتلقي والبدانة والاستكانة والخمول والكسل.

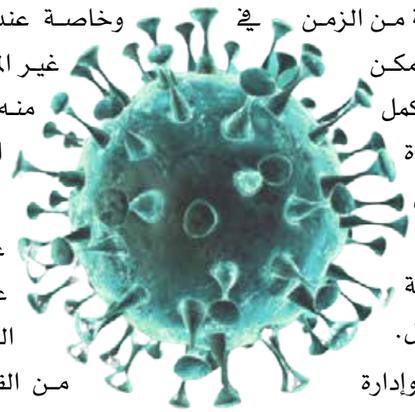

فمن يستطع تنظيم حياته وإدارة وقته اليوم، فسيستكمل تلك الأبعاد ليصبح أكثر اتزاناً وتوازناً من خلال: تنمية الفكر والثقافة، وحميمية أكبر مع العائلة في دائرتها الصغرى، وإنعاش البعد البدني عبر ممارسة الرياضة، ومساحة أكبر للتأمل والمناجاة الإلهية.

الإنسان يحتاج دوماً إلى لحظات مراجعة في حياته، ولكن وتيرة الحياة السريعة ومتطلباتها وتعقيداتها لم تعد تسمح بذلك. الحجر الصحي قد أعطانا هذه الفرصة، وفي حال استخدمها الإنسان بشكل رشيد، فقد يعود إلى الرشد، وفي حال لم يقم بذلك، فالسقطة قادمةٌ لا محالة.

ولكن هل يدرك البشر بعد هذه السقطة أنهم قد أساؤوا إلى نقاء الحياة والبيئة والحيوان، وإلى هدف الحياة الأسمى، وهو الإنسان؟! على البشرية تعلم الدرس، بأن السلوك والموقف هما الفارق ما بين المحنة والمغامرة، فإذا اتعظ الإنسان فسيكون قد خاض مغامرة، وخرج منها أقوى، وإن لم يتعظ وعاد إلى سابق عهده، فليستعد للمحنة القادمة التي قد لا ترحمه. ولكن للأسف المتناهي بالشدة، من المعروف أن ذاكرة الشعوب قصيرة، وخاصة عندما يبرمجها ويغذيها الإعلام غير المسؤول، والذي يسيطر على كثير منه التسييس العنصري، والأجندات السلبية والتسلية المسيئة.

بطبيعة الحال، ثورة كورونا علمتنا أن النخبة ليست بمعزل عن المعاناة، وأن المال ليس الضامن للمعافاة، وأنه مهما بلغت من القوة والجبروت والثراء، فهناك لحظات من هذا الزمان ستحتاج فيها إلى أخيكَ الإنسان.

وفي النهاية، يعلمنا التاريخ وتلقننا العلوم، أنه كلما واجهت الإنسانية الأخطار، تطفو على السطح مفارقة وثنائية ما قبل وما بعد، كما وجد العالم نفسه في مرحلة ما قبل كورونا وما بعد كورونا، ولكن برحمة من الله العلي القدير، البشرية قادرة دوماً على تجاوز تلك الأخطار المحدقة بالجنس البشري، كما تجاوزت العديد من الهوات العميقة في التاريخ.

# ولادة البطل

## بين الأسطورة والخرافة الشعبيّة

د.محمد الجويلي
أكاديمي – تونس

تشبه أسطورة الإله الأعظم زوس لدى الإغريق، ولادة بعض أطفال الحكاية الخرافية الشعبيّة العربيّة، حيث تقول الأسطورة الإغريقيّة إنّ زوس وُلد من زواج عملاقين: والده كرونوس (Cronos) الذي وُلد بدوره من إله السماء والحياة أورانوس (Ouranos)، وقايا (Gaia) آلهة الأرض (الآلهة الأمّ)، كما تُسمّى كذلك أمّ والدة زوس، فهي رحيا (Rhéa) العملاقة بدورها.

كان كرونوس جبّاراً مستبدّاً، لا تُنجب له رحيا مولوداً إلّا التهمه؛ ليمكث هنالك في جوفه، حتّى أتى على كلّ أشقّاء زوس، ولم يكن قد وُلد بعدُ. ولمّا وُلد زوس، عملت والدته رحيا إلى أن ينجو بجلده،





فاحتالت على زوجها كرونوس، وأعطته عوض المولود الجديد حجراً ضخماً، قمطته في خرقة من النوع الذي يُقمط فيه المواليد، وفرّت به بعيداً إلى جزيرة كريت في اليونان، حيث ترعرع متخفّياً، وكبر بنيّة الاقتصاص من والده كرونوس.

وعندما بلغ زوس أشدّه، ساعدته متيس آلهة الحكمة والدهاء على أن يطيح كرونوس، ومدّته بالسمّ الذي عمل على أن يطعمه لأبيه، حتّى يُخرج من جوفه كلّ الأطفال الذين كان قد ابتلعهم. وبعد سقوط كرونوس اقتسم زوس السلطة على الكون مع شقيقين من أشقائه، بعد خروجهما العسير من جوف والدهما، فحكم هو السماء، في حين حكم أحد أشقّائه الأرض، والآخر البحر[1].

تعترضنا قصّة إخفاء المولود البطل، وتعويضه بخشبة أو مهراس ضخم من النوع الذي تُطحن به الحنطة والشعير وسائر أنواع الحبّ، مع لفّه في خرقة، حتى يظهر بمظهر المولود في حكايات شعبيّة عربيّة من أقطار مختلفة، مثل حكاية زوجة الطوّاش الإماراتيّة، أو عليّ بن السلطان التونسيّة، وغيرهما من الحكايات، وكثيراً ما تتورّط زوجة الأب العاقر، التي تغار من ضرّتها النافس الولود في هذه العمليّة، بعد أن تكون قد استولت على الطفل الوليد، ورمت به في صندوق في بحر أو نهر؛ ليظلّ هنالك تتقاذفه الأمواج، حتى ترمي به على الشاطئ، فيعثر عليه سمّاك، ويربيّه حتى يكبر ويقوى عوده، ويثبت بطولته ويهزم الجبابرة من الهوام

العظيمة، فتكون مكافأته أن يتزوّج بنت السلطان. الثقافات تختلف باختلاف العقائد واللغات، ولكنّها كثيراً ما تقرن بين البطولة والولادة، أو النشأة العسيرة الخارقة للمألوف.

1. Arthur Cotterelli et Rachel Storm, L’Encyclopédie illustrée de La Mythologie : Un guide des mythes et des Légendes du monde antique, Paris, EDDL, 2000, p91

# تواضع الظاهر وثراء الداخل:
# المنزل التونسي العتيق.. «بيت الحجام» نموذجاً

د. زينب قندوز غربال
كاتبة وباحثة – تونس


## التقديم

يُعدّ المنزل العتيق نموذجاً للبيت التونسي، فهو فضاء الساكن بامتياز، كلّ جزئية هي عنوانٌ كُتب بإتقان، فلا مجال للعفوية بمسكن خطّت تفاصيله حكمة البناء والحرفي وذوق المرأة مالكة وملكة الحيز بلا منازع. ويُعدّ عملنا البحثي الموسوم بـ«تواضع الظاهر وثراء الداخل: المنزل التونسي العتيق.. بيت الحجام نموذجاً»، فسحة للتعاطي من جديد لموضوع مُتعارف، بطرح مُغاير، ومناسبة لسبر أثر مُتستّر، علّها رحلة التقصّي لأفضية سكنية بعناصر معمارية متشابهة، كانت وفيّة لقواعد هندسية بأسلوب العمارة الإسلامية من ناحية، والتشبّع بأساليب عمائر وافدة، رغم تفاوت زمن بنائها، بحضور جزئيات تميزها.

رغم مرور الزمن، يبقى البيت العتيق بـ«البلاد العربي» نموذجاً للبيت التونسي الذي تأثر بالعمارة الأندلسية والعثمانية، فأنتج خصوصية عمرانية لاتزال محل دراسات وقراءات متنوعة. «دار الصيد» بمدينة سوسة الساحلية، و«دار التومي» بربض باب سويقة بمدينة تونس، ودار الجلولي بصفاقس ودار العلاني بمدينة القيروان وغيرها، تُعدّ مثالاً لـ«الدار الكبيرة»، كما يحلو أن يوصف بها أهلها، ومن حيث التخطيط، فإنها لا تحيد عن بقية الدّور التي شيدت أواسط القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

### سكنٌ وشواهد:

تُعدّ «الدار العربي» بالمدن العتيقة التونسية المشيّدة على النمط التقليدي نموذجاً شاهداً للمسكن ذي الفناء، فهي تجتمع على كلّ المعايير والمميّزات التي تبوّبها ضمن هذا الصنف من الدور؛ كاتّساع مساحتها، وامتداد أبعاد وحداتها السكنيّة، «واشتمالها على مدخل خاصّ و (دريبة)، وأكثر من سقيفة، وبيوت عدّة بالقبو والمقاصر، وطابق علويّ للضيوف، و(كشك) و(دويريّة) مكتملة العناصر المعماريّة، و(رواء)»[1]، فضلاً عن قيمة مواد بنائها، وثراء تجيدها وتنميقها. «أمّا طابعها التقليدي فيبرز من خلال مخططها، ومواد وتقنيات إنشائها. ولئن طغى الطابع المحلّي على الجانبين التخطيطي والإنشائي، فإنّ المستوى الجمالي امتزجت فيه عديد التأثيرات المحلية والأجنبية، لاسيما الأندلسية – المغربية، والعثمانية والإيطالية»[2].

دورٌ تمثل اليوم مخبراً لتلاقي **أنماط معمارية متنوّعة** عبر أذواق متمازجة، أندلسية ومغربية وعثمانية وإيطالية أيضاً، لتصل في زمننا الحاضر إلى التردّد بين مرجعيات عديدة، تكشف عن ذائقة معمارية، حيث يلتقي المعمار

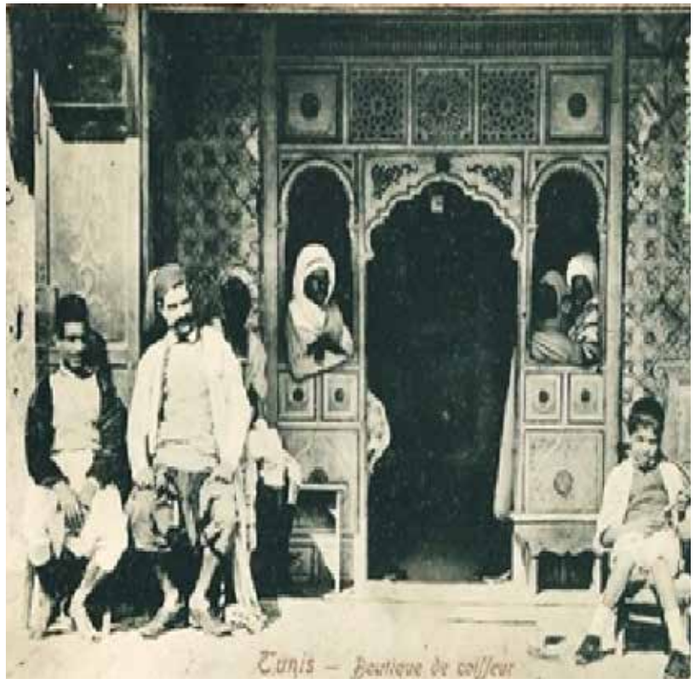

التقليدي الذي مازال محافظاً على بعض صفاته، مع المعمار الوافد والدخيل، فيمتزج الإسمنت بالـ«الجير العربي»، والزجاج بالسيراميك والحجارة السميكة بالآجر، وتبدّل شكل الأبواب والنوافذ وأحجامها ومواقعها في الدار، وظهرت في المدينة منازل حديثة لا تمت بصلة إلى المعمار «التقليدي»، غير أن ذلك التضارب لا يمنع من حفاظ مسكننا على الشكل الظاهر للمبنى، والتفاصيل الكثيرة التي تثريه معنى.

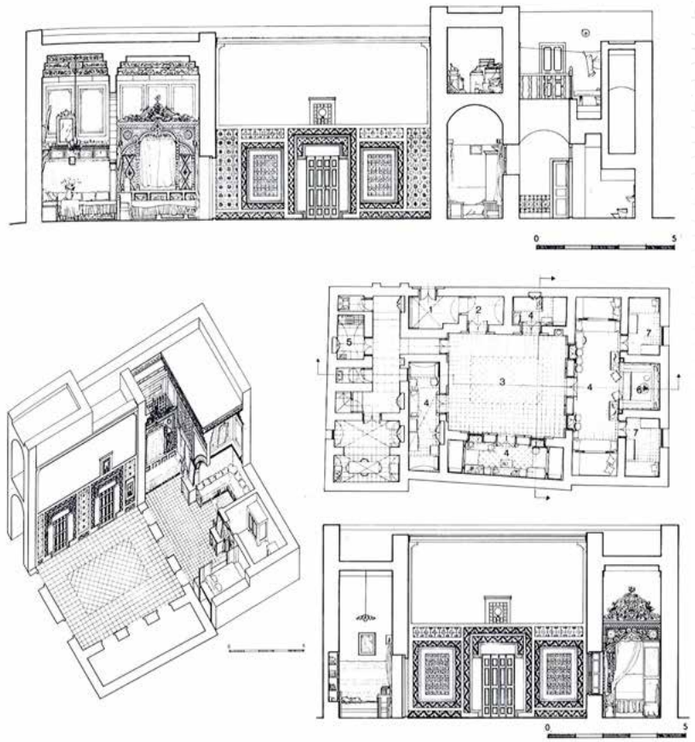

صورة للمصور الفوتوغرافي زاهر كمون

**هندسة البيت العتيق:**

لئن اختلفت المساكن من بسيط إلى مركب، فإن هنالك نموذجاً مألوفاً تشترك جميعها في مفردات هندسية أساسية، تتوافق مع عناصر الهندسة العربية الإسلامية، ويتكوّن – هذا النموذج –عادة من:

واجهة صماء،[3] إلا من فتحة الباب المعلّم بإطار مزخرف من مواد مختلفة، مثل الحجارة و«الرخام المنقوش والخشب المنحوت وإطار جصّي»[4].

السقيفة من العناصر الرئيسة بصنفيها الخارجية والداخلية،





والتي لا يمكن الاستغناء عنها؛ لما توفّره من خصوصية للفضاء الداخلي.

الفناء الداخلي هو ساحة وسط الدار، ويطلق عليها عرصة الدار؛ أي وسطها التي لا بناء فيها، ويعرف الفناء بأنه الحيّز الداخلي المحدد، والمفتوح للسماء، والمحاط بالفراغات الوظيفية (السكن والمعيشة والنوم)، من جوانب عدة، والتي تطل على الداخل من أجل الحصول على التهوية والإضاءة الطبيعية. عادة ما يأخذ مُسطّح فنائه شكلاً مربعاً أو مستطيلاً. ويبدأ الفناء من مدخل البيت، ويمتد قرب نهايته في الخلف؛ ليشكل أكبر مساحة داخلية، وتنفتح عليه الغرف الداخلية، والمرافق الأخرى، فينساب الضوء والهواء، وينتشر من الصحن، فينير ويخفّف من وطأة التقلب الحراري، ويضيء غموض وعزلة المكان والزمان ويزيلهما ويجليهما.

المجلس أو بيت الجلوس يشرف عادة على وسط الدار، وفيه يستقبل الضيوف، وهو مكان تجمع أفراد العائلة.

بيوت للنوم، وتحتوي على «سدة» أو «دكانة» ذات واجهة منحوتة من خشب مذهب، أو «مقصورة»، وهي عبارة عن غرف تستعمل للانزواء.

بيت المطبخ، ويسمى «النوالة»، ويحتوي في الغالب على«ماجل».

بيت خزين لخزن المؤن.

الدويرية أو بيت الراحة.

**«المجلس»: الضيّق المُتّسع**

وهو الفضاء الأكثر تميزاً من المنزل ككُلّ، «إذ تحمل الغرفة شكلاً بحرف (T)، ويطلق عليها بالفرنسية (la chambre en T)، وذلك لشكلها، وفيه غرف فرعية تسمّى (المقصورة)[5]»[6]. يكشف الباب عند فتحه عن فضاء الرّتبة، وهي «بيت الجلوس»، وهذه تسميات التصقت بالدار العربي، يتوسّط هذا الحيّز جانبان مُتماثلان، هما «فرش الحجام»، وهي غرفة النوم. كما تُعرف هذه الغرفة «ببيت الحجام»، حيث توجد في مدخل الغرفة «السدة»، وهي بناء عالٍ من الإسمنت على يمين الغرفة ويسارها، مزدان ومزركش بإطار خشبي يطلق عليه «السرير الحجامي». وتعدّ «المقصورتان» مُجسّماً أو تصغيراً عن غرف فرعية مفتوحة على الغرفة

الكبيرة إحداهما لرب البيت.

عند دخول الغرفة يعترضنا المجلس «ذي المرفع المزركش بالألوان الزاهية، والمحاط بالمرايا أو ما يطلق عليه بـ(العلجية)، في أكثر من زاوية، والتحف والمعلقات على الجدران، وما ندر من مستلزمات الزينة»[7]. كما تحتوي الغرفة على «الصندوق»، وهو حافظة المرأة، وخازن ممتلكاتها، ما غلا ثمنها، وعلت قيمتها من جواهر وحلي وغيرها.

هناك من يرجح أن زخارف التاج إيطالية، وأصل اعتماد التاج ممكن أن يكون عثماني. أمّا عن تسمية «بيت الحجام» ممكن من وجود الستار مثل عند الحجام. كذلك، يطلق على الفراش اسم «فرش حجامة» نسبة إلى الزينة والقعدة، كما عند الحلاقة التي تزيّن العروسة دونما أن يراها أحد. أما عن الزخارف في أغلب الأحيان فمستوحاة من الزخارف الإيطالية شكلاً ولوناً. كما يُقال إن التّسمية مبنيّة على التّشابه بين حانوت الحجّام[8] الحقيقيّ، وشكل السدّة، على اعتبار أن حانوت الحجّام قديماً كان يزخر بالنقائش والزينة والرسوم والألوان.

لعلّ الوارد على المنزل العتيق تحديداً فضائي النوم «بالمجلس»، يلاحظ ثراء أثاثه كمّاً وكيفاً.. ووفرة في المواد، وغزارة في الأشكال والألوان. «فالفراش مبنيّ في ارتفاع كبير، لا نستطيع الصعود إليه إلا عبر مقعد خشبي، يوضع بجانبه، ويتوّج (بفرش الحجّام)، وهو واجهة خشبية ذات شكل يُؤطر الفراش، ويستره، لتتدلّى منه ستائر تُرفع في الصباح، وتلعب دور الباب في الليل لحفظ سرية المكان»[9].

إن المدن العتيقة بالبلاد التونسية تزخر بأفضية داخلية ثرية، من حيث الأثاث والمواد من قبيل تونس العاصمة والمهدية وسوسة وصفاقس تتشابه في الظاهر، لكن لكلّ منها خصوصيتها المحليّة. ففي أحد دور مدينة صفاقس مثلاً «فإنّ الواجهة التي تتقدّم السرير تنجز غالباً بدور المدينة من لوحات متلاصقة من الخشب المنقوش والخشب المخرّم، وبعضها مزخرف برسوم

زهرية توريقية، ويعود استعمال الواجهات الخشبية في بيوت دور المدينة إلى رواج استعمال مادة الخشب بمباني المدينة، وإلى تقليد الزخرفة بها، واعتباراً لكونها نوعاً من الأثاث المندمج في البناء، يزاوج ما بين البعدين النفعي والجمالي»[10].

تتعدّد المحامل والنقوش واحدة... مساحات تشكيلية تتوافق رموزها على شواكل حياتية مختلفة. علامات وأشكال مشتركة بين المنحوتات والمنقوشات التي بقيت أثراً وإرثاً محفوظاً، نباتية كانت أو حيوانية أو هندسية، تُؤثث فضاء «المجلس». كلّ ركن وكلّ تفصيل هو حكايا جامعة لتاريخ وشواهد تقصّ أخبار السلف.

1. الرواء: هو فناء صغير مكشوف محاط بإسطبل ومخازن.
2. رمزي جوابلية، «دار التومي بربض باب السويقة من مدينة تونس: دار كبرى على النمط المعماري التقليدي»، مقال بمجلة السبيل، العدد الثالث 2017، الصفحة 2.
3. الصمّاء: صفة مُضافة لواجهات منازل العمارة الإسلامية. «فأحيطت بجدران صمّاء»، د. ثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، الصفحة 61.
4. أنيسة غويلة عطاء الله، «الإضاءة والتشكيل في فتحات البيت العتيق القيرواني»، أطروحة الماجستير 2007، الصفحة 20.
5. المقصورة: غرفة فرعية في المجلس.
6. أنيسة غويلة عطاء الله، «الإضاءة والتشكيل في فتحات البيت العتيق القيرواني»، أطروحة الماجستير 2007، الصفحة 37.
7. https://ultratunisia.ultrasawt.com
8. الحجام بالمفهوم العامي عند التونسيين وهو «الحلّاق».
9. أنيسة غويلة عطاء الله، «الإضاءة والتشكيل في فتحات البيت العتيق القيرواني»، أطروحة الماجستير 2007، الصفحة 42.
10. سهام القلال بن عمر، «دور المدينة العتيقة بصفاقس وأبراج جنانها»، أطروح الدكتوراه 2016 تحت إشراف الأستاذ فوزي محفوظ، الصفحة 162.

# المسواط

سلامة الرقيعي
كاتب – مصر

في البادية عموماً، تأتي أدوات الاستعمال اليومي مستوحاة من البيئة، وليس فيها التكلف الذي نراه في غيرها، بل إن تلك الأدوات تمثل نقاء الطبيعة، ومن تلك الأدوات «المسواط والمغزل والمشوا والخلال»، وجميعها من أعواد الأشجار الخشبية، ولكن لها استخدامات مختلفة، ولنبدأ بأولها، وهو:

المسواط: وفي اللغة السوط هو: خلط الشيء ببعضه بعضاً، ومنه سمي المسواط.

وساط الشيء سوطاً وسوطه: خاضه وخلطه أكثر.

والمسواط ما يخلط بالقدر، (إناء لطهي الطعام غالباً من النحاس، له قاعدة دائرية تضيق في أعلاه).

وسوط القدر؛ أي حرّكه بعود أو مغرفة ليختلط ما فيه.

وقيل عن المسواط: هو خشبة أو غيرها، يحرك بها ما في القدر وغيره، ليختلط وجمعها مساويط.

وفي حديث علي، كرم الله وجهه: «لتساطن سوط القدر»، وحديثه مع فاطمة، رضي الله عنهما:





«مسوط لحمها بدمي ولحمي»؛ أي ممزوج ومخلوط، ومنه قول كعب بن زهير:

لكنها خلة قد سيط من دمها

فج وولع وإخلاف وتبديل

أي كأن هذه الأخلاق قد خلطت بدمها، وفي حديث حليمة: «فشقا بطنه فهما يسوطانه».

وسمي السوط الذي يضرب به إنسان أو دابة سوطاً؛ لأنه يخلط الدم باللحم ويسوطه.

وقولهم ضربت زيد سوطاً، إنما معناه ضربته ضربة بسوط.

وقوله عزّ وجلّ: «فصب عليهم ربك سوط عذاب»؛ أي نصيب عذاب؛ لأن العذاب قد يكون بالسوط.

وفي بادية سيناء وغيرها من البوادي يتخذ المسواط لأغراض عدة، أغلبها للطعام، وإن كان يستخدم لتأديب الأطفال بالضرب، وفي المثل قالوا: «المسواط يا يشبع ظهرك يا يشبع بطنك».

وقيل أيضاً: «فلان يسوط الهرج سوطاً»؛ أي يخلط الكلام ببعضه بعضاً، ولا يحسن ترتيبه على نحو مفهوم .

والمسواط يصنع من أعواد سباط النخيل، ومن شجر السدر وشجر المتان الذي ينتشر في شبه جزيرة سيناء، والذي تصنع منه أيضاً الحبال، وكذلك يصنع من شجر الزيتون، هو والباطية، (إناء خشبي لتقديم الطعام وخاصة الثريد).

والمسواط مخصص لسوط طعام العصيدة، التي تتكوّن من دقيق وسمن ولبن، وتخلط أحياناً بالعجوة التي هي عجين الرطب، وكذلك يساط به طعام الجريشة، وهي ذرة بيضاء مطحونة على الرحاة، تطبخ باللبن والسمن، ويتم وضعها في باطية من الخشب.

وقديماً قيل: «سوطك صوتك»؛ أي أن صوتك يكون مسموعاً، حينما يكون بجانبك سوطك، وله معنيان: أولهما، أنه سوط للضرب، فيكون لك المهابة والصوت المسموع، وثانيهما، أنه سوط في يدك لخلط الطعام، فتكرم به الناس، فيكون صوتك مسموعاً من هذا الباب.

**لمحة:**

وليس يصح في الأذهان شيء
إذا أحتاج النهار إلى دليل

# القهوة والشاي

## عنوان الرفقة والصحبة

عزيز العرباوي
كاتب وباحث ـ المغرب

يخلق المقهى العربي بالخصوص، نوعاً من الرفقة التي يحتاجها الفرد العربي، في زمن مملوء بالمشكلات والمصائب، والتراجعات على مستوى الوعي والثقافة، والقيم العربية القديمة المرتبطة أشد الارتباط بعادات وتقاليد ضاربة في الوعي الفردي والجمعي منذ قرون؛

الفرد العربي، وفي إطار التقدم التكنولوجي والتقني الذي يعيشه العالم، وفي إطار التحولات الثقافية والسوسيوثقافية التي يعرفها العالم أيضاً، أصبح يعيش انفصاماً في شخصيته، ويحيا حياة ملؤها التعصب والتوتر والتشنج، على مستوى السلوك والتموقف والوعي، وإن دلَّ هذا على شيء، فإنما يدل على أنه صار لقمة سائغة في أيدي «لوبيات» التجارة والاستغلال العالمي، وأصبح في موقف ضعف لا يستطيع الانسلاخ منه، إلا إذا أعاد لنفسه الشعور بالذات، وتجرأ على رفض كل ما يوجّه إليه، أو يصدَّر إليه من مواد استهلاكية، أكثرها خطورة على عقله وفكره، وعلى سلوكه السوي.





### المقهى: شهادة مدمن قهوة

يلج المقهى وهو مفعم بالحيوية والنشاط، كأنه يلج عالماً سحرياً، يغري بالمتعة والرغبة والحياة الرائعة، لم يشعر يوماً، حين يدخل إلى هذا الفضاء الجميل، بأنه سيلاقي عكس ما يضمر في نفسه، أو ما يمكنه أن ينغص عليه حياته وجلسته المريحة. كان المقهى بالنسبة إليه فضاء حياً، وسيبقى كذلك إلى الأبد، لأنه يعرف أن القهوة التي يشربها، أو براد الشاي الذي يتربع على طاولته، ينعشان ذاكرته الثقافية، ووعيه الفكري الذي قد يتعرض لبعض المشكلات في زمن معين، أو في مكان لا يثير شهية التفكير لديه.

في المقهى يتحول إلى شخص جديد – سبحان مغيّر الأحوال – يكون في حال وفي موقف، ثم يتحول إلى شخص آخر، يحسّ بحيويته وبأريحية مثيرة للعيان. يدخل مقهاه وهو متيقن جداً بأن أمره سيتحسن إلى الأفضل، دون جهد يذكر.

في المقهى يمارس طقوسه الثقافية الخاصة به، فهو كاتب لا يريد أن يضيع وقته في التفاهات والحقارات، إنه كاتب من طينة مختلفة، من خلال شرب قهوته الصباحية أو المسائية، يجد سلاسة في الكتابة والتفكير والتحليل، وإعطاء فسحة لذهنه؛ ليشتغل في أريحية وحرية. المقهى يمنحه حرية لا يجدها في مكان آخر؛ لأن المقهى فضاء مختلف، فضاء قادر على تكريس نوع من التفكير البعيد عن كل مشاغل الحياة والأسرة والناس.

يقولون إن القهوة العربية من أكثر المشروبات التي تربطها صداقة قوية بالناس، وغيابها عنهم يسبب لهم صداعاً أو مزاجاً سيئاً، لكن قد يقطع بعضهم هذه العلاقة حين يدرك مخاطرها. نعم، إنه يقرّ بذلك، ويبصم عليه بالعشرة، مع اعتراضه على أن للقهوة مخاطر، إنه كلام خطر ضد القهوة، ولا يمكنه أن يتفق معه، يرفضه جملة وتفصيلاً، علاقته بالقهوة لا يمكنها أن تسمح له بقبول مثل هذا الكلام.

يشعر هذا المدمن بالسلام والأمن داخل المقهى، بل إنه يحسّ بذاته المنطلقة، وهو يحتسي قهوته بطريقته المعهودة، يغيب في خياله، ويسترجع أشياء من ذاكرته، ويسمو بنفسه إلى مراتب عليا، لا يمكنه أن يحققها وهو بعيد عن فضائه الأرحب. إنه مدمن من نوع خاص، بل مدمن جريء إلى أبعد حدّ.

### زمن الشاي وتاريخه

إن الشاي مشروب عالمي، بدأ استهلاكه منذ القديم، فأصبح المشروب المفضل والأهم عند الناس، ولقد تطور مفهوم الشاي على مستوى الفهم والحدث الإثنوغرافي، حيث وصفت العديد من المصادر والمراجع جلسة الشاي، واهتمت بولوجه الثقافة الإنسانية والبشرية، خاصة في بلدان عربية كثيرة كالمغرب مثلاً، بل إنه المشروب الشعبي الذي اهتم به الشعر والغناء والموسيقى وفنون أخرى؛ لأنه يمثل ثقافة أساسية في المجتمع؛ لما له من أهمية في لمِّ الشمل، وإقامة الولائم والمآدب، وأواصر القرابة، وتكريس صلة الرحم. ولقد أكد إسحاق ديسرائيلي في كتابه «طرائف الأدب» (1790م)، أن الشاي «انتشر بطريقة تذكر بطريقة انتشار الحقيقة، ففي البداية، كان المشروب الجديد موضوع تشكك عند بعضهم،

ولم يعرف لذته سوى من تجرأ على تذوقه. وتمت مقاطعته في الوقت الذي عرف فيه طريقه إلى الاستقرار، وطعن فيه بعضهم في الوقت الذي اتسعت فيه شهرته، وانتصر الشاي في النهاية، بفضل مزاياه الخاصة، ومفعول الزمن الذي لا يقاوم»[1].

يرى الباحثان عبد الأحد السبتي، وعبدالرحمن الخصاصي، أن جلسة الشاي تحيل مباشرة على الضيافة والكرم، والصداقة والأسرة والصحبة، وإمضاء الوقت في الكلام والحديث عن الذات والمشاعر والأحاسيس، فدراسة تحول المجتمعات والثقافات تؤدي إلى اكتشاف الثوابت البنيات الثقافية والاجتماعية دون مركب نقص، وقد ظهرت في هذا الإطار العديد من الإبداعات الشعرية والفنية والموسيقية التي تغنت بالشاي، واعتبرته المشروب الأساسي في المجتمع المغربي بالخصوص، نذكر من هذه الإبداعات بالخصوص أغنية «الصينية» لمجموعة «ناس الغيوان»، حيث غزا الشاي ثقافياً واجتماعياً مختلف نصوص الفن الشعبي، وتحوّل إلى مجرد توطئة لأشعار وأغان تتناول في صلبها موضوعات ومواقف أخرى مختلفة، ومن بين هذه الإبداعات نستحضر أغنية شعبية أمازيغية، للفنان إبراهيم أإولحسَن نَايْتْ إِخْلَفْ، المنظومة سنة 1893م، والتي ترى في استهلاك مادة الشاي بداية تعلق الفقير في المغرب بالمشروب، بداية إدمان اجتماعي، ودخولاً في دوامة الاستدانة والإفلاس، كما ترى فيه خطة نصرانية لاحتلال البلاد، وامتصاص موارده وأمواله... تقول

الأغنية، وهي هنا مترجمة إلى اللغة العربية:

غْلا السّكّرْ والشايْ إلى ما لا يُطاقْ

بسط المعدم آنية الشرب

عدم الدرهم وتحمل الدين

ما يقضي دينا حتى يسقط في ديون

إذا لقيَ الدائن ذاق أمامه المذلة

أضاع القوم الحب وأذابوه في الماء

أفسد علينا الشاي عمل الخير، وبدّل حال ذوي المزايا

من لم يشربه عُدّ في البطّالين

الشعير كيْلُكَ المُعوَّل عليه، أما الشاي

فلأن الروميّ يعرف أنكَ عدوه، فهو يرجمك بحجارة المدافع

والشاي بارودها، وهو يعرف كيف يسدد

والعدو يضرب في البطن، وفيه الجراح القاتلة

أرسل علينا الرومي باخرته، وألبسها الملاحِفَ الزرقاء

أصابكمْ الرومي على مهَلٍ بقوالب السكرْ[2].

يكاد قارئ هذا النص يقتنع بأن شرب الشاي يقود شاربه إلى الفقر والفاقة والإفلاس، لقد كان الفنان مبدع الأغنية يجاري السلطة الدينية التي كانت تتحكم آنذاك، والتي تعتبر كل ما يأتي من خارج البلد ويصدر إليها هو حرام، ولا ينبغي استهلاكه، والتعاطي معه على هذا الأساس. وأن الشاي لا علاقة له لا باجتماع عائلي، ولا بصلة رحم، ولا بثقافة شعبية مكرسة، وإنما شربه يأتي في إطار الهوى والعبث واللهو بين الشاربين، وكأني بصاحب هذا القول، أو هذه الفتوى، يريد أن يقول إن الشاي لا يختلف عن الخمر وسائر المشروبات المحرمة في الإسلام. إن كل ما يتعلق بالأجنبي وتجارته وقراراته، يمكن أن يدخل في باب المحرم حسب هؤلاء؛ لأنه استعمار واحتلال واستغلال، وهذا ما جعل الفقهاء يذمون شرب الشاي، ويعتبرونه من المشروبات المكروهة والمذمومة، ويجب تركها وعدم التعاطي بها ومعها.

لكن، وبعد ذلك بوقت غير طويل، تبدلت الأحوال والأفكار، وصار الشاي المشروب الأفضل عند الجميع، بمن فيهم أولئك الذين حاربوه، ومنعوا المغاربة من شربه، ووصفوه بأوصاف قبيحة، وكأنهم اكتشفوا بقدرة قادر مزاياه وفضائله في اللمة والصحبة وصلة الرحم والعلاقات الاجتماعية... وهذا ما يؤكد بالملموس تسرع هؤلاء الناس في الحكم على الأشياء، دون البحث في حقيقتها، وفي أهميتها في المجتمع، وما يمكنها أن تقدم له من إيجابيات ونتائج جيدة على المستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي.

1. نقلاً عن: عبد الأحد السبتي وعبدالرحمن الخصاصي، من الشاي إلى الأتاي: العادة والتاريخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، ط. 1، 1999، ص. 19.
2. عبد الأحد السبتي وعبدالرحمن الخصاصي، من الشاي إلى الأتاي: العادة والتاريخ، المرجع السابق، ص. 415. ويمكن الاطلاع على محمد حبيدة في قراءة للكتاب على الموقع الآتي: http://www.aranthropos.com.

# المدن التاريخية في العالم العربي: الماضي المشرق والتحديات المعاصرة

لا ينكر أحد أهمية الحواضر التاريخية بالعالم العربي، وما كان لها من فضل في إنتاج نخبة فكرية وثقافية، وما احتضنته من ثورة حرفية وصناعية، وما بلغته من تبحّر عمراني في فترات من تاريخها.

د. محمد لملوكي
باحث – المغرب

ونخص بالذكر هنا، عواصم مشهورة في التاريخ الإسلامي، مثل بغداد ودمشق وقرطبة والقاهرة وفاس والقيروان وجدة وغيرها. صنفت حولها كتب من التراث عديدة؛ تحدثت عن مبانيها وعن أعلامها وعن خصائصها وعاداتها... مثل «معجم البلدان» لياقوت الحموي، و«تاريخ بغداد» و«خطط القاهرة» للمقريزي، وكتاب «زهرة الآس في تاريخ مدينة فاس» للجزنائي، وغيرها.

فمن نماذج تلكم الأوصاف المدعاة للفخر والاعتزاز، نسوق إحداها حول مدينة قرطبة في العصور الوسطى؛ جاء فيها بأنها (أي قرطبة) كانت «تنار بالمصابيح ليلاً، ويستضيء الماشي بسرجها عشرة





أميال لا ينقطع عنه الضوء؛ (أي ستة عشر كيلومتراً)، أزقتها مبلطة، وقماماتها مرفوعة من الشوارع، محاطة بالحدائق الغناء، حتى كان القادم إليها يتنزه ساعات في الرياض والبساتين قبل أن يصل إليها، كان سكانها أكثر من مليون نسمة (في ذلك الوقت الذي لم تكن فيه أكبر مدينة في أوروبا تزيد على خمسة وعشرين ألفاً)، وكانت حماماتها تسعمئة حمام، وبيوتها 283000 بيت، وقصورها ثمانون ألف قصر، ومساجدها ستمئة مسجد، وكانت استدارتها ثمانية فراسخ؛ (أي ثلاثين ألف ذراع)،..... وكان فيها ثمانون (80) مدرسة، يتعلّم فيها الفقراء مجاناً...»،[1] وهذا وصف لم تكن تتفرد به مدن الأندلس وحدها، وإنما ثمة أوصاف تزيد على هذا، أو تماثله بالنسبة لغيرها من حواضر العالم العربي والإسلامي طيلة العصور الوسطى الزاهية.

غير أنه، وللأسف، إذا كانت الحياة في هذه الحواضر قد ظلت مفعمة ومتناغمة مع محيطها، وطبيعة سكانها لفترات طويلة، إلا أنها سرعان ما فقدت توازنها، وتسللت الإعاقة إلى كيانها، ابتداء من القرن التاسع عشر، والقرن العشرين الميلاديين، مع الهجمة الإمبريالية والاستعمارية، وذلك نتيجة لعوامل متداخلة ومتراكبة. لاتزال أعراضها بادية على مظهرها العمراني، ومضمونها الاجتماعي إلى يومنا هذا. حيث الفصل بينها وبين المدن العصرية التي خطط لها الأوروبيون واضح للعيان. ثم تبعت مرحلة الحصار هذه مرحلة أخرى، زادت واقع المدن التاريخية استفحالاً، بدأ خلالها السكان (الأهالي) يهجرونها نحو الأفضية الحديثة التي بدأت تغريهم ببنياتها التحتية، ومرافقها العصرية المسايرة للحاجات الوقتية. واستبدلت تركيبة ساكني

أسوار وأزقة المدن التاريخية

دورها وعمارتها بوافدين جدد، غرباء عن مجالها. وأضيفت إلى غربة الزمن الذي تعيش فيه هذه الفضاءات العتيقة غربة الساكنين والمرتفقين بها. هذا إن لم تكن قد هجرت ديارها وأضحت أطلالاً شاهدة.

**جهود المحافظة على تراث المدن التاريخية وصونها:**

واليوم، تكاد تكون المدن التاريخية والعتيقة في مجمل تراث عالمنا العربي عماد ما تختزنه من موروث مادي وغير مادي. وتتمازج داخل أسوارها، وتتناغم تجليات تراثا المادي والمعنوي، لدرجة يصعب الفصل بينهما، وفهم أحدهما خارج سياق الآخر، فالفضاءات داخلها لا تكتسب معنى إلا بإقامة الأنشطة والاحتفالات داخلها، والأسواق لا ينطبق عليها المسمى من دون سلع وحركة بيع وشراء، وأصوات وروائح.

وقد بذلت جهود كبيرة محلية ودولية، مدنية وحكومية، من أجل إنقاذها والمحافظة على ما تبقى من موروثها، فاجتهدوا في وضع آليات وإجراءات تشريعية وإدارية، وأخرى تطبيقية. ولدت، في معظمها، من رحم فترة الحكم الاستعماري للمنطقة، فجاءت قوانينها وتقاليدها وأعرافها منسوخة عن التجربة الأوروبية، جلها تقريباً، وأظن أن الدول العربية بعد حصولها على الاستقلال لم تستطع إنتاج بديل عنها، واكتفت في معظمها بتكييف الترسانة القانونية والأنظمة الإدارية الموروثة مع واقعها.

وهي اليوم موضوع تسابق بين حكومات الدول العربية، من أجل تسجيلها ضمن قوائم التراث العالمي، وقد بدأ هذا المسلسل بعد توقيع اتفاقية التراث العالمي، المتعلقة بحماية التراث الثقافي والطبيعي العالمي سنة 1972. ومباشرة بعدها توالى إدراج العديد من مدن العالم العربي ضمن قائمة التراث الإنساني، كما يبين الجدول الآتي:





| تاريخ التصنيف | المدينة | ملاحظات |
|---|---|---|
| 1979 | مدينة القاهرة | اقتصر التصنيف على العمران الإسلامي |
| 1979 | مدينة تونس (تونس) | صنفت تراثاً إنسانياً |
| 1979 | مدينة دمشق (سوريا) | صنفت مهددة بالخطر منذ العام 2013 |
| 1981 | مدينة فاس (المغرب) | صنفت تراثاً إنسانياً |
| 1982 | مدينة القدس (فلسطين) | صنفت مهددة بالخطر منذ العام 1982 |
| 1984 | مدينة شبام (اليمن) | صنفت مهددة بالخطر منذ العام 2015 |
| 1985 | مدينة مراكش (المغرب) | صنفت تراثاً إنسانياً |
| 1986 | مدينة حلب (سوريا) | صنفت مهددة بالخطر منذ العام 2013 |
| 1986 | مدينة صنعاء (اليمن) | صنفت مهددة بالخطر منذ العام 2015 |
| 1986 | مدينة غدامس (ليبيا) | صنفت مهددة بالخطر منذ العام 2016 |
| 1988 | مدينة سوسة (تونس) | صنفت تراثاً إنسانياً |
| 1996 | مدن شنقيط وولاته (موريطانيا) | صنفت تراثاً إنسانياً |
| 2014 | جدة التاريخية (السعودية) | صنفت تراثاً إنسانياً |
| 2014 | الشارقة (الإمارات العربية المتحدة) | أدرجت ضمن اللائحة المؤقتة للمدن التراثية العالمية |
| 2017 | مدينة الخليل (فلسطين) | صنفت مهددة بالخطر منذ العام 2017 |

والملاحظ أن إدراج العديد من المدن التاريخية لم ينجها من أخطار الهدم والتدمير؛ بسبب الحروب والنزاعات الداخلية والخارجية داخل بعض الأقطار من عالمنا العربي، وهذا تحدّ كبير تواجهه العديد منها، يضاف إلى تحدي نقص الكوادر الفنية والكفاءات التقنية المتخصصة، ونقص الموارد المالية لإنجاز مشاريع ومخططات إعادة الاعتبار لهذا الموروث، وصونه وترميمه.

**مدينة الشارقة على لائحة التراث العالمي المؤقتة:**

سبق لمجلة مراود في أعدادها الأولى أن خصت مدينة الشارقة بمقالات تتناول تراثها العمراني، أبرزت تلك الأعمال عمق تاريخ المدينة، وأهمية

مدخراتها التراثية المادية منها وغير المادية. وخلص هؤلاء الدارسون إلى أن المدينة التاريخية للشارقة تعد «... واحدة من أقدم التجمعات الحضرية القديمة في الإمارات، فتراثها المعماري من أهم الشواهد التاريخية على الفن المعماري المحلي، وهو شاهد على ذائقة جمالية رفيعة، وفكر نيّر، وتقدم حضاري مميّز في تاريخ دولة الإمارات الفتية».[2] كما «أن الأنماط والأشكال المعمارية والزخرفية التي تتوزع على هذه الرقعة الصغرية نسبياً من أرض الإمارات، هي شاهد حي على تمثل خطط وتخطيط المدينة الإسلامية في الإمارات بمعطياتها الكثيرة وشروطها وآدابها وفنها منذ زمن بعيد».[3] ولا يستقيم الحديث في هذا المضمار دون ذكر الأعمال المؤسسة في تاريخ المدينة للشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، وتحديداً ما له صلة بالمدينة وعمرانها، من قبيل «سيرة مدينة» أو «محطة الشارقة الجوية» أو غيرها من كتبه المعروفة لدى الباحثين.

وقد توجت مجهودات البحث حول تراث المدينة، وبيان أهميته، وكذا نجاح حكومة الشارقة في تنفيذ مشاريع الترميم لمعالمها التاريخية، بأن أدرجت المدينة سنة 2014، ضمن اللائحة المؤقتة للمدن التراثية العالمية، إلى جانب مدن عربية عديدة. واعتبرت لجنة التراث العالمي مدينة الشارقة «مثال استثنائي على التطور الحضري الحديث للمدن التاريخية في الخليج العربي والمنطقة».[4]

ولا غرو في ذلك، فهي نالت هذا الاعتراف باستحقاق، باعتبارها بوابة الإمارات المتصالحة، ونظراً لقيمتها التاريخية، ومكانة مينائها ومطارها القديم، يسعى القائمون عليها إلى الأكثر، بترشيح ملفها للاعتراف العالمي كتراث للإنسانية.

تتنوّع في عالمنا العربي المدن التاريخية من حيث استمرارية الحياة فيها أو هجرانها، كما تختلف من حيث الحجم والمساحة، ومن حيث الكثافة وعدد السكان، وتتباين من حيث الشكل المورفولوجي والعمق التاريخي، ومستوى التحديث، ودرجة الاهتمام المحلي والدولي بها، وغيرها. كيفما كان الأمر، فهي كنوز تراثية للدول والشعوب، ينبغي لفت النظر إلى تسمياتها أولاً، حيث «المدن التاريخية» و«المدن القديمة» و«المدن العتيقة» و«المدن الأصيلة» و«المدن الأهلية» وغيرها، تسميات غير صحيحة في نظرنا، إذ قد يفهم منها عدم صلاحيتها للحياة الراهنة، وأن التسمية الصحيحة هي المدخل الرئيس لرد الاعتبار لمدننا، وصونها والإبقاء عليها. وعليه تبقى الصفة الأنسب والأقرب للصواب هي «المدن الأصيلة» بحكم أصالتها، وتناغم قيمها مع ثقافة مجتمعنا العربي والإسلامي.

1. د. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، دار الوراق، بيروت، الطبعة الأولى، 1999م، ص 272.
2. عبدالعزيز المسلّم، التراث العمراني في الشارقة، مجلة مراود، ع 01 ، إبريل 2017، معهد الشارقة للتراث، ص 14.
3. المرجع نفسه، ص 14.
4. https://whc.unesco.org/fr/listesindicatives/5941/

# التراث الثقافي الرقمي

## النظرية والممارسة (1)

في الوقت الراهن، أصبح تحديد المعلومات التاريخية والقيمة الثقافية المضمنة في تراث الشعوب وتفسيرها أمراً جوهرياً، ومطلباً آنياً؛ من أجل تشكيل الهوية الوطنية وترسيخها، من خلال الموارد التراثية المحلية، التي تعرف بأنها تلك الموارد التي لها قيمة وأهمية دائمة، وبالتالي فهي تشكل تراثاً يجب حمايته والحفاظ عليه للأجيال الحالية والقادمة، لما يمثله من قيمة ثقافية وتاريخية وجمالية وأثرية وعلمية وإثنولوجية وأنثروبولوجية للجماعات والأفراد.

أحمد عادل زيدان
باحث – مصر

إن دور التراث الثقافي لا ينتهي عند حدود حفظه، أو حماية بقاياه المادية فحسب، فهذا التراث المملوء بالحيوية، يجب استثماره ليعود بالنفع على المجتمع، فالماضي يمكن أن يخدم الحاضر، في حال أخذ هذا التراث طريقه نحو الابتكار والإبداع، ومسايرة متغيرات العصر، واستثمار الأدوات والتقنيات الرقمية المتاحة، مثل المسح ثلاثي الأبعاد، والنمذجة الرقمية، وتقنية إعادة البناء الافتراضية، والإسقاط





الهولوغرافي، والواقع المعزز، والطباعة ثلاثية الأبعاد، والتي خلقت تجربة ثقافية متنوعة، سهلة الاستخدام دون التأثير في عناصر التراث المادية المختلفة، مما أسهم في سد فجوة التواصل بين الماضي والحاضر، وبين «الأشياء» و«الناس».

لقد أحدثت التطورات المتسارعة في مجال التكنولوجيا الرقمية والذكاء الاصطناعي تغييرات ثورية في طريقة تواصل الناس ونشر المعرفة، كما أحدثت تأثيراً جذرياً في جوانب الصناعات التقليدية، ولم يكن التراث الثقافي بمنأى عن تلك التطورات والتغيرات، حيث وفرت تقنيات المعلومات الرقمية، التي جاوزت القيود المفروضة على حماية التراث بالطرق التقليدية، أدوات ذكية للتعرف إلى التراث وحمايته ومشاركته. ومع ذلك، فإن هذه المستجدات تستدعي تغييراً جذرياً في المنظور حول كيفية استخدامنا التراث الثقافي، ومعه تطرح أسئلة مهمة للغاية، مثلما هي أبعاد العلاقة بين «حماية» التراث و«الاستخدام»؟ كيف نختار «التقنيات المناسبة»؟ ما نوع الخدمات التي توفرها التكنولوجيا للتراث؟ كيف تقدم الخدمة بشكل عام؟ وكيف يمكننا استثمار التكنولوجيا لتقديم خدمات مبتكرة؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة ستكون معقدة نوعاً ما، ولكنها تستند إلى مبدأ بسيط، حيث يجب أن نعود إلى المفهوم الأصلي للحفاظ على التراث، وهو «حفظ الهوية وحماية التاريخ والثقافة التقليدية».

يعدّ التراث الرقمي، مفهوماً جديداً نشأ في العصر الرقمي، والذي يشير إلى موارد ومعلومات فريدة، ذات قيمة وأهمية طويلة الأجل، تنتجها الوسائل الرقمية، كما يشير أيضاً إلى دمج التراث الثقافي مع التكنولوجيا الرقمية، وهو لا يشمل الجوانب التقليدية الثلاثة لرقمنة التراث الثقافي (التجميع والتوثيق، والبحث وإدارة المعلومات، والعرض والتفسير) فحسب، ولكن أيضاً إنشاء المحتوى الرقمي واستخدامه. يتكوّن هذا المحتوى

التراثي الرقمي من مجموعة واسعة ومتنامية من التسيقات، مثل النصوص، وقواعد البيانات، والصور الثابتة، والمتحركة، والصوت، والرسومات، والبرامج، وصفحات الويب، والتي يتم إنتاجها وفق إجراءات وضوابط ومعايير ومواصفات قياسية محددة، كما تتطلب إدارة وصيانة بشكل دائم؛ لحفظها لأطول وقت ممكن.

تتضمن عملية ممارسة التراث الثقافي الرقمي ثلاث مراحل مختلفة، هي التخزين الداخلي، والمشاركة عبر الشبكة، والتفاعل حول المحتوى. كما ينقسم عمل التراث الثقافي الرقمي إلى ثلاثة أجزاء، هي التوثيق الرقمي، وإدارة البحوث، والعرض والتصور والتفسير، حيث تشمل تقنيات التوثيق والتسجيل الرقمي تقنية الاستشعار عن بعد، والقياس التصويري/ نمذجة الصور، والمسح بالليزر ثلاثي الأبعاد، واستكشاف الصور بالأشعة تحت الحمراء/ متعدد الأطياف، الكشف تحت الماء؛ أما أبحاث تكنولوجيا الإدارة الرقمية، فتغطي مجالات الوقاية من الكوارث ومراقبتها، والرصد والحماية، ومحاكاة الكمبيوتر، وتحليل قواعد البيانات/ منصات إدارة المعلومات مثل BIM، أما العرض الرقمي/ التصور والتفسير الرقمي، فيتضمن إنشاء مواقع الويب/ الشبكة التفاعلية، والنمذجة ثلاثية الأبعاد، والمعالجة، والرسوم المتحركة، والضوء/ الإسقاط/ التصوير المجسم، والواقع الافتراضي/ الواقع المعزز.

إن التراث الثقافي والتقنيات الرقمية يعدا وحدتين

عضويتين متكاملتين، لا توجد بينهما ثمة علاقة تبعية لأي طرف على حساب الآخر، وهذه العلاقة التكاملية قادرة على خلق منتجات فريدة من التراث الثقافي الوطني، بما يتناسب مع مستجدات ومتغيرات العصر، كما أضفت على التراث الثقافي سمات عدة، منها المرونة، وقابلية النشر، وتعدد الاستخدام، وهو ما يسهم في نشر الثقافة الوطنية حول العالم، بالإضافة إلى تحقيق حماية المجموعات الأصلية والنادرة، والتشارك في المصادر والمعلومات، وإضفاء قيمة مضافة للمواد الأصلية. كما أنها عززت الوظيفة التعليمية للتراث الثقافي، حيث خلقت ثقافة تراثية بمنطلقات وأبعاد عصرية، جعلته أكثر تشاركاً بين أفراد المجتمع والشعوب الأخرى، بالإضافة إلى توفير المزيد من الفرص لبحوث التراث الثقافي والتواصل والتعليم والتدريب والمشاركة. هذا، وتتطلب مشاريع التراث الثقافي الرقمي توافر المعرفة والمهارات، ورؤية استشرافية لضمان نجاحها، يتحقق ذلك من خلال وضع إطار عمل يتضمن الأنشطة الرئيسة، والمعايير، وأفضل الممارسات، وتوافر عنصر بشري على دراية بالتراث وأهميته، ولديه المهارات والخبرات اللازمة في مجال التصميم وتكنولوجيا المعلومات.

لقد أتاحت التكنولوجيا الرقمية في مجال التراث الحصول على العديد من المزايا والفوائد منها، إمكانية استخدام التطبيقات الذكية لعرض عناصر التراث المتنوّعة بأسلوب عصري وتفاعلي، ورقمنة الأصول التراثية وإتاحتها، وجمع البيانات حول العادات والتقاليد والأنشطة والمباني والمواقع،

وغيرها من الموروثات، وتعزيز الوعي، وخلق الخبرات في مجال التراث، وتوفير تجربة تراثية، من خلال المعارض الافتراضية، وتطبيقات الهاتف المحمول، ووسائل التواصل الاجتماعي.

إن الهدف النهائي للتراث الرقمي، هو توفير منصة اتصال بين مختلف الأوساط الثقافية والأكاديمية والمجتمع، وهو ما يسمح للمؤسسات والخبراء في التكنولوجيا الرقمية وعلم الآثار وعلم المتاحف والمكتبات والتاريخ والهندسة المعمارية (والمجالات الأخرى ذات الصلة) بالحضور في مكان واحد، وتبادل الأفكار حول التراث الثقافي، وتعزيز أنشطة البحث والتفسير والتصور، من خلال دمج الثقافة والتكنولوجيا والخبراء والجمهور والأعمال، لتعزيز تطوير صناعة التراث الرقمي المحلي والعالمي.

# شيص

## جمال الطبيعة وصمود الرجال

عاش الإنسان في منطقة شيص، التابعة لمدينة خورفكان، منذ القدم، لما تتمتع به من طبيعة وطقس ساعدا على التأقلم مع الحياة، ورغم صغر مساحتها، إلا أنها تنعم بالخيرات الطبيعية، ومكّنت أهلها من زراعة أراضيها الخصبة، ويعتمد ري الأراضي على الأمطار والينابيع والعيون.

سارة إبراهيم
الشارقة – مجلة مراود

يشار إلى أن سبب تسمية «شيص» بهذا الاسم يعود إلى «شاصة النخل»؛ أي يبست الثمار في العذوق؛ بسبب الجفاف، وهو جفاف أصاب المنطقة في فترة زمنية، وأجدبت أرضها، حتى أدت على وفاة كثيرين، وهجرة بعضهم، ولم تجد النخيل من يلقح ثمارها. لكن هذه الحال لم تدم، فشيص زاخرة بمزارعها التي اعتمد عليها الأهالي في غذائهم، وتصديره لدبي والشارقة، كما اشتهرت بأشجار النخيل والحمضيات والمانجو والحبوب.

تسكن قبيلة النقبيين في شيص في واحد من أماكن إقاماتهم، وكانوا يعتمدون في معيشتهم على الزراعة والرعي، والتجارة الموسمية إلى مناطق الساحل،

وصنعوا منازل العريش من سعف النخيل، مما يسمح في الصيف بدخول نسيم الهواء الجبلي على منازلهم، كما يملكون منازل شتوية يبنونها من حجارة الجبل والطيب ودعون النخيل، لتحميهم من برد الشتاء ورياحه.

شيص هي موطن النمر العربي والذئاب والثعالب والغزلان والطيور الجارحة وغيرها، كما تتميز أرضها بخصوبتها، وساعد وجود الينابيع المائية أهلها على استثمارها للزراعة، وهو ما أهّلها للسكن، رغم برودتها شتاء، ووجود الحيوانات المفترسة، ومن بين أبرز عيون الماء عين القبيل، الخساخس، القاوة، بالإضافة إلى الفلوج التي أقيمت بباطن الجبال.

### تاريخ

تتميز المنطقة بحصونها وقلاعها التي كان الهدف منها حماية الأنفس والأموال من المعتدين، من بينها رابي القلعة التي بنيت شمال شيص للمراقبة، وقلعة رابي البيضية التي تكشف لأهالي المنطقة جميع الجهات، وقلعة رابي صنقور التي سميت على اسم حارسها.

وذكرت شيص في العديد من الإصدارات التاريخية المحلية، من بينها كتاب «خورفكان في ذاكرة الزمان»، الذي يذكر فيه كاتبه محمد خميس بن عبود النقبي، المكانة التاريخية لشيص، قائلاً: «سكن أجدادنا النقبيون في شيص، وأقاموا الحصون التي وفرت لهم

الحماية من الأعداء، وقد وقفت على حصون شيدت على قمم الجبال المحيطة، ووجدت في أحدها أن المتحصن به يمكنه أن يرى عدوه من مسافة ألفي متر، قبل وصوله القرية». ويشير النقبي إلى أن الإنسان قديماً استوطن المنطقة، ويتضح ذلك في بعض اللقى الأثرية والنقوش الحجرية التي وجدت في أكثر من موضع.

**اهتمام وسياحة**

تقع شيص في منطقة جبلية، وتزخر بالوديان، وقد ورد ذكرها كثيراً هذه الفترة، لما نالها من اهتمام من قبل حكومة الشارقة، كما أسهم طريق خورفكان الجديد بسهولة الوصول إليها وفي قصر المسافة، ومن التطويرات حديقة شيص التي تم افتتاحها مؤخراً على مساحة تزيد على 11 ألف متر مربع، وشلال صناعي، وبحيرة بمسارات وتشكلات حجرية، وممشى جبلي وشرفات، ومنصة مشاهدة للمناظر الطبيعية للمنطقة، وهو إضافة إلى ما تحفل به بشكل طبيعي من عيون مائية وأفلاج وبساتين النخيل والنباتات والأحياء الطبيعية، وتلك المشاريع المشروعات البارزة تشجع على السياحة البيئية في شيص التي تحتضنها الجبال الشاهقة، فتوفر لزوّارها تجربة لا مثيل لها، سواء للاستمتاع بأجوائها الطبيعية، أو ممارسة رياضات خاصة كالتسلق والمشي، وتضم ممشى جبلياً من 3 شرفات موصولة بسلالم حجرية، مؤدية إلى منصة المشاهدة الرئيسة على ارتفاع 30 متراً عن مستوى الحديقة الرئيس، ومسارات بطول 506 أمتار، محاطة بأشجار النخيل وغيرها، ومناطق ألعاب وجلسات عائلية، ومسرح ومناطق شواء.

# المنتجات الإماراتية.. تراث وحِرف متجدّدة

لم تعد الحرف الإماراتية التراثية حصراً على المهرجانات والمحافل التراثية التي تقام موسمياً في إمارات الدولة، بل بتنا نرى بعض تلك الحرف يجدد من منتجاته؛ ليلائم العصر الحديث، ويحيي تلك الحرف بشكل أو بآخر في المجتمع وبين أبناء جيل لم يعاصروها بحلتها الماضية، وهو بذلك يحقق غرض الاستدامة.

سارة إبراهيم
الشارقة – مجلة مراود

تبنت العديد من المؤسسات والمراكز في دولة الإمارات تلك الحرف، من خلال استثمارها الأيدي العاملة من الحرفيين؛ لإحيائها بطرق تمكّنها من الاستمرارية، وذلك بوضع خطط واضحة، واستراتيجية لصناعات يراد لها أن تظل حيّة.

من بين أبرز الصناعات التي مازالت تعيش في حاضرنا هي الخياطة وصناعة البشوت والتلي، التي من شأنها توفير الأزياء التراثية للجنسين والأطفال، ويتم ارتداؤها غالباً في الأعياد والمناسبات الوطنية، وسفافة الخوص التي تصنع منها حقائب

حفظ المنتجات، وعلب المنتجات الجافة كالتمور والمفارش، ومغلفات لمنتجات مميزة كدفاتر المفكرات والشموع، كما تعمل مؤسسات عدة، من بينها المنشآت الإصلاحية والعقابية، على تدريب نزلائها النجارة، والتي ينتج عنها العديد من قطع الأثاث كصناديق الندوس المذهّبة، والمقاعد الخشبية، ولعل منتجات البخور والدخون والعطور تعدّ من أبرز المنتجات اليدوية التي لاتزال تحافظ على مكانتها، وتلقى الإقبال من المستهلكين؛ لما تتميز به من غيرها بملاءمتها الذوق المحلي، كما هو قرض البراقع، ومهن النسيج والغزل والسدو.

كما تعدّ صناعة الفخار من بين أبرز الصناعات التي مازالت حاضرة، فيمتهنها العديد من أبناء مناطق رأس الخيمة وجبالها، والتي تعيدهم إلى جذورهم، في كونها من الحرف التي تربطهم بأجدادهم.

وعلى الرغم أن كثيراً من الحرف قد اندثر، بسبب اجتياح عصر الصناعة والتطور، إلا أن حكومة الدولة، ممثلة في المؤسسات الحكومية، استطاعت أن تنهض بالعديد من الحرف؛ لتطوير المنتجات، وفي الوقت ذاته، تشغيل الحرفيين وتدريب غيرهم، حتى بات العديد من تلك الأيدي يشكل أسراً منتجة، موفرة لهم دخلاً مالياً، ومحققة بهم استدامة الحرف والمنتجات التراثية.

من بين أبرز المؤسسات المعنية بالحرف والمنتجات التراثية، مؤسسة الغدير للحرف الإماراتية، التابعة لـ«الهلال الأحمر الإماراتي» في أبوظبي، التي

تأسست في 2006م؛ لتوفير التدريب والتصميم والمواد الخام وخدمات التسويق للنساء؛ لتصنيع منتجات بطابع محلي، بهدف عونهن على كسب حياة كريمة، والحفاظ على الحِرف التراثية.

ويعمل مجلس إرثي للحرف المعاصرة في الشارقة، على توفير ورش تدريبية، تهدف إلى استدامة التراث، حيث يوظف برنامج بدوة للتنمية الاجتماعية عشرات الحرفيات، ويوفر التدريب المهني؛ لتمكينهن اقتصادياً ومهنياً واجتماعياً، وإحياء الحرف التقليدية، ووضعها بقالب عصري، وتوفير أسواق لها، كما يلبي برنامج «حرفتي للأطفال والشباب»، أحد أهداف مجلس إرثي، وذلك من خلال استهداف الأطفال والشباب، وتمكين الأجيال من تعلّم الحرف.

كما تمكّن إدارة الصناعات التراثية والحرفية بالاتحاد النسائي العام بأبوظبي، ومركز الحرف الإماراتية، التابع لمعهد الشارقة للتراث، العشرات من الحرفيات اللاتي ينسجن ويخطن ويسفن ويصنعن المجسمات التراثية والهدايا، وبذلك تقدم تلك المراكز الفرص للحرفيات؛ لزيادة الدخل، وجعل المنتجات التراثية حاضرة في الأسواق المحلية.

ووفرت صناديق دعم المشاريع الصغيرة، والجهات المانحة للرخص الاقتصادية المنزلية في الدولة، الفرص لأصحاب الحرف التراثية المحلية لمزاولة مهاراتهم، ومكّنتهم وسائل التواصل الاجتماعي والمهرجانات والمعارض التراثية المتخصصة من أن يبرزوا منتجاتهم، فتوفر لهم السوق، وتربطهم كجسر تواصل مع الحاضر.

# قرض البراقع

## مهنة تحافظ على الإرث الثقافي

تعدّ صناعة أو «قرض» البراقع من المهن التي زاولتها المرأة الإماراتية قديماً، والتي جمعت ما بين الضرورة والزينة، وعلى اختلاف أشكال ومسميات تلك البراقع التي ارتدتها النساء في أنحاء الإمارات كافة، في حقبة ما، مازالت المهنة قائمة، معتمدة على كبيرات السن من النساء اللاتي مازلن يحافظن على ارتدائها اعتياداً.

سارة إبراهيم
الشارقة – مجلة مراود

البرقع، هو غطاء تستر به المرأة أجزاء من وجهها، يصنع من قماش مقوى، وبمقاسات خاصة، فكانت الفتاة بمجرد أن تتزوج ترتدي البرقع تقليداً، حشمة وزينة، وتتبع بذلك أمها وجداتها، ويتحدد شكله بحسب البقعة الجغرافية التي تسكنها، ونسبها، ومكانتها الاجتماعية، وفي عموم الحال، فإنه كلما كبرت المرأة في السن، بات البرقع يغطي أكبر مساحة من وجهها.





هو قطعة المنتصف العمودية التي تقسمه شكلياً إلى قسمين متناظرين على جانبي الوجه، وتستخدم فيه قطعة خشبية كعود الثقاب، حتى يقف على الأنف بشكل رأسي، والساطر، وهو طرفا البرقع، تخاط فيه خيوط الشبق لشد البرقع إلى الخلف، وربطه على الوجه، ويضم البرقع مساحة مفتوحة للعينين، تتسع وتضيق، بحسب تصميمه وملاءمته للمرأة.

وللبراقع مسميات تتبع تصميمه، منها الرياسي، الشارجي، بونجوم، مطوس، مشاخص، بومجيلة، منكوس، وغيرها.

وعلى الرغم من أن مهنة قرض البراقع باتت ضيقة النطاق؛ لاقتصار ارتدائها على كبيرات السن من المواطنات، إلا أنها حاضرة بقوة في المحافل التراثية والأسواق الشعبية؛ كونها تعبّر عن إرث ثقافي، كما باتت تصنع كمجسمات ورموز للإبقاء عليها، كميداليات للمفاتيح، وتعليقات للمركبات النسائية، وطباعة أشكالها على العباءات والقمصان القطنية، وارتدائها في بعض المناسبات الوطنية والتراثية من قبل الفتيات والشابات، كنوع من الاعتزاز بالتراث.

تستخدم «الطبكة»، وهي قطعة قماشية مستطيلة، من اللون الذهبي والنحاسي المقوى في صناعة البراقع، وهذه القطع كانت تجلب، ومازالت، من الهند، باطنه الذي يلامس الوجه من القطن، وأدوات صناعته بسيطة، وتتكوّن من العيدان الخشبية، والخيط والإبرة، والمحار لتسويته وتلميعه، والشبق؛ أي الخيط الذي يركب في جانبيه لربط البرقع خلف الرأس، وبذلك فإن أبرز أجزائه الجبهة، وهي الجزء العلوي من البرقع، والسيف

# لؤلؤة الصباح.. و«مومي»

شهرزاد العربي
كاتبة – الجزائر

بعيداً في أدغال إفريقيا، كانت تعيش فتاة جميلة اسمها «لؤلؤة الصباح»، مع والديها وأخويها، لكنها لم تكن سعيدة في حياتها؛ لأن بيتها كان على ضفة نهر أشبه بمستنقع، لا تصل إليه أشعة الشمس؛ بسبب كثافة الأشجار، وتقطنه التماسيح التي تمنع لؤلؤة الصباح من الاستحمام فيه.

كانت لؤلؤة الصباح تحلم بكل القصص التي سمعتها من تاميل (ساحرة القرية)، التي حدثتها عن نهر مياهه صافية، كأنه مرآة تعكس زرقة السماء، وحتى سحبها التي تشبه القطن.

لذا كثيراً ما كانت لؤلؤة تنظر إلى الغرب، وتُمنّي نفسها بالوصول إلى ذلك النهر، الذي قالت لها عنه تاميل:

ـ إذا عَبَره شخص أصبح أبيض.

وذات يوم استعد أخواها للخروج في رحلة صيد تدوم فترة طويلة، فطلبت منهما مرافقتهما شمالاً؛ لترى النهر العجيب، لكن أخاها الأكبر قال لها:

ـ عليك بالبقاء في البيت، أما نحن فسنتأخَّر كثيراً، حتى أن القمر سيظهر ويغيب مرات عدّة، ونحن لم نعد بعد، وعندما نرجع سنبحث لك عن زوج.

لكن لؤلؤة الصباح كررت طلبها لأخيها، متسائلة:

ـ لِمَ لا نذهب جميعاً ناحية الشمال، حيث النهر العجيب؟!

ضحك أخوها الأصغر، وقال لها:

ـ هل تصدقين حكايات تاميل؟! إن كل حكاياتها خرافات، ونصيحتي لك أن تنسي كل قصصها العجيبة.

ثم شرع وهو يردد تعويذة الأجداد في دهن رُمْحه بالشحم؛ لكي يشق الهواء، ويصل إلى قلب طريدته، ولا يخطئها.





بعد أن غادر أخواها البيت، ذهبت لؤلؤة الصباح إلى تاميل ساحرة القرية، لتحدثها مرة أخرى عن ذلك النهر العجيب الواقع شمالاً، والذي يفتح أمامها آفاقاً بعيدة تغذي خيالها وتوقعها عن العالم الفسيح.

لكن تاميل عندما رأت لؤلؤة الصباح بعد مدة طويلة بدا لها أن الفتاة نضجت، وازدادت صحة وجمالاً، ولابد لها من زوج، فقالت لها:

ـ طالما أن أخويك رفضا ذهابك معهما، فما رأيك لو زوجتك من ابني؛ ليأخذك حيث تشائين، وهو وحده الذي يستطيع ذلك؛ لأن أرجله كأنها جذوع شجر، وطوله اثنتا عشرة قدماً.

ضحكت لؤلؤة الصباح، وقالت لها:

ـ لست راغبة في الزواج الآن.

لكن تاميل كانت مصرّة على تنفيذ رغبتها، وقالت لها:

ـ عندما ترينه لا أظن أنك سترفضينه.

حين غابت الشمس، وحلّ محلها القمر، يلقي بضيائه على المكان، تسللت تاميل بين أشجار الغابة حتى وصلت إلى حيث يوجد فيل ضخم أسود، يستريح بعد أن أخذ حمام طين؛ ليحمي جلده من الحر، ولم يكن ذلك الفيل سوى «مومي» ابنها.. فقالت له أمه:

ـ لقد وجدت لك عروساً لتكون زوجة لك.

مومي لم يكن هو الآخر يرغب في الزواج، لكن أمه العجوز عرفت كيف تجعله يوافق، وذلك بأن أغرته بالطعام اللذيذ الذي تعده لؤلؤة الصباح، كونها طباخة ماهرة، ولابد أنه قد تعب من أكل أوراق الشجر ولحائه. وتحمس للفكرة عندما ذكرت له الأسماك المشوية، ولحوم البقر والخرفان والغزلان، والحساء المضاف إليه شتّى أنواع الأعشاب والخضراوات.

وهكذا وافق مومي على الزواج من لؤلؤة الصباح، وهنا أخرجت تاميل من كيس صغير كانت معها ورقتا شجر، وسلمتهما له قائلة:

ـ تأكل إحداهما لتعود إلى طبيعتك البشرية، وتأكل الأخرى إذا أردت أن تعود فيلاً.

قال مومي لأمه:

ـ معك حق يا أمّاه، لقد سئمت أكل ورق الشجر، وأتُوق إلى طعام البشر.

ثم أكل الورقة الأولى، فتحول إلى شاب وسيم، بهيئة صياد يحمل رمحاً في يده.. صورة لابد أن لؤلؤة الصباح ستعجب بها.

عندما وقف مومي أمام عتبة بيت لؤلؤة الصباح، اعتقدت أنها لم تر في حياتها شاباً أكثر وسامَةً منه، فوافقت على الزواج برضا والديها، وبعد أن

أتمَّا ذلك، أخذ مومي عروسه وانطلق بعيداً.

اعتقدت لؤلؤة الصباح أن مومي سيتجه بها شمالاً ناحية النهر الذي لم تره، وسمعت عنه من قصص تاميل ساحرة القرية، لكن أملها خاب، عندما اتّجه بها إلى السهول، وهناك بنى لها كوخاً، واستقرا فيه بعيداً عن الناس.

كان مومي يخرج صباحاً إلى الصيد، ليعود بطرائد كثيرة، ويطلب من لؤلؤة الصباح أن تطهو له، مستمتعاً بأكلها.

وذات صباح، عقد النية على أكل الورقة السحرية التي أعطتها له أمه، حيث ذهب إلى نهر صغير، واصطاد ثلاثين سمكة، وعاد بها إلى لؤلؤة الصباح، وطلب منها شواءها كلها، فاستغربت، وقالت له:

ـ ثلاث سمكات كافية جدّاً.. انظر كم هي كبيرة!

لكنه رد عليها:

ـ افعلي ما آمرك به، ولا تجادليني.

انصاعت لؤلؤة الصَّباح لأمره، وبدأت عملها، وبعد فترة أحسَّت بظل بجانبها، فالتفتت، ويا لهول ما رأت! فأسرعت لتختبئ تحت مصطبة بين أعواد الحطب، وهي تستغيث:

ـ مومي.. أنقذني يا مومي، هناك فيل ضخم.

لكن مومي كان قد اختفى، وحلَّ محله فيل ضخم أسود، وراح يقول لها:

ـ لا تخافي يا لؤلؤة الصباح، أنا زوجك مومي، قد عُدت إلى حالتي التي اخترتها، والآن اخرجي، وأكملي شواء السمك، إنني جائع جداً.

كانت لؤلؤة الصباح ترتعد من هول المفاجأة، ورغم هذا خرجت، وأكملت إعداد الطعام، ووضعته بين يديه، لكنها لم تستطع تذوق شيء منه، ولم يعرها مومي أي اهتمام، وأكل كل الطعام وحده.

كانت لؤلؤة الصباح لا تكاد ترتاح، تنصب الأثافي، وتضع القدر عليها، وتجمع الحطب، وكذلك الأعشاب التي تضيفها إلى الحساء؛ لتعد الطعام لمومي الذي كان يلتهمه التهاماً.

وبعد فترة شحب لونها، وانطفأ بريق عينيها، وذبلت كما تذبل الأزهار، ثم سقطت مريضة، وعندما قدمت الطعام لمومي، وهو غير ناضج تماماً، غضب منها، وعاقبها بأن رفعها بخرطومه، ووضعها عالياً بين أغصان الشجرة، وقال لها:

ـ ستبقين هنا إلى حين عودتي.

وبعد أن صبّ عليها جام غضبه، انطلق بعيداً.

في واقع الأمر لم يكن عقاب مومي للؤلؤة الصباح يعني لها شيئاً، بل بالعكس رأت فيه فرصة للراحة. وبينما هي معلقة بين الأغصان، محتمية بورق الشجرة من الشمس عندما اشتدت حرارتها، راحت تفكر في أهلها وبيتها وأحلامها، وخاصة حلمها بأن تذهب إلى الشمال لتعبر النهر.

وبينما كانت على تلك الحال، لاح لها من بعيد خيال





نقطتين سوداوين تقتربان منها رويداً رويداً، فدفعها الفضول إلى أن تظل تراقب تلك النقطتين، وهما تكبران شيئاً فشيئاً، ورغم أن لُعَاب الشمس الحارقة كان يشوش نظرها، إلا أنها أجزمت أنه خيال رجلين قد يكونان صيادين، وهنا تذكرت أخويها اللذين خرجا إلى الصيد منذ فترة، ولم يحضرا زواجها، وتمنت لقاءهما بالعودة ذات يوم إلى بيت والديها، لكن أنَّى لها ذلك، وقد أصبحت أسيرة فيل أسود ضخم وشرس ونهم.

عندما اقترب الرجلان، كادت لؤلؤة الصباح تجزم أنهما أخواها، وأعجبها إحساس الفرحة التي خالجتها، فتمسكت بهذا الاعتقاد، وكم كانت فرحتها كبيرة عندما تأكدت أن القادمين أخواها! كادت لؤلؤة الصباح تقفز من الشجرة فرحاً، لكن مرضها منعها، وراحت تلوِّح لهما، وهي تستغيث، فأقبلا إليها، وأنزلاها من الشجرة، وقدما لها الرعاية، وقصت عليهما قصة زواجها، وماذا حدث مع مومي ابن تاميل، فقررا إنقاذها من هذا المصير، ولم تكن خطة الهرب في جدول احتمالاتهما، لأن الفيل من المؤكد أنه سيلحق بهم، ويقتلهم شر قتلة.

عندما عاد مومي في المساء، كانت لؤلؤة الصباح قد أجمعت مع أخويها على خطة للهرب، وتحت جنح الظلام، وبينما مومي كان نائماً، ساق الأخوان قطيعه أمامهما في هدوء ورويّة، وابتعدا برفقة أختهما، وسار ثلاثتهم لفترة طويلة.

وحين استيقظ مومي من النوم، وعرف بهرب لؤلؤة الصباح، أخذ في أثرها، حتى لم يبق بينه وبينهم سوى بضعة فراسخ، عندها كانت هي وأخواها قد وصلوا إلى طريق مسدود عند جبل لا يمكن بلوغ قمته ولا اختراقه، وتأكدوا أن نهايتهم ستكون تحت أقدام مومي، وندم الأخوان على عدم قتله انصياعاً لرأي أختهما، لكن لؤلؤة الصباح كانت قد أعدت للأمر عدّته.

تعلمت لؤلؤة الصباح من تاميل (ساحرة القرية) تعويذة، فراحت تقرؤها:

ـ لأجل زهور الليلك التي تنمو على سطح البحيرة البيضاء المفضضة تحت أشعة القمر..

يا صخرة أسلافي افتحي...

دعينا نمر إلى الجهة الثانية .....

وهنا انفتحت الصخرة، ومرّ الجميع، ليجدوا بعد ذلك بحيرة بيضاء بمياه صافية، أسرعت إليها لؤلؤة الصباح، واستحمت فيها، وهي تتساءل:

ـ هل كانت هذه البحيرة موجودة من قبل، أو أن تاميل هي من أرسلتها؟

بعد أن استراحوا، أكملوا طريقهم بحثاً عن النهر الذي أخبرتها عنه تاميل، لكن لا أحد يعرف ماذا حدث معهم بعد ذلك.

# خيال الظل

## عمل كلاسيكي للمسرحية

خيال الظل هو واحد من الأعمال المثالية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية، ويعدّ نوعاً من أنواع الفنون التقليدية الشعبية العريقة النابعة من الصين، كما أنّه أسلوب فني رائج عند عموم الشعب الصيني قديماً، إذ يمثّل سعي الشعب الصيني القديم إلى عالم روحي، وذكاء الصين مصدره التاريخ الطويل، والمنبع العريق.

الكاتب: حنان كاي روقيان
المترجم: باهر يانغ بنغهوي
المراجع: بسمة قو شوجيون

يعرّف خيال الظل بأنّه مسرحية شعبية تعرض قصصاً وتحكيها عبر ظل الدمى المتحركة، حيث يقوم الفنان بالتحكم في الدمى المتحركة المصنوعة من جلد الحيوان، أو الألواح الورقية، وراء ستار أبيض، حينما يحكي الفنان قصته بنغمة محلية سائدة بمرافقة الآلات الإيقاعية والوترية في آن

واحد؛ لذا يبدو العرض مملوءاً بالجوّ الريفي.

إنّ خيال الظل منتشر في كثير من المناطق، وتطورت أنواعه باختلاف النغمات تطوراً كبيراً في شتى المناطق.

إنّ عملية صنع الدمى المتحركة لخيال الظل معقدة جداً؛ فأولاً، يتم اختيار جلود الحمير والماعز والبقر، المناسبة سماكتها، والصلبة في تركيبها، كالمواد الخام. ثانياً، القيام بتنظيف الجلود حتى تصبح ناعمة ورقيقة. ثالثاً، القيام برسم المسودة ثم نسخها على الجلود. رابعاً، نقش أشكال على الجلود باستخدام آلات دقيقة. خامساً، وضع الأصباغ التي تستخلص من النباتات المعدنية على الجلود لتصبغها. سادساً، القيام بتجفيف الجلود المصبّغة بدرجة الحرارة المتناسبة خلال العملية؛ تجنباً لانكماش الجلود. وأخيراً، ربط الدمية بما تحتاج إليه حتى تكون شخصية كاملة أو شيئاً مستقلاً.

ويجسد النص المسرحي لخيال الظل ذكاء الشعب الصيني، وأفكاره المتقدمة؛ على سبيل المثال، أبدعت فرقة تانغ شان المسرحية كثيراً من النصوص المسرحية الرائعة المشوقة، حيث تتميز بحبكتها المتعرجة، كما ترسم عدداً كبيراً من الشخصيات البارزة والحيّة.

كما أنّ النصوص تصف شخصيات مختلف الطبقات، على نحو حقيقي حي عبر اللغة البسيطة، حيث تبدو الشخصيات مملوءة بالخصائص المحلية،

علاوة على ذلك، هناك بعض النصوص المسرحية تشبه بحكاية القصص الشعبية، وإيقاع الطبل من حيث المحتويات؛ وذلك لأنها تنطبق على خصائص الفن المسرحي، حيث تدفع مرور السيناريو إلى الأمام، وتشكّل شخصية عن طريق عرض النزاعات والتناقضات في قصة ما. فيمكن القول إنّ النزاعات أمّ المسرحية، طالما تؤثر المسرحية في المشاهدين بسيناريوهاتها، فتتمتع بجاذبية فنية كبيرة، وقيمة فنية وجمالية هائلة، إلى جانب إقبال الجماهير.

وخيال الظل يتمتع بمزايا لا يمكن تمثيلها على خشبة المسرح التقليدية، وذلك يتمثل في قدرة خيال الظل على عرض الحيوانات والطيور والدبابة

والمدفع بشكل حقيقي حي، حيث تتغير الدمى المتحركة تغيراً سريعاً متنوعاً، وتصل إلى العلياء وإلى الهاوية بسهولة، فتبدو أنها تملك الأرواح. وبالمصادفة، دخل خيال الظل الشرق الأوسط مروراً بمنغوليا وتركيا، أو عبر الإمبراطورية البيزنطينية، ثم اليونان في العصرين الثاني عشر والثالث عشر، وهو يعني صاحب العينين السعيدتين في اللغة التركية؛ لذا بات هذا النوع المسرحي واحداً من أسس المسرحية للعالم العربي.

وينبع خيال الظل من تراب حياة الشعب، ويترسخ فيه، كما يمتص منه أروع شيء وأكثره جاذبيةً، مما يأسر قلوب الناس. كما أنه أُدخل إلى معجم التراث الثقافي غير المادي على المستوى الوطني عام 2006، بفضل دقة صنعه، وثراء معناه، ثم أُدرج في قائمة التراث الثقافي غير المادي للبشرية عام 2011 عن جدارة.

# مهرجان يوم الفتاة
## (مهرجان الخوخ)

ريا ناكاو
كاتبة وفنانة – اليابان

تتكوّن دولة اليابان من مجموعة كبيرة من الجزر التي تحيط بها المياه من كل جانب، وتشكل الجبال ما يقرب من ثلثي مجموع أراضيها، ولذلك يتنوّع مناخها بين أربعة فصول مختلفة في العام، ويعيش اليابانيون في وئام تام وتكيّف مع طبيعة بلادهم، التي تثري بتنوع مناخها الموسمي ارتباط الشعب الياباني بها، وتزيد من حبه للطبيعة؛ لذلك يقومون بعمل مهرجانات ومناسبات متعددة، يعود نشأتها وتاريخها إلى زمن بعيد؛ احتفاء بالطبيعة وتبجيلاً لها، ومازالت هذه التقاليد مستمرة حتى الآن،

ليس هذا فحسب، بل هناك تقاليد لتناول النباتات والأعشاب الموسمية في وقت التغيرات الموسمية؛ للحصول على الطاقة الحيوية، بهدف درء الأرواح الشريرة، حيث إن هناك بعض العادات التي نشأت خصيصاً لطرد الأرواح الشريرة في أيام معينة، ذات ترتيب فردي في الشهر، ويقابلها الرقم نفسه من ترتيب الشهور في السنة، فعلى سبيل المثال، الثالث من مارس (3/3) هو يوم الفتاة، الخامس من مايو





(5/5) هو يوم الصبي، السابع من يوليو (7/7) هو مهرجان النجوم، التاسع من سبتمبر (9/9) هو يوم التدبر لطول العمر، ومازالت هذه العادات مستمرة كأحداث سنوية منذ القرن التاسع.

**هيناماتسوري (مهرجان الدمى/ يوم الفتاة)**

يقام مهرجان هيناماتسوري، الذي يطلق عليه أيضاً مهرجان الخوخ، في الثالث من مارس من كل عام، منذ أكثر من عشرة قرون، وسمي بمهرجان الخوخ؛ لأن أشجار الخوخ تبدأ عادة بالإزهار في ذلك الوقت، وهذه الزهرة لا تتميز بجمالها فحسب، بل لديها أيضاً القدرة على درء الأرواح الشريرة، وكذلك القدرة على إطالة العمر. وفي العصر الحديث، أصبح المهرجان احتفالاً بالفتيات، ولقب بيوم الفتاة أو يوم الدمى، ولكنه في الأصل كان يقام لطرد الأرواح الشريرة، مع الدعاء من أجل صحة جيدة للجميع، في وقت التغيير الموسمي.

في هذا المهرجان، كان هناك تقليد اعتاد الناس اتباعه، وهو عبارة عن نفخ دمية ورقية على شكل إنسان، ولمس جسدها قليلاً بورق يحمل شوائب؛ لنقلها إلى الدمية، ثم تعوم الدمية في النهر أو في البحر؛ من أجل التطهير. وحتى الآن، لايزال الاحتفال بهذه العادة قائماً، في مهرجان يسمى «نجاشي بينا» (الدمى العائمة)، ويقام أيضاً عند بعض الأضرحة في الثالث من شهر مارس.

كان اللعب بالدمى شائعاً منذ أكثر من 1000 عام بين بنات النبلاء فحسب، ولكنه من القرن السابع عشر، أصبحت لعبة الدمية منتشرة بين عامة الناس، ومع مرور الوقت أيضاً، تم تطوير تقنية صنع الدمى لصنع دمى فاخرة؛ لذلك تغيرت العادة من التعويم في النهر أو البحر، إلى الاستمتاع بتزيين الدمى. تسمى الدمى المزخرفة «دمية هينا»، والتي يعتقد أنها تحمي الأطفال من الأمراض والحوادث؛ ولهذا عندما تولد طفلة، عادةً ما يقدم الأجداد دمية «هينا» هديةً لها، من أجل حمايتها من أي ضرر قد يصيبها، وكذلك تزين العائلة المنزل بتلك الدمية كل عام؛ لتمني نمو صحي للفتاة، والسعادة، وطول العمر.

**أطباق المهرجان**

أثناء المهرجان يحتفل الناس بالأطباق التقليدية المختلفة، ولكل طبق معنى خاص له.

**حساء صدفة البطلينوس**

البطلينوس هو رمز للزواج السعيد، وهناك تاريخ عن البطلينوس مرتبط بالزواج قبل وقت طويل من نشأة مهرجان الدمى، مثل «لعبة مطابقة صدفة البطلينوس»، التي كان النبلاء يلعبونها بوساطة المحار المزخرف الفاخر في القصر منذ نحو القرن الثامن الميلادي، فكانوا يحتفظون بالبطلينوس داخل صندوق مزخرف بعد اللعب، وكان هذا الصندوق من الأشياء الأساسية للزواج في منزل العروس،

حيث يرمز البطلينوس للزوج والزوجة؛ لذلك يقدمه الآباء في عرس بناتهم، متمنين لهم زواجاً سعيداً.

**«هيشي موتشي» (كعكة أرز على شكل ماس)**

هيشي تعني الماس، الذي يمثل البرعم الجديد الخارج من تحت الثلج والأزهار، «هيشي موتشي» عبارة عن ثلاث طبقات من اللون الوردي والأبيض والأخضر، يرمز الوردي (الخوخ) إلى الحياة والقوة لدرء الروح الشريرة، بينما الأبيض (الثلج) إلى النقاء، أما الأخضر فيرمز إلى الربيع، والخصوبة، والأرض، والصحة الجيدة، وطول العمر.

**«هينا أرار» (رقائق الأرز)**

تصنع من الأرز اللزج وهريس هيشي موتشي، وتتكوّن من أربعة ألوان، تمثل أربعة فصول، هي الوردي -الربيع (زهرة ساكورا والخوخ)، الأخضر - الصيف (الأشجار والجبال الخضراء)، الأصفر - الخريف (الأوراق المتغيرة)، الأبيض - الشتاء (الثلج). ويقصد بذلك تمني الآباء السعادة لبناتهم على مدار العام. وفي الربيع كان الناس يأخذون دمى هينا إلى الخارج لتعويمها، ثم أصبحوا يزينون الدمى داخل المنزل، حتى يضفوا بذلك مشهداً ربيعياً جميلاً للدمى، وأثناء ذلك يأخذون معهم رقائق الأرز في هذه النزهة.

**«تشيراشي زوشي» (نوع من السوشي)**

إنه نوع من السوشي مع شرائح السمك النيئ والخضراوات المخلوطة مع الأرز في وعاء، يأكلها الناس ليس في هذا المهرجان فحسب، بل في كل الاحتفالات الأخرى أيضاً. تشير المكونات المستخدمة في هذا الطبق إلى حسن الحظ، مثل الجمبري الذي





يمثل طول العمر، كثني الخصر والشارب، ويحتوي جذر اللوتس على ثقوب تمثل البصيرة، والفاصوليا تمثل الصحة الجيدة، والعمل الجاد، ويمثل الجزر والبقدونس ألوان الربيع.

**«دمى هينا»**

تصوّر دمى هينا حياة الطبقة الملكية في البلاط الإمبراطوري، من حيث الأزياء والحاشية وغيرهما، حيث كانوا يرتدون أزياء محكمة جميلة أثناء فترة «هيان» في القرن الثامن عشر. ترتب الدمى بشكل هرمي مكون من 7 طبقات. حيث توجد في الطبقة العليا دميتان رئيستان تمثلان الإمبراطور والإمبراطورة في حفل زفافهما، وفيه ترتدي الإمبراطورة رداء احتفالياً مكوناً من 12 طبقة. أما الطبقة الثانية فتوجد فيها دمى لثلاث سيدات من البلاط، وهن اللاتي يقمن بالاعتناء بالأزواج، ويعلمنهم الآداب والمعارف الموسيقية. في الطبقة الثالثة يوجد خمسة موسيقيين من الأولاد الصغار، يحملون طبلة صغيرة وطبلة كبيرة، وطبلة في اليد، ونایاً، وأحد المغنين يحمل مروحة يد. والطبقة الرابعة هي وزير اليمين، ووزير اليسار، وهما أيضاً الحرس الشخصي لهما؛ لذلك، غالباً ما يحملون أقواساً وسهاماً. أما في الطبقة الخامسة فيوجد ثلاثة خدم من عامة الناس، لديهم أدوات تنظيف أو مظلة، وحامل أحذية يستخدمها الإمبراطور والإمبراطورة عند الخروج، ولكل منهم تعبيرات وجه مختلفة، مثل الضحك والبكاء والغضب، في إشارة إلى تمني أن تنمو الإمبراطورة بوجه معبر. والطبقة السادسة

تحتوي على أثاث الزواج، مثل خزانة الملابس ذات الأدراج وحامل المرآة، وصندوق الخياطة، وموقد، وأدوات صنع الشاي. والطبقة السابعة والأخيرة عبارة عن سلع للسفر مثل محفة الإمبراطور وصناديق الطعام المتدرجة، والعربة التي تجرها الثيران.

يبدأ الناس في تزيين الدمى قبل شهر من المهرجان، ثم ترمى بعيداً بمجرد انتهاء المهرجان، حيث يُعتقد أنه إذا فات الأوان، ستتزوج الفتاة في وقت متأخر في المستقبل. أما في الوقت الحاضر، فتتوافر مجموعة متنوعة من دمى هينا، التي تراوح من طبقة واحدة إلى سبع طبقات، وفقاً لحجم الأسرة والمنزل

# البرامج التراثية

**د. منّي بونعامة**
مدير التحرير
mini.abdelkader@yahoo.com

العناية بالتراث، والاهتمام بكل تفاصيله وعناصره ومفرداته ورموزه، أمر لم يعد مطروحاً للنقاش، فقد أثبتت التجارب أهميته وضرورته في المحافظة على الهوية الوطنية، والخصوصية المحلية، في مواجهة سيل العولمة الجارف، والسالب للقيم والمُثل، بيد أن ما تمكن مناقشته في هذا السياق، وعلى أكثر من صعيد، هو كيف يمكننا أن نغرس حبّ التراث في نفوس الأبناء والنشء، وكيف يمكن ربطهم به، وتقريبه منهم، وتعويدهم عليه؟

منذ تأسيسه في الـ14 من ديسمبر 2014، عمل معهد الشارقة للتراث، وفق رؤية متكاملة وشاملة، على خدمة التراث الإماراتي، تعريفاً، وتوثيقاً، وترويجاً، ودعماً، وإبرازاً، من خلال العديد من المرتكزات، التي من بينها البرامج والفعاليات والأنشطة التي شكّلت رافعة قوية للعمل التراثي في إمارة الشارقة، ومن جملتها أربع فعاليات كبرى، هي: (ملتقى الشارقة للحِرف التقليدية – أيام الشارقة التراثية – ملتقى الشارقة الدولي للراوي – أسابيع التراث العالمي في الشارقة)، بالإضافة إلى الفعاليات والمناسبات الوطنية: (اليوم الوطني – يوم الشهيد – يوم العَلم – يوم المرأة الإماراتية – يوم التّسامح)، والشعبية: (حق الليلة – بشارة القيظ)، والعالمية: (اليوم العالمي للقهوة – اليوم العالمي للتراث السمعي البصري – اليوم العالمي للسعادة)، والبرنامج الثقافي الشهري، الذي اشتمل على ندوات علمية، وحلقات نقاشية، وورش عمل فنية وتعليمية.

ما يميّز هذه البرامج والفعاليات والأنشطة، ويقوّي أثرها وتأثيرها، هو أنها تتسم، في عمومها، بالتراكم والثراء والتنوّع، فبعضها قد جاوز العقدين، كملتقى الراوي، أو شارف على ذلك، كأيام الشارقة التراثية، أو فاق العقد، كملتقى الحِرف، وبشارة القيظ، وكلها تركت بصمة قوية، وحظيت بجمهور كبير، شغوف ومحبّ للتراث، كما استفادت هذه البرامج من التراكم الكمّيّ والنوعيّ الذي أحرزته عبر السنوات الطوال السابقة، منذ أن كانت إدارة التراث والشؤون الثقافية هي المسؤولة عن هذا المجال.

الشاهد في هذا وذاك، أن الجهود التي يقوم بها معهد الشارقة للتراث أصبحت رائدة واستثنائية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وكان في الدورة الرابعة عشرة من بشارة القيظ، التي اتخذت من طائر الكرّوان شعاراً لها، برهان ساطع على أهمية التراكم في العمل الثقافي والتراثي، لما لاقته من إقبال ورواج وتهافت من لدن جمهور التراث ومحبيه.



news that thrills a one who is informed of it. The Emiratis used this meaning severally in their literature and in their poems and the traditional tales as well. It is the good sign of first dates' sprouting, which is called "Tabshera" (good tidings) that people rejoice with great joy, which remains until the harvesting completed. They work throughout that hot season optimizing the fruits, which were turned into dates. They follow many traditional processes, starting from spreading the dates on flat plates made from palm fronds, until the storing in "Madabasa" to get date-molasses.

The hot season does not feature dates only, but also many other fruits such as loumi (lemon), hamba, fifai, tarni, shakhakh and others. Moreover, there are insects and birds that come up in the scene, such as Al Sarnakh, which is the cicada of the harvest, the "Ra'abi" pigeon, the willows, dragonfly "Al Karrah", which is the frog of valleys, trenches, and pooled water, and many other things that are imprinted in the memory and are never forgotten.

In this issue, we celebrate the summer or the season of "Al Qaidh" (hot summer) and its good tidings, including the activities of the fourteenth edition of "Bisharet Al Qaidh", which this year celebrates the curlew bird, and the issue's subject that highlights the summer season in the folklore.

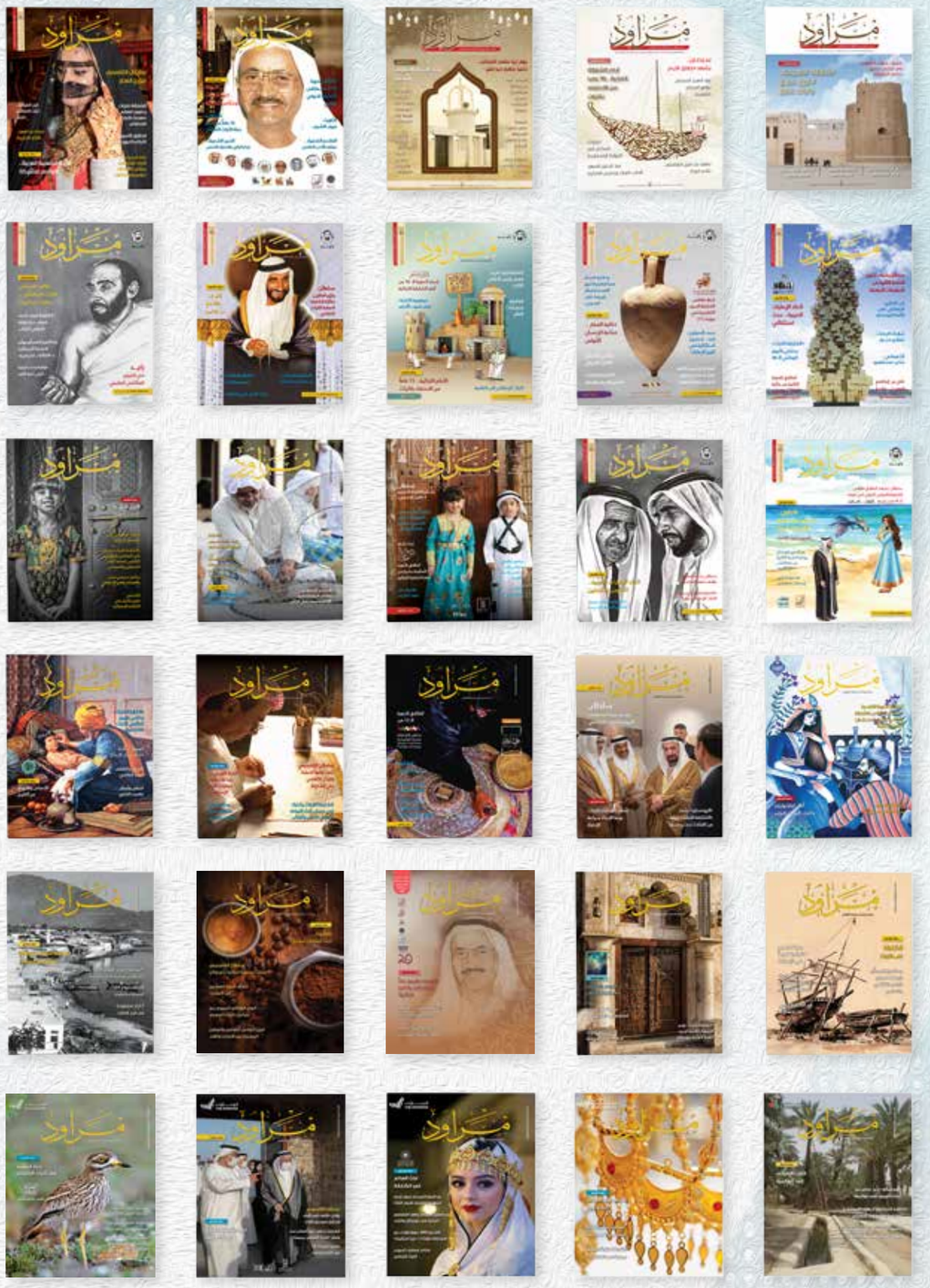

إصدارات مجلة مراود

# “Bisharet Al Qaidh”

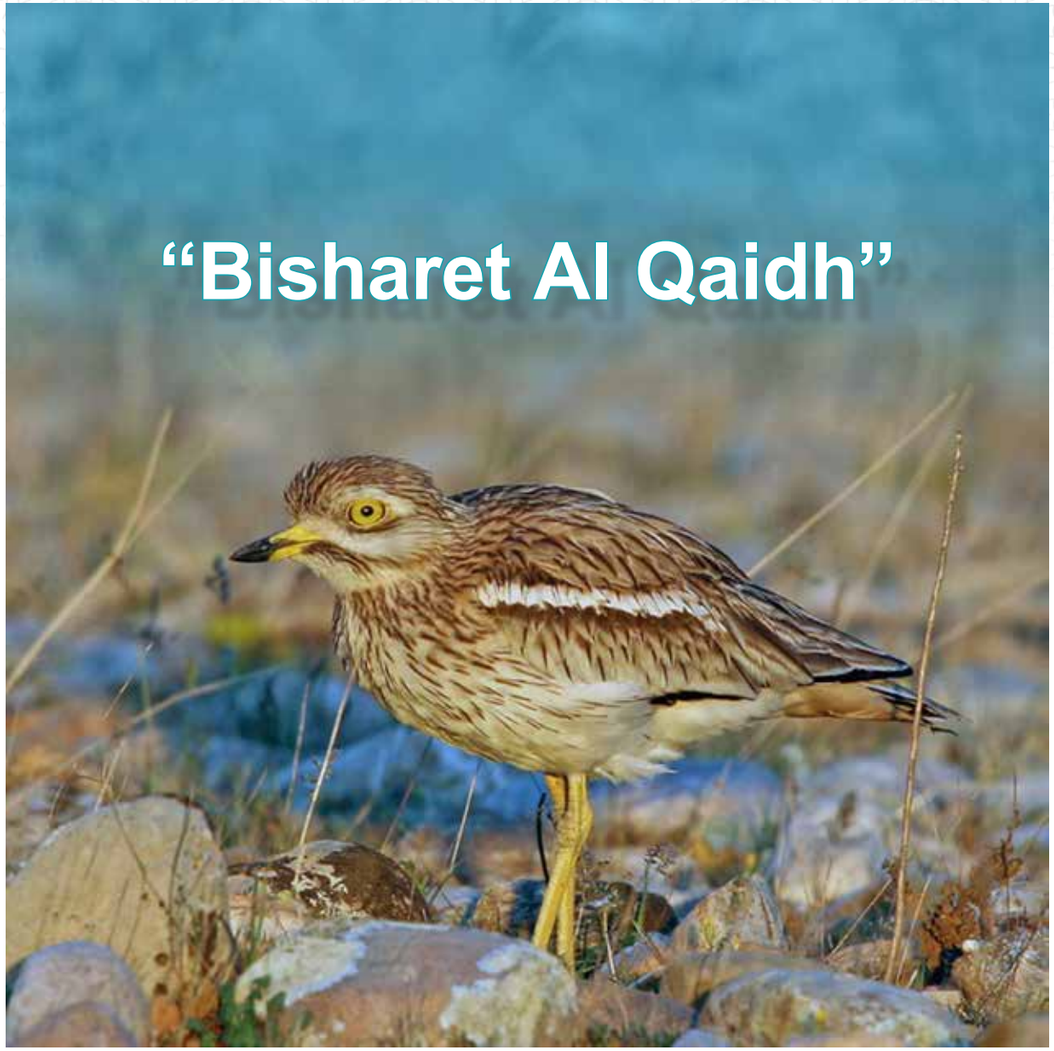

Why the “Bishara”? We answer this question here to highlight the importance of such an ancient tradition and its positive role in introducing the new generations to the local environmental vocabs, and strengthening their relationship with their cultural heritage, which is indispensable in building their identity and their affiliation.

The “Bishara” literary means the good